جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

صورة اليهود في شعر العصر المملوكي الأول
(648هـ - 784هـ)

إعداد
ميساء تحسين مصطفى قط

إشراف
د. رائد عبد الرحيم

قُدِّمت هذه الأُطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2013م

صورة اليهود في شعر العصر المملوكي الأول
(648هـ - 784هـ)

إعداد

ميساء تحسين مصطفى قط

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2013/5/16م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. د. رائد عبد الرحيم / مشرفاً ورئيساً	....
2. أ. د. مشهور الحبازي / ممتحناً خارجياً	....
3. أ. د. عادل الأسطة / ممتحناً داخلياً	....

الإهداء

إلى كل فلسطينيّ عانى من ظلم اليهود وقهرهم.........

إلى كل أسيرٍ يقبعُ خلف قضبانهم الواهمة، وينتظر شمس الحرية...........

إلى الشمعتين اللتين تحترقان لأجلي.......... إلى نور عينيّ.........
أبي الغالي، وأمي الحنون، اللَذين لولاهما لما وصلت لِما أنا عليه...........

إلى أقمار الدُّجى........ إخوتي وأخواتي........ وأخصُّ بالذكر أخي وهيب "أبو رويد"........ أقرّ الله عيوننا بشفائه العاجل............

إلى النجم الساطع في سمائي، زوجي الغالي "سامر"

إلى هؤلاء جميعاً أهدي ثمرة جهدي

الشكر والتقدير

أحمد الله وأشكره، أنْ وفقني لإنجاز هذه الأطروحة، وعرفانا منّي بالفضل الكبير فإنني أتقدم بخالص شكري، وعظيم امتناني إلى الدكتور رائد عبد الرحيم،الذي دعمني وشجّعني منذ اللحظة الأولى التي كانت فيها هذه الرسالة بحثا صغيرا، إلى أن نمت البذرة، ورأت هذه الرسالة النور... وكل الشكر له على ما رفدني به من مصادر ومراجع أثرت البحث. وأتقدم بشكري إلى أساتذتي جميعاً في قسم اللغة العربية في جامعة النجاح الوطنية، فلن أنسى فضلهم ما حييت.ولن أنسى أن أتقدم بشكري إلى أعضاء لجنة المناقشة، الذين تفضّلوا بقراءة الأطروحة وإبداء ملاحظاتهم القيّمة.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى مؤسسة "Ford Foundation" التي تكفّلت بجميع نفقات الدراسة على مدار سنتين ونصف، وكل الشكر إلى العاملين في مؤسسة "AMIDEAST" رام الله وأخص بالذكر السيدة "فداء موسى" على جهودها ودعمها المتواصل. والشكر والتقدير موصول إلى جميع العاملين في مكتبة جامعة النجاح الوطنية، وأخص بالذكر الأستاذ فايز سلوم "أبو مازن" لما قدّمه لي من دعم ومساعدة، ولا أنسى أن أتقدم بشكري إلى العاملين في مكتبة الجامعة الأردنية، وقسم المخطوطات القديمة، لتعاونهم معي، ووقوفهم إلى جانبي، وكل الشكر إلى العاملين في مكتبة بلدية نابلس، ومكتبة بلدية طولكرم، ومكتبة بلدية البيرة، و مكتبة مسجد البيرة فلهم منّي كلّ التقدير والاحترام.......

وأقدّم عظيم شكري إلى والديّ العزيزين، وإلى إخوتي وأخواتي الذين دعموني وشجّعوني على خوض غمار معركة العلم........ وأخصّ بالذكر أخي إيهاب "أبو أريب"، وأختي "هناء"، لوقوفهما إلى جانبي في أحلك الأوقات.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

صورة اليهود في شعر العصر المملوكي الأول (648هـ - 784هـ)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يُقدم من قبل لنيل أية درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: | **اسم الطالبة:**

Signature: | **التوقيع:**

Date: | **التاريخ:**

فهرس المحتويات

صورة اليهود في شعر العصر المملوكي الأول (648هـ-784هـ)

إعداد

ميساء تحسين مصطفى قط

إشراف

الدكتور رائد عبد الرحيم

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة " صورة اليهود في شعر العصر المملوكي الأول (648هـ-784هـ)"، إذ تُعدّ هذه الدراسة العلمية الأولى، التي كشفت النقاب عن حياة اليهود، وصفاتهم، كما ظهرت في شعر شعراء العصر المملوكي الأول، فقد كثرت المؤلفات والمصادر التاريخية التي فصّلت الحديث عن حياتهم، ولكنّ صورتهم في الشعر لم تُعط حقّها من الدراسة.

لذلك جاءت هذه الدراسة لتحقق أهدافها وهي: توضيح الصورة التي قدّمها الشعر لحياة اليهود الدينية، وبيان الملامح الاجتماعية لحياتهم وعلاقاتهم مع المسلمين، والكشف عن أخلاقهم وصفاتهم التي أظهرها الشعر لهم، وبيان الخصائص الفنية التي امتاز بها الشعر الذي تحدّث عن اليهود.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي الجمالي ، واتكأت على التاريخ في الفصل الأول من الدراسة.

ومهّدت الدراسة بالحديث عن حضور اليهود في الشعر السابق للعصر المملوكي، ومن ثمّ فصّلت الحديث في الفصل الأول عن ملامح حياتهم السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية. أمّا في الفصل الثاني، فقد أشارت إلى ملامح حياتهم الدينية والاجتماعية في الشعر،من حيث الوقوف على معتقداتهم، وموقفهم من الأنبياء، وكنسهم، وعلاقاتهم الاجتماعية.

وفي الفصل الثالث أشارت إلى أخلاقهم وصفاتهم السلبية التي عُرفوا بها،حيث لم تبرز لهم أية صفة إيجابية. وفي الفصل الرابع درست الشعر دراسة فنية، ووقفت على بنية القصيدة، واللغة والأسلوب،والمحسّنات البديعية، والصورة الفنية.

وقد خلصت من ذلك بنتائج مهمة منها:أنّه ظهرت لليهود صفات إيجابية في العصور السابقة للعصر المملوكي،كالعصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصر العبّاسي والأندلسي ، في حين لم تظهر لهم أيّة صفة إيجابية في شعر العصر المملوكي، ولم ترد لهم أي قصائد في هذا العصر، مع العلم أنّ اليهود عاشوا حياة مستقرة في العصر المملوكي، وعملوا في وظائف عديدة.وكانت قصائد المديح النبوي من أكثر القصائد التي تطرقت للحديث عن أخلاق اليهود وصفاتهم، وكشفت زيف توراتهم، وحمق ادعاءاتهم.

أمّا الدراسة الفنية، فقد كشفت عن شعر رصين متين، أجاد فيه الشعراء مطالعهم، ومقدّماتهم، وأحسنوا التخلص والخواتيم فيها،ونوّعوا في أساليبهم، واستخدموا المحسّنات البديعية دون تكلف، وقد جاءت الصورة الفنية متعددة الوسائل، كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، و استمد الشعراء صورهم من مصادر متعددة كالطبيعة النباتية، والحيوانية، والصناعية، ومن القرآن الكريم، ومن التاريخ وقصصه، أمّا خصائص هذه الصورة، فقد ظهرت الصورة البصرية، والسمعية، والشمية، والذوقية، وامتازت صورهم باللون، والصوت، والحركة.

المقدمة

عاش اليهود في كنف الدولة المملوكية، وعدّتهم الدولة من رعاياها كونهم من أهل الذمّة الذين ترتبت لهم حقوق، وكان عليهم واجبات، وبذلك شكّلوا جزءا لا يتجزّأ من عناصر المجتمع في مصر والشام –في حدود ماأعلم–

وقد وُجدتْ أشعارٌ وصفت اليهود وصوّرتهم في العصر المملوكي الأول، ولكنّ هذه الأشعار لم يلتفت إليها الباحثون ليجمعوها في دراسة شاملة متكاملة، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتؤدي هذا الدور فكانت الأولى في هذا الصدد، ولتدرس صورتهم في أشعار تلك الحقبة دراسة موضوعية وفنية. وعلى الرغم من عدم وجود دراسة علمية شاملة عن اليهود في الشعر المملوكي الأول إلّا أنّ هناك بعض الدراسات التي يمكن الإفادة منها وهي:

1. المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري،أشار فيها المؤلف مخيمر صالح إلى ملامح ثقافة البوصيري الدينية، التي ساعدته في الردّ على اليهود والنصارى، وذكر الأبيات التي ردّ فيها على النصارى واليهود،وجاء بنصوص من التوراة والإنجيل،وأورد الأبيات التي جادل فيها البوصيري النصارى واليهود في قصيدته" المخرج والمردود على النصارى واليهود" معتمدا على نصوص التوراة والإنجيل،ولكنّه لم يتطرق إلى أشعار أخرى قيلت في اليهود.

2. المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، تطرق فيها المؤلف محمود سالم محمد إلى موضوع مجادلة النّصارى واليهود في العصر المملوكي،وذكر بعض الأبيات التي قالها البوصيري في مجادلة النصارى واليهود، ولم يذكر شعرا لغيره قيل في اليهود.

3. صورة المجتمع في الشعر المملوكي، رسالة دكتوراه، تحدثت فيها الباحثة هناء سبيناتي عن النقد الاجتماعي الذي ظهر في قصائد العصر المملوكي، وأشارت إلى نقد البوصيري للمستخدمين ومنهم اليهود الذين حلّلوا لأنفسهم أموال الطوائف جميعها، وأثبتت أبيات البوصيري التي تبيّن تحكم الموظفين اليهود في الدوائر الحكومية في تلك الفترة.

4. أدب العصر المملوكي الأول، تحدث فيها المؤلف فوزي محمد أمين عن المستخدمين من أهل الذمة الذين تطاولوا على المسلمين، وأشار إلى موقف اليهود من أنبياء بني إسرائيل، وما عُرفوا به من تحريف وتزوير،وذلك من خلال همزية البوصيري، فقد عرض الأبيات التي ردّ فيها عليهم، ووصف مزاعمهم كالبداء، وادعاءهم أنّ الله بشر عندما جسّموه، ولم يشر إلى موقف شعراء آخرين من اليهود.

5. الحركة الشعرية في حلب الشهباء، للمؤلف أحمد فوزي الهيب، فقد وقف على نصوص الأشعار التي قيلت في اليهود، وكانت متعددة الموضوعات وكان يدعّم تحليله بالمادة التاريخية.

واستفادت الباحثة من المصادر التاريخية التي وقفت على حياة اليهود وعلى الوقائع التاريخية التي أشارت إلى قيود اللباس التي فُرضت عليهم في فترات كانوا يتطاولون فيها على المسلمين، ويعيشون حياة بذخ وترف، مثل كتابي الخطط والآثار والسلوك للمقريزي، وتتمة المختصر لابن الوردي.

وقد اعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي الجمالي، واتكأت على التاريخ، وذلك بالرجوع إلى المصادر التاريخية، لدعم المادة الشعرية، فقد جمعت الباحثة المادة الشعرية من مظانّها المختلفة، ثمّ حلّلتها لتعنون الفصول، ومن ثم درست الشعر دراسة فنية، تناولت من خلالها بعض القضايا الفنية، وكانت الباحثة تعرض الأشعار التي قيلت في موضوع واحد وفق التسلسل التاريخي، مبتدئة بالشاعر الأقدم فالأحدث وفق تاريخ الوفاة، وكانت تعرض صفات اليهود وأخلاقهم، وفق كثرة الأشعار التي قيلت في كل صفة، فكانت تبدأ بالصفة التي أكثر الشعراء الحديث عنها، وعملت الباحثة على ترجمة الشخصيات المغمورة من الشعراء والأعلام، الذين عثرت لهم على تراجم في حين لم تعثر على ترجمة لقلة منهم، ونظرا لقلة القصائد والأشعار التي قيلت في اليهود فإنّ الباحثة اضطرت إلى تكرار بعض الأشعار التي وردت في الدراسة الموضوعية حيث تناولت الشعر فنياً.

وقسّمت الدراسة إلى تمهيد، وأربعة فصول:

وقف التمهيد على حضور اليهود في العصور السابقة للعصر المملوكي: العصر الجاهلي والإسلامي، والعباسي، والأندلسي.

وناقش الفصل الأول الملامح العامة لحياة اليهود، واتكأ على المصادر التاريخية، وبيّن ملامح حياة اليهود السياسية، والدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والثقافية.

في حين وقف الفصل الثاني على الحياة الدينية والاجتماعية لليهود في شعر العصر المملوكي الأول، وكشف عن معتقدات اليهود، وادّعاءاتهم الباطلة، وموقفهم من الأنبياء، ووقف على العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين المسلمين واليهود، التي ظهرت من خلال التداوي عندهم، والتغزّل بنسائهم، وغير ذلك.

وجاء الفصل الثالث من الدراسة، ليدرس الشعر الذي تناول أخلاقهم وصفاتهم، فكان بعضها مرتبطاً بعقيدتهم كالجحود والتكذيب، والكفر والعناد، والغي والضلال، وبعضها الآخر مرتبطاً بصفاتهم السلبية كالتزوير والسرقة، وخيانة العهود والمواثيق، وغيرها.

وتناول الفصل الأخير الأشعار التي قيلت في اليهود، ودرسها دراسة فنية، فتناول بنية القصيدة، واللغة والأسلوب، والصنعة البديعية، والصورة الفنية، و ختمت الرسالة بخاتمة اختصرت فيها أهمّ النتائج التي توَّصلت إليها الدراسة.

تمهيد

حضور اليهود في الشعر السابق للعصر المملوكي

كان لليهود حضور في الشعر العربي على مرّ العصور وقد تعامل معهم المسلمون، وعاش اليهود حياتهم الخاصة، ومارسوا المهن التي تحقق لهم دخلاً.

ويرى الدكتور نصرت عبد الرحمن أنّ " أكثر الصور اليهودية ظهوراً في الشعر الجاهلي هي صورة التجر اليهود أصحاب حانات الخمر"[1]

فقد ظهر من خلال الشعر أنّ اليهود في العصر الجاهلي عملوا في تجارة الخمور، وكان لديهم علم بصناعتها وتعتيقها، وذكر ذلك غير شاعر، حيث يَظهر الأعشى الكبير"ميمون بن قيس" معجباً بالخمّار اليهودي الذي يصلي على خمرته، ويدعو، ويتعوّذ[2]، فيقول[3]:

(المتقارب)

وصهباءَ طافَ يهوديُّها وأبرَزَها وعليها خَتَمْ
وَقابلَها الرّيحُ في دنّها وَصلّى على دنّها وارتَسَمْ

وتظهرُ خبرة اليهود بتعتيق الخمور، وإتقان صناعتها، من خلال ما قاله الشاعر عدي ابن زيد العبادي[4]:

---

[1] عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**. ط2. عمان: مكتبة الأقصى. 1982م، ص27.

[2] يُنظر: الديك، إحسان: **الآخر وأثره في شعر الاعشى الكبير**(ميمون بن قيس)، مجلة مجمع اللغة العربية الفلسطيني، ع 24، 2000م، ص23.

[3] الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس (ت 7هـ): **ديوان الأعشى**: تحقيق: فوزي عطوي، (د.ط). بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، 1968م، ص151، 152.

[4] العبّادي، عدي بن زيد بن جماد بن زيد: **ديوان عديّ بن زيد العبّادي**، تحقيق: محمد جبّار المعيبد (د.ط)، بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د.ت)، ص17.

(الخفيف)

صـــانها التـــاجرُ اليَهـــودِيُّ حَوْلَيـــــ ـــــنِ فَـــأذْكَى مـــن نَشْـــرِها التعتيـــقُ
ثُـــمَّ فـــضَّ الختـــامَ عَـــنْ حاجِـــبِ الـــدَّ م نِّ وحانَـــــتْ مِـــــنَ اليَهُـــوديِّ سُـــوقُ

ويصف المرقش الأصغر الخمر الذي اشتراه اليهود، فيقول[1]:

(الطويل)

سَـــبَاها رِجـــالٌ مِـــنْ يَهـــودَ تباعَـــدوا لجيلانَ[2] يُـــدْنيها مِـــنَ السُّـــوقِ مُـــرْبِحُ

وتظهر صورة التجار أصحاب السفن[3] في قول عبيد بن الأبرص[4]:

(الطويل)

جَوانِبَهـــا تَغشَـــى المتـــالفَ[5] أَشْـــرَفَتْ عَلَـــيهِنَّ صُـــهبٌ[6] مِـــنْ يَهـــودَ جَنُـــوحُ

ولم يكتف شعراء العصر الجاهلي بالحديث عن اتصاف اليهود بتجارة الخمور وبيعهـــا، وإنّما تحدثوا عن بنيانهم، ووصفوه بالضخامة وكانوا إذا أرادوا أنْ يشبّهوا شـــيئاً بالضـــخامة، شبهوه ببنيان اليهود، فهذا امرؤ القيس يشبه ناقته لطولها ببنيان اليهـــودي[7]، " إظهـــاراً لقوتهـــا وصلابة عودها"[8] فيقول[9]:

---

[1] الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى (ت 168هـ): **المفضليات**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هـــارون، ط3، بيروت: دار المعارف، 1964م، ص242.

[2] قومٌ من أبناء فارس انتقلوا من نواحي اصطخر، فنزلوا بطرف من البحرين، فغرسوا وزرعوا، وحفروا، وأقاموا هناك، فنزل عليهم قوم من بني عجل، فدخلوا معهم. يُنظر:الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبـــد الله(ت622هــــ): **معجم البلدان**. ج2، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م، ص234.

[3] يُنظر: عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، ص27.

[4] ابن عوف، عبيد بن الأبرص(ت 25 ق.هـ)، **ديوان عبيد بن الأبرص**. شرح وتقديم :عمـــر فـــاروق الطبـــاع (د.ط)، بيروت: دار القلم، 1994م، ص30.

[5] المتالِف: المواضِع الخَطِرَة والمهالك، يُنظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم(ت711هــــ):**لســـان العرب**،(د.ط)، بيروت: دار صادر، 1960م. مادة تَلَفَ.

[6] صُهُبُ: كناية عن كونهم من غير العرب، أو الملّاحون ذوو الشعور الصُّهب: يُنظر: **لسان العرب**: مادة صَهَبَ.

[7] يُنظر: امرؤ القيس، ابن حجر الكندي (ت 80 ق.هـ). **ديوان امريء القيس** (د.ط). بيـــروت: دار صـــادر. 1958م. ص134.

[8] عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، ص27.

[9] **ديوان امرئ القيس**، ص134.

(الطويل)

فَعَزَّيْتُ نَفْسِــي حــينَ بــانوا بِجَسْــرَةٍ[1]   أمُــونٍ[2] كَبُنيــانِ اليهــوديِّ خَيْفَــقِ[3]

ويتغزل الشاعر قيس بن الخطيم بمحبوبته عمرة التي يعمّ الخير بوجودها وهي التي ينفح جلبابها القرنفل والزنجبيل، وعندما تغيب تجف ضروع النياق من الجدب وتهزل أصلابها، ثــم يشير الشاعر إلى أنّ اليهود قد رفعوا "عمرة" في محاريبهم إلى قبة تقترب من السماء[4] فيقول[5]:

(المتقارب)

نَمَتْهـــــا اليَهــــودُ إلــــى قُبّـــــةٍ   دُوَيْـــــنَ السَّـــــماءِ بِمِحرابِهـــــا

واليهود يصورون في محاريبهم الشمس لا المرأة، فالشمس هي التي يؤدي رحيلها إلــى الجدب وليست المرأة، فما كانت عمرة إلّا رمزاً للشمس التي تشرق فتزهر الأرض ويعمّ الخير[6].

ويظهر إعجاب الأعشى بحصونهم، وبخاصة حصن "الأبلق" الذي كــان لعاديــا والــد السموأل[7]، فيقول[8]:

(الطويل)

وَلا عادِيــاً لــم يَمْنَــعِ المــوتَ مالُــهُ   وحِصــنُ تيْمــاءَ اليهــوديُّ أَبْلَــقُ

---

[1] عظيمة وضخمة وطويلة، **لسان العرب**، مادة جَسَرَ.

[2] أمِنَت العثار والإعياء، **لسان العرب**، مادة أمن.

[3] فرس خيفق أي طويلة. **لسان العرب**، مادة خفق.

[4] يُنظر: عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، ص121، 122.

[5] ابن الخطيم، قيس (ت 2 ق.هـ): **ديوان قيس بن الخطيم**. (د.ط)، بيروت: دار صادر، 1967م، ص135.

[6] يُنظر: عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، ص127،122.

[7] هو ابن غريض بن عادياء، ومنهم من قال هو السموأل بن عادياء، وأمه من غسّان، وهو صاحب الحصــن المعــروف بالأبلق بتيماء، وكان هذا الحصن لجده عادياء، واحتفر فيه بئراً عذبة، ضُربَ به المثل في الوفاء لأنّه رضي بقتل ابنه، ولم يَخُنْ أمانته في أدرع امريء القيس. تُوفي قبل الهجرة باثنين وستين عاماً. يُنظر: العبّاســي، عبــد الــرحيم بــن أحمــد (ت 963هـ): **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**. ج1. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ط) بيروت: عالم الكتب، 1947م، ص388-389.

[8] **ديوان الأعشى**، ص140.

ووقف الشعراء عند صفات اليهود الإيجابية، ولم يذكروا لهم صفاتٍ سلبية، حيث أشار الأعشى إلى خلق الوفاء الذي اتصف به السَّمَوْأَل، يقول[1]:

(البسيط)

كُنْ كالسَّموأَلِ إذْ سارَ الهُمامُ لَهُ   في جَحْفَلٍ كَسوادِ الليلِ جرَّارِ
إنّ لَهُ خَلَفاً إنْ كنْتَ قاتِلَهُ   وَإنْ قَتَلْتَ كَريماً غيرَ عُوّارِ
مالاً كثيراً وَعِرْضاً غيرَ ذي دَنَسٍ   وَإخْوةً مثلَهُ ليسوا بأشرارِ

فالشاعر يفتخر بخلق السموأل، ويدعو كل شخص أن يكون كالسموأل، الذي لم تخفه جحافل الجيوش الجرارة، فقد حافظ على أدرع امرئ القيس، وكان السموأل، صاحب مال، ولا يمكن لأحد أن يدنّس شرفه، وكذلك أخوته لم يكونوا أشراراً.

فقد ضحّى بابنه حفاظاً على أدرع امرئ القيس، يقول الأعشى في القصيدة نفسها[2]:

(البسيط)

واختارَ أدراعَهُ أَنْ لا يُسَبَّ بِها   ولم يَكُنْ عَهْدُهُ فيها بِخَتّارِ
وَقالَ: لا أشْتري عاراً بِمَكرُمَةٍ   فاختارَ مَكْرُمَةَ الدنيا عَلى العارِ
والصبْرُ مِنهُ قَديماً شيمَةٌ خُلُقٌ   وَزَنْدُهُ في الوفاءِ الثاقبُ الواري

لقد خطَّ التاريخ هذه القصة، حتى غدا السموأل مضرباً للمثل، عندما آثر أنْ يضحّيَ بابنه على أنْ ينكث بالعهد الذي أخذه على نفسه[3]، فقد حافظ على العهد الذي قطعه على نفسه، ورفض المال لأنه سيجلب له العار، والسموأل صبورٌ على كل ما ينوبه، لا يتهوّر من أجل مصالحه، والوفاء شيمته وخُلُقه.

ووُجد في العصر الجاهلي شعراء يهود شاركوا في الحياة الأدبية في ذلك العصر، فنظموا في الكرم والوفاء والشجاعة ووصف الطبيعة والمرأة، ولكنّ ما وصل من شعرهم قليلٌ

---

[1] **ديوان امرئ القيس**، ص117.

[2] **ديوان الأعشى**، ص 117، 118.

[3] يُنظر: الأسطة، عادل: **اليهود في رواية منيف "أرض السواد" على ضوء صورتهم في الأدب العالمي والعربي**، مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) ، ع1، مج 13، 2005م، ص32.

جداً لا يعدو بضع أبيات وقصائد مبعثرة في أمهات كتب الأدب العربي، ولعلّ قلة ما وصل من شعرهم مرده الى العداء الذي كان بين اليهود والعرب، وكان ضعف إقبال اليهود على اعتناق الإسلام سبباً آخر في ذلك، ودليل ذلك أنّ الشعر الذي وصل من الجاهلية كان لشعراء اعتنقوا الإسلام، مع العلم أنَّ بعض اليهود قد انتحلوا شعراً لإثبات سابقتهم في الجاهلية على لسان شعرائهم وشعراء العرب، وهذا يتضح من خلال النظر إلى قصائد السموأل، فلم يكن هناك أكثر صيتاً وأبعد شهرةً من السموأل بن عادياء[1]. فقد كان من أشهر الشعراء الجاهليين حيث ظهر في شعره مهتماً بالأخلاق الفاضلة، يقول[2]:

(الطويل)

إذا المرءُ لم يُدْنَسْ مِنَ اللُّؤمِ عِرضُهُ فَكُلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ
وإنْ هوَ لمْ يَحْمِلْ على النفسِ ضَيْمَها فَلَيْسَ إلى حُسْنِ الثّناءِ سَبيلُ

ونظم أيضاً في العلم بالخلق والبعث، حيث يقول متحدثاًعن بدء خلق الإنسان[3]:

(لخفيف)

نُطْفَةٌ ما مُنِيَتْ يومَ مُنيْتُ أُمِرَتْ أَمْرَها وَفيها بُريتُ
كَنَّها اللهُ في مَكانٍ خَفِيٍّ وخَفِيٌّ مَكانُها لَوْ خَفِيتُ
مَيْتَ دَهْرٍ قَدْ كُنْتُ ثُمَّ حَيِيتُ وَحَياتي رَهْنٌ بِأنْ سَأَموتُ

تظهر في الأبيات ثقافة السموأل الدينية وإيمانه بالخلق، وبالموت، فكل بداية لها نهاية.

وكان أيضاً سعية بن غريض[4]،

---

[1] يُنظر: ولفنسون، إسرائيل: **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام** (د.ط). مصر: مطبعة الإعتماد، 1927م، ص23-26.

[2] ابن عاديا، السموأل، (ت 62هـ): **ديوان السموأل**. تحقيق: عيسى سابا، (د.ط) ،بيروت: دار صادر، 1951م، ص114.

[3] **ديوان السموأل**، ص25.

[4] هو سَعية بن الغريض اليهودي، وهو أخو السموأل بن عادياء، يهودي شاعر جاء اسمه في المؤتلف شعية بن غريض و له أشعارٌ جيادٌ في بني قريظة. يُنظر: الجمحي، أبو عبد الله بن محمد بن سلّام بن عبد الله (ت 231هـ): **طبقات فحول الشعراء**، ج1، تحقيق: محمد محمود شاكر(د.ط)، القاهرة: مطبعة المدني، 1974م، ص285-288، الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر(ت370هـ): **المؤتلف والمختلف**. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1982م، ص143.

والربيع بن الحقيق[1]، من أشهر شعراء اليهود في الجاهلية، وقد تنوعت موضوعات شعرهم حيث كتبوا في الفخر، والحماسة، والنقائض، والحِكم، والمدح والوصف، والرثاء، والغزل[2]، وكان غزلهم بنسائهم محاكاة لما ورد في أسفارهم القديمة، فقد قدّروا المرأة التي تعمل وتكدُّ ولكن الغزل الذي وصلنا كان قليلاً ناضب العاطفة[3]. فهذا أبو الذيال اليهودي[4]، يفتتح قصيدته بذكر ديار محبوبته، فيتغزل قائلاً[5]:

(البسيط)

هَيفاءُ يَلْتَذُّها مُعانِقُها ... بَعْدَ عِلالِ الحَديثِ والنَّجَدِ
تَمشي إلى نَحْوِ بيْتِ جارَتِها ... واضِعةً كَفَّها علَى الكَبِدِ

ويظهر غزله غزلاً حسّياً صريحاً.

أمّا في شعر عصر صدر الإسلام، فقد ظهر اليهود بصورة مغايرة، بسبب معاداتهم المسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم، واختلاف العقيدة، فقد اشتد العداء بين الطرفين فهذا عبد الله بن رواحة يعرّض بالأوس؛ لأنّهم تحالفوا مع اليهود على الخزرج بعد أنْ كانوا يحتقرونهم، يقول[6]:

(الوافر)

زَعَمْتُمْ أنّما نلتُمْ مُلوكاً ... ونَزعُمُ أنّما نِلْنا عبيداً
وَ كُنتمْ تدّعونَ يهودَ مالاً ... ألانَ وَجَدْتُمُ فيها يهوداً؟

---

[1] هو من يهود بني النضير، ترأس قومه في بُغاث، كان معاصراً للنابغة الذبياني، أنشده بعض أبياته، فأُعجب به، وعدّه أشعر الناس، يُنظر: الجمحي، أبو عبد الله بن محمد بن سلّام بن عبد الله: **طبقات فحول الشعراء**، ج1، ص281 –282.

[2] يُنظر: مقداد، عبد الله جبريل: **شعر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام**، (د.ط)، عمّان : دار عمّار ، 199م ،ص145.

[3] يُنظر: **المرجع نفسه**، ص179.

[4] هو شاعرٌ جاهلي يهودي، شهد الإسلام ولم يسلم، عدّه ابن سلّام من شعراء اليهود. يُنظر: الجمحي، أبو عبد الله بن محمد بن سلّام بن عبد الله: **طبقات فحول الشعراء**، ج1، ص290–294.

[5] مقداد، عبد الله جبريل: **شعر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام**، ص170.

[6] ابن رواحة، عبد الله (ت 8هـ): **ديوان عبد الله بن رواحة**، شرح: وليد قصّاب، ط2، جامعة الرياض: دار العلوم، 1982، ص58.

ويخاطب الأوس، ويشير إلى اعترافهم بأنّ الخزرج ملوك، ولكن الشاعر يرى أنّ الأوس عبيد بسبب تحالفهم مع اليهود أعداء الإسلام، وطمعهم في أموالهم[1].

وعندما يغزو الرسول صلى الله عليه وسلم بني قريظة، فإنَّ حسّان بن ثابت يقف منافحاً عن المسلمين، ويصف شجاعتهم في قتال اليهود، وينعت اليهود بصفات الذلِّ والهوان، حيث يقول[2]:

(الوافر)

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ ما ساءَها — وَما وَجَدَتْ لِذلٍّ مِنْ نصيرِ
أَصابَهُمُ بلاءٌ كانَ فيهِمْ — سِوى ما قَدْ أَصابَ بَني النّضيرِ
غَداةَ أتاهُمْ يهوي إِلَيْهِمْ — رسولُ الله كالقمرِ المُنيرِ
لَهُ خيلٌ مجنَّبَةٌ[3] تعادى — بِفُرسانٍ عَلَيْها كالصُّقورِ

فقد بُهت بنو قريظة بما أصابهم من ذل، ولم يجدوا لهم نصيراً فكانت حرب الرسول صلى الله عليه وسلم، بلاءً أصابهم وهو ما أصاب بني النضير من قبل، عندما هوى إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنور إيمانه الذي أيده الله به، وبجيشٍ جرار على خيول سريعة تحمل فوق ظهورها فرساناً لا يهابون الموت، ويهجمون بشجاعة الصقور المحلّقة في السماء.

وقال أيضاً في يوم بني قريظة حين حاصرهم الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى نزلوا على حُكم سَعد بن معاذ، رضي الله عنه[4]:

(الوافر)

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ ما عَظاها — وَحَلَّ بِحِصْنِها ذلٌّ ذَليلُ
وَسَعْدٌ كانَ أنذَرَهُمْ نَصيحاً — بِأَنَّ إلهَهُمْ ربٌّ جَليلُ

---

[1] ابن رواحة، عبد الله (ت 8ه): **ديوان عبد الله بن رواحة**، ص57.

[2] الأنصاري، حسان بن ثابت(ت 54ه): **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، شرح: محمد عزت نصر الله. (د.ط) بيروت: دار إحياء التراث العربي(د.ت). ص133.

[3] بعيد ما بين رجليها، **لسان العرب**، مادة(جَنَب).

[4] **ديوان حسّان بن ثابت**، ص196.

فمـــا برِحـــوا بِـــنَقضِ العهـــدِ حتـــى غَـــزاهُمْ فـــي ديـــارِهِمُ الرّســـولُ

فالشاعر يشيرُ إلى خيانة اليهود ونقضهم العهد الذي كانوا قد قطعوه أمام الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنَّهم خانوه، وتآمروا عليه، ما أورثهم ذلاً وإهانةً؛ وبهـــذه الصـــفات الســـلبية استحقوا أنْ يُنبذوا وأنْ يقاتِلَهم الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد أفرزت حروب الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود، تراثاً شعرياً كبيراً من شعر المسلمين واليهود، حيـــث ظهـــر الجـــدلُ بوضوح بين اليهود والمسلمين، فقد صوّر الشعر هذا الجدل في نقائضه، فهذا كعب بن مالـــك[1] يذكر إجلاء بني النضير،وقتل كعب بن الأشرف[2]، فيقول[3]:

(الوافر)

لَقَـــدْ خَزِيَـــتْ بِغَـــدْرَتِها الحُبـــورُ[4] كـــذاكَ الـــدّهْرُ ذو صَـــرْفٍ يـــدورُ
وذلـــكَ أنَّهُـــمْ كَفَـــروا بِـــرَبٍّ عَزيـــزٍ أمْـــرُهُ أمْـــرٌ كَبيـــرُ

فالشاعر يشير إلى صفة الغدر التي امتاز بها اليهود، وبكفرهم بالله عزَّ وجَلَّ، مع علمهم بصدق الإسلام، وصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. فيجيبُه الشاعر سِماك اليهودي[5]، ويشيد بشخصية كعب، وعلوّ مكانته وسعة علمه واطلاعه، فيقول[6]:

---

[1] هو كعب بن مالك بن أبي كعب، كانت كنيته في الجاهلية(أبا بشير)، فلقبه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا عبد الله فـــي الإسلام، لم يكن لوالده من الأولاد سواه، شهد العقبة وبايع بها، وتخلّف عن بدر وشهد أحداً، وتخلف في تبوك، وهو أحـــد الثلاثة الذين تيبَ عليهم، رثى عثمان بن عفان لما قُتِلَ، مات بالشام في خلافة معاوية: يُنظر: ابن حجرالعسقلاني، شـــهاب الدين أبو الفضل أحمد(ت 852 هـــ): **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج5: تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل، 1992م: ص610-612.

[2] هو من طيء وأمه من بني النضير، كان سيداً في أخواله، بكى قتلى بدر، وشبّب بنساء الرسول صلى الله عليه وســـلم، ونساء المسلمين، فأمر صلى الله عليه وسلم محمداً بن مسلمة ورهطاً معه من الأنصار بقتله فقتلوه وكان ذلك بعد غـــزوة بدر. يُنظر: ابن هشام، جمال الدين أبومحمد(ت218ه): **سيرة ابن هشام**، ج3،تحقيق: إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مصطفى السقا، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث،(د.ت) ص54-61.

[3] ابن هشام، جمال الدين أبومحمد: **سيرة ابن هشام**، ج3، ص205.

[4] الحُبور: جمع حبر وهو العالِم: أحبار اليهود: علماؤهم، **لسان العرب** مادة (حَبَرَ).

[5] هو من الشعراء اليهود له شعر في السيرة يتوعد المسلمين ويهددهم بيوم عليهم وبغارةٍ فيها أبو سفيان، وله شعرٌ يردّ فيه على كعب بن مالك، يُنظر: عبد الرحمن، عفيف: **معجم الشعراء الجـــاهلين والمخضـــرمين**. (د.ط)، (د.م): دار العلـــوم، 1983م، ص156.

[6] ابن هشام، جمال الدين أبو محمد: **سيرة ابن هشام**، ج3، ص200.

(الوافر)

أَرِقْـــتُ وَضـــافَني هَـــمٌّ كَبيـــرُ   بِلَيْـــلٍ غَيْـــرُهُ لَيْـــلٌ قَصـــيرُ
أرى الأحبـــارَ تُنْكِـــرُهُ جَميعـــاً   وَكُلُّهُـــمُ لَـــهُ عِلْـــمٌ خَبيـــرُ
قَتَلْـــتُمْ سَـــيِّدَ الأحبـــارِ كَعْبـــاً   وَقِـــدْماً كـــانَ يَـــأمَنُ مَـــنْ يُجيـــرُ

أمّا الشاعر عباس بن مرداس[1]، فقد بكى بني النضير بعد جلائهم؛ لأنهم كانوا أخلّاءه في الجاهلية، فقال[2]:

(الطويل)

لَـــوْ أنَّ قَطـــينَ الـــدارِ لـــمْ يَتَحَمَّلُـــوا   وَجَـــدْتُ خِـــلالَ الـــدارِ مَلْهـــى وَمَلْعَبـــا
فإنَّـــكَ عُمْـــري هـــل رَأيْـــتَ ظعائِنـــاً   سَـــلَكْنَ عَلـــى رُكْـــنِ الشَـــطا فَتَيْأَبـــا
إذا جاءَ بـــاغي الخَيْـــرِ قُلْـــنَ بَشاشَـــةً   لَـــهُ بِوُجـــوهٍ كالـــدَّنانيرِ مَرْحَبـــا

فهو يجزع لإجلائهم؛ بسبب قضائه أوقات اللعب واللهو معهم، ولأنهم كـــانوا متفـــائلين مبتسمين.

ومن المعلوم أنَّ حسان بن ثابت كان شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، يـــردّ علـــى المشركين والرسول يشجعه في ذلك، وكان شعراء اليهود يردّون عليه، ومنهم الشاعر "جبل بن جوّال"[3] الثعلبي حيث بكى بني النّضير وقُرَيْظة فقال[4]:

---

[1] هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن رفاعة بن حفصة بن قيس بن عيلان ،ويُكنى أبا الهيثم، وهو أحد فرسان الجاهلية وشعرائها المذكورين. يُنظر: المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران(ت384هـ): **معجم الشعراء.** ط1، بيـــروت: دار الكتب العلمية. (د.ت).ص262.

[2] يُنظر: ولفنسون، إسرائيل: **تاريخ اليهود في بلاد العرب والجاهلية وصدر الإسلام.** ص140.(لم أعثر على الأبيات فـــي المصادر القديمة).

[3] هو جبل بن جوّال الثعلبي، يهودي من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن ريث بن غطفان، كان يهوديا فأسلم، وكانـــت لـــه صحبة، يُنظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد(ت463ه):**الإستيعاب في معرفـــة الأصـــحاب**، مـــج1، تحقيق: علي محمد البجاوي.، ط1، بيروت: دار الجيل،1992م، ص271.

[4] السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي، (ت581هـ): **الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابـــن هشـــام**، ج6، القاهرة: دار الكتب الحديثة. 1967م، ص358.

(الوافر)

ألا يـــا سَـــعْدُ سَـــعْدَ بنـــي معـــاذٍ لِمـــا لقيـــتْ قُرَيْظَـــةُ والنضـــيرُ

فالشاعر يبكي ساداتهم، ويندب موتهم فقد أصبحت بلادهم مُقْفِرَة.

ومن الأغراض الأخرى التي طرقها شعراء اليهود، التهديد والوعيد، الذي تظهــر فيــه نبرة القوة[1]، يقول سماك اليهودي، بعد حادثة قتل بني النضير وإجلائهم[2]:

(المتقارب)

فَـــإنْ لَـــمْ أَمُـــتْ نَـــأْتِكُمْ بالقَنَـــا وكُـــلِّ حُســـامٍ معـــاً مُرهَـــفِ

فهو يتوعد ويهدِّد بأنه سيأتي لقتال المسلمين ومضاربتهم بالسيوف الحادة.

وبذلك يكون عصر صدر الإسلام، حافلاً بشعر الدفاع عن العقيدة الإسلامية، والردّ على اليهود الذين هاجم شعراؤهم المسلمين، ولم يقتصر شعر اليهود على هذا الموضوع فقد كتبوا في الغزل وفي التهديد والوعيد، ولم يَخْلُ شعرهم من نفحات تعليمية تتصل بالخَلْق، أمّــا الشــعراء المسلمون، فإنّهم لم يرسموا إلّا صورة قاتمةً لليهود، تعج بصـــفاتهم الســـلبية كالكـــذب والكفـــر والخداع وخيانة العهود والمواثيق، ولم يشيروا إلى أيِّ صفة إيجابية لهم.

أمّا في العصر العباسي، فإنّ الشعراء أشاروا إلى صفات سلبية وأخرى إيجابية لليهـــود، فقد برزت صورة الخمّار اليهودي في خمريات أبي نواس وغزلياته، حيث وقف عنـــد صـــفات سلبية أخرى لصاحب خمارة يهودي، وروى القصة التي حصلت معه ورفاقه، فيقول[3]:

(الطويل)

وفتيانِ صِـــدْقٍ قَـــدْ صَـــرَفْتُ مَطِـــيّهُمْ إلى بيْتِ خمّـــارٍ نَزَلْنـــا بـــهِ ظُـــهْـــرَا
فَلَمّا حكَـــى الزُّنّـــارُ: أنْ لَـــيْسَ مُسْـــلِماً ظَنَنّـــا به خَيْـــراً ؛ فَظَـــنَّ بِنـــا شَـــرّاً

---

[1] مقداد، عبد الله جبريل: **شعر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام**، ص202.

[2] ابن هشام، أبومحمد عبد الملك: **سيرة ابن هشام**، ج3، ص208.

[3] أبو نواس، الحسن بن هانيء(ت199ه): **ديوان أبي نواس**، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1987م، ص203.

فَقُلْنا: عَلى دينِ المَسيح بنِ مَريَمٍ؟ فَأَعْرَضَ مُزْوَرّاً، وَقالَ لنا هُجْراً
ولكِنْ يَهوديٌّ، يُحبّكُ ظاهِراً ويُضْمِرُ في المكْنونِ منْهُ لَكَ الخَتْرا[1]
فَقُلْنا لَهُ: ما الاسمُ؟ قال: سَمَوأَلٌ على أنّني أُكنَى بعَمروٍ ولا عَمْرَا
وَمَا شَرَّفَتني كُنْيَةٌ عَرَبيةٌ ولا أَكْسَبَتْني لا سناءً ولا فخْرَا

وتبدو الصفات السلبية لهذا اليهودي من خلال النص الشعري السابق، فهو سيء الظنّ، فقد ظنوا به خيراً، وظنَّ بهم شراً، وهو يرفض أن يكون على دين المسيح، ويعدّ ذلك شتيمةً، وهو حقودٌ يظهر للآخرين أنّه يحبهم، ويضمر لهم الغدر، ولا تشرّفه الكنى العربية، ولا تكسبه ثناءً ولا فخراً[2]. وتظهر عدم ثقته بالآخرين، وخوفه منهم من خلال النص الشعري، عندما يَطلب منه أبو نواس، ورفاقه خمراً فإنّه يُدبرُ عنهم، وينظر إليهم نظرة لئيمة، يقول الشاعر[3]:

(الطويل)

فَأَدْبَرَ كالمُزَوّرِ، يَقْسِمُ طَرْفَهُ: لِأرجُلِنا شَطْراً، وَأَوْجُهِنا شَطْرَا

ولم يقتصر أبو نواس، في شعره على الحديث عن صفات اليهود السلبية، فإنّه يصف غلاماً سامريّاً، كان قد تعلق به ولازمه، ويظهر السامريُّ من خلال النص، عفيفاً طاهراً، يقول[4]:

(الوافر)

بَلَيْتُ مِنَ الشّقاءِ بسامريٍّ، يُعامِلُني الغَداةَ بِلا مِساسِ
يَرَى حَرَجَاً عليْهِ مَسَّ ثَوْبي، وأنْ أُسْقى وإيّاهُ بِكاسِ
وَأَقْسَمَ أنْ لا يُكلّمُني ثلاثاً، بِعِدَّتِهِنَّ إلّا وهْوَ ناسِ

فيرفض هذا السامري الاقتراب من أبي نواس ومن مسّ ثوبه، ويرفض أنْ يشرب من كاسه.

[1] الختر: شبيه بالغدر والخديعة وقيل هو أسوأ الغدر وأقبحه. **لسان العرب**، مادة (ختر).
[2] يُنظر: الأسطة، عادل: **اليهود في رواية منيف "أرض السواد" على ضوء صورتهم في الأدب العالمي والعربي**، ص33.
[3] **ديوان أبي نوّاس**، ص203.
[4] **المصدر نفسه**، ص129.

وهذا المتنبى يستعير من صفات اليهود صفة النميمة والخبث والدسائس، ليسقطها على اليهود، فقد قال في قصيدة رثى فيها صديقا له، ونفى الشماتة عن بني عمّه[1]:

(الطويل)

مَضَى مَنْ فَقَدْنا صَبْرَنا عِنْدَ فَقْدِهِ وَقَدْ كانَ يُعْطي الصَّبْرَ والصَّبْرُ عازِبُ
وَعَرَّضَ أنّا شامِتونَ بموتِهِ وَإلّا فَزارَتْ عارِضَيْهِ القَواضِبُ
أَلَيْسَ عجيباً أنَّ بَيْنَ بَني أبٍ لِنَجْلِ يَهوديٍّ تَدِبُّ العَقارِبُ

فقد جعل الشاعر من كان يمشي فيهم بالنميمة ابن رجل يهودي مبالغة في أجنبيته عنهم، وقد شبّهه باليهودي؛لأنَّ اليهود عُرفوا بالخبث والدسائِس[2].

وفي موضع آخر، يتحدث المتنبي عن عداوة اليهود للسيد المسيح، حيث قرن نفسه بعيسى عليه السلام، وقد عاداه أهل قرية نخلة[3]، فيقول[4]:

(الخفيف)

مَا مُقَامِي بِأرضِ نَخْلَةَ إلّا كَمُقَام المسيحِ بَيْنَ اليَهودِ

وبهذا البيت لُقِّبَ بالمتنبي، لتشبيهه نفسَه بالسيد المسيح، وبصالح ،عليه السلام، فيما بعده[5]، ويُفهم من بيته هذا أنَّ اليهودَ سيئون ولا تجدر الإقامة بينهم، لأنَّ كل من يقيم بينهم سيكون مصيره الموت[6].

---

[1] أبو الطيب المتنبي، أحمد بن الحسين (ت 354هـ): **ديوان المتنبي**، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث، 1969م، ص62.

[2] البرقوقي، عبد الرحمن: **شرح ديوان المتنبي**، ج1، (د.ط)، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت)، ص236.

[3] تصغيرها نُخيلة ، وهي موضع قرب الكوفة، يُنظر: الصلّابي، علي محمد: **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**،ج1، ط2، بيروت: دار المعرفة، 2008م، ص477.

[4] أبو الطيب المتنبي، أحمد بن الحسين: **ديوان المتنبي**، ص20.

[5] البرقوقي، عبد الرحمن: **شرح ديوان المتنبي**، ج1، ص44.

[6] يُنظر: الأسطة، عادل: **اليهود في رواية منيف** "**أرض السواد**" **على ضوء صورتهم في الأدب العالمي والعربي**، ص34.

ويكشف المتنبي عن دهاء اليهود وفطنتهم، عندما يشير إلى الرجل الذي استخفى عن النّاس ولم يعرفه أحد ، إلّا يهودي، فقال في ذلك[1]:

(الرمل)

لا تَلومَنَّ اليهوديّ عَلى أنْ يَرى الشَّمْسَ فَلا يُنْكِرُها
إنّما اللّوْمُ على حاسِبِها ظُلْمَةً مِنْ بَعْدِ ما يُبْصِرُها

فالشاعر يرى في هذا الشخص شمساً لا يمكن أن تخفى على أحد، ولا يُمكن أنْ يُلامَ اليهودي لأنه عرفه وإنّما اللوم على من رأوه، ولم يتمكنوا من معرفته، لغبائهم.

ويأتي الشاعر أبو العلاء المعري على ذكر اليهود في شعره، فيشير إلى عقيدة السبت عندهم، فيقول[2]:

(المتقارب)

وَمَا النَّاسُ إلّا نَباتُ الزّمان، فْلَيَحْصُدِ القَومُ ما نَبّتوا
فيا للنّصارى، إذا أَمْسَكوا وَيَا لليَهودِ إذا أسْبَتُوا
وَقَدْ سُئِلوا عَنْ عِباداتِهِمْ فَما أيّدوها ولا ثُبّتوا

وفي ذلك سخرية من عدم التزام النصارى واليهود بعباداتهم، وتحايلهم عى دينهم، فقد تحايل اليهود من قبل في صيد السمك يوم سبتهم.

ثم يشير في قصيدة أخرى إلى خيانتهم للعهود والمواثيق، وينعتهم بالجهل وسفاهة الرأي، يقول[3]:

(مجزوء البسيط)

تَرْجُو يَهودُ المسيحَ يَأْتي وَتَأمُلُ الدَّهْرَ أنْ يَهودا
وَكَيْفَ تُرْعى لَهُمْ عُهودٌ مِنْ بَعْدِ ما ضَيَّعوا العُهودا

---

[1] **ديوان المتنبي**، ص185.
[2] (د.م): **أبو العلاء المعري: حياته وشعره.** ط1. بيروت: المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، 1986، ص195.
[3] المرجع نفسه، ص209.

وكُـــــلُّ مـــــا عِنْــــدَهُمْ دَعــــاوٍ حتـــــى يُقيمـــوا بِـــهِ الشُّـــهودا
غَـــــدَوا وأشـــــياخَهُمْ لِجَهْــــلٍ كَوِلْـــــدَةٍ أُوطِنــــوا المُهـــــودا

أمّا في العصر الأندلسي، فتبدو صورة اليهود مغايرةً لصورتهم فيما سبق، فقد كان لهـــم حضورٌ في الشعر العربي في الأندلس.

وتحدث الشعراء الأندلسيون عن حياة اليهود الاجتماعية من خلال الحديث عن اللبـــاس الذي فُرِضَ عليهم، فقد كان الزُّنار صفة جمال وأنوثة لمحبوب يهـــودي[1]، عنـــد أبـــي زكريـــا التّجيبي[2]، يقول[3]:

(الطويل)

أَتـــى يَحْمِـــلُ التَـــوْراةَ ظَبْيَـــاً مُزَنَّـــرا لَطيــفَ التَّثنـــي أَشْـــنَبَ الثَغْـــرِ أَلْعَســـا
وَقابَـــلَ أَحْبـــارَ اليَهــــودِ بِوَجْهِــــهِ فَبــــارَكَ مَوْلانـــا عَلَيْـــهِ وَقَدّســـا

فقد تعلّقت قلوب الأندلسيين ببنات اليهود، وقد شاع عندهم مخاطبتهن بلغة التذكير، وهذا أسلوبٌ شائعٌ في الغزلِ العربيِّ[4]، يقول أحد الشعراء[5]:

(مخلّع البسيط)

وَأَهْيَـــفَ مِـــنْ يَهـــودَ يَرنُـــو بِمُقْلَتَـــــيْ شـــــادِنٍ غَريــــــرِ
أَقْبَـــلَ كالغُصْـــنِ فـــي تَـــأَنٍّ مُمْتَـــزِجَ الأُنْـــسِ بـــالنُّفورِ

---

[1] يُنظر: الشرباتي، نافزة ناصر: **اليهود وأثرهم في الأدب العربي في الأندلس**، عمان: دار محمد دنديس للنشر، 2010م، ص90.

[2] هو يحيى بن أحمد بن إبراهيم بن هُذيل التُّجيبي الغرناطي، أبو زكريا، فيلسوف الأندلس، له علـم بـالأدب والمنطـق والتصوف، والطبّ، والأصول والحساب والهندسة، ومارس مهنة الطب، توفي سـنة 753هـــ. يُنظـر: ابـن حجـر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن حجر (ت852هـ): **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج5. تحقيق: محمد سيد جاد الحق. (د.ط)، القاهرة: دار الكتب الحديثة. (د.ت)، ص 187، 188.

[3] التلمساني، أحمد بن محمد المقري(ت1041 هـ): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج8، تحقيق: محمد البقاعي، ط1، بيروت: دار الفكر، 1986م، ص38.

[4] يُنظر: الشرباتي، نافزة ناصر: **اليهود وأثرهم في الأدب العربي في الأندلس**، ص177.

[5] ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الخزرجي: **نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزمان**، (د.ط)، بيـروت: دار الثقافة، 1967، ص303.

ويظهر الغزل الحسّيُّ في البيتين السابقين، فالشاعر يتغزل بمحبوبته اليهودية، وبضمور خصرها وبطنها، وهو معجبٌ بنظراتها التي ترمقه بها من عينين كعيون الغزلان، وعندما تمشي وتقبل عليه، فإنها تتثنى كغصن الشجرة لينا وتعطفاً وتتأنى في مشيتها، ومما زاد جمال الصورة أنَّ الشاعر جمع بين ضربين من صفاتها فهي هادئة يأنس بها عندما يراها، ويمتـــزج أنســـها، بالنفور فيزداد عشقه وهيامه بها.

وقد ظهر اليهود في شعر المدائح النبوية، عندما عدّهم أحد الشعراء جهـــلاء ســـخفاء، يقول[1]:

(الوافر)

نَبـــــيٌّ لا يَغــــلُّ عَلَيْــــهِ إلّــــا ســــخيفُ العَقْــــلِ ذو رأيٍ مَـــؤوفِ[2]
كأغمــــارِ اليهــــودِ أَوِ النَصــــارى أَوِ الفَلَكِــــــيِّ أوْ كالفيلَســـــــوفِ
فَــــبَعْضٌ للتجاهُـــــلِ والتَّعــــامي وَبَعــــضٌ للتَّحَيُّــــرِ والوُقــــوفِ

حيث لم يعمم الشاعر حكمه على اليهود وإنّما وجهه لجماعةٍ دينية منهم، وقد ظهر هجاءٌ لليهود عامتهم دون تمييز بينهم، كما جاء في قول ابن جُزَي الكلبي[3]، حيث يقول[4]:

(الطويل)

ورُبَّ يَهـــــوديٍّ أَتَـــــى مُتَطَبّبـــــاً لِيَأخُـــذَ ثـــاراتِ اليَهــودِ مِــنَ النّــاسِ

فقد وصفهم بالحقد وسوء السريرة، مع أنّ ظاهر الأبيات يوحي بهجاء الأطبّاء إلّا أنـــه أراد هجاء اليهود بعامة[5].

---

[1] التلمساني، أحمد بن محمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: ج10، ص353.

[2] أصابته آفة. **لسان العرب**، مادة (أَوَفَ).

[3] هو محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن جُزي الكلبي من أهل غرناطة وأعيانها، يُكنى أبـــا عبـــد الله، من شيوخ لسان الدين بن الخطيب، اشتهر في القول بالفتوى وبالأدب والشعر وإتقان الخط، نشأ في غرناطـــة، كتـــب شعرا في المدح وفي النسيب، انتقل إلى المغرب فرزقه الله واستقر فيها، توفي بفاس مبطوناً في سنة 758هـــ. يُنظر: ابن الخطيب، لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**. مج2. تحقيق: محمد عبد الله عثمان، (ط1). القاهرة: مكتبة الخـــانجي، 1974م، ص256-265.

[4] التلمساني، أحمد بن محمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج8، ص80.

[5] يُنظر: الشرباتي، نافزة ناصر: **اليهود وأثرهم في الأدب العربي في الأندلس**، ص214.

وقد ظهر هجاء اليهود في غرض الرثاء والمدح، وفي هجاء الساسة والملوك[1].

وعمل اليهود في وظائف مهمة في الأندلس؛ فقد استكتبهم المسلمون وعيّنوا منهم وزراء، ولكنَّ الشعراء نفَّروا من استكتاب اليهود، فهذا عيسى بن عبد الله الشُريشِي[2]، يخاطب من استكتبهم قائلاً[3]:

(الوافر)

وَتَحْمِي دِيْنَهُ بِالسَيْفِ نَصْرَاً ... وَكَاتِبُكُمْ يُكَذِّبُ مَا يَقُولُ

مَتى نَصَحَتْ يَهودُ العُرْبَ يَوْماً ... أَحِقْدُهُمُ لِأَوْسِكُمُ يَزُولُ

فالشاعر يرى أنَّ المسلمين يدافعون عن الإسلام بحدِّ السيف من أجل نصرته، وفي المقابل يعين الوزراء كتّابهم من اليهود الذين عُرفوا بالكذب والتزوير، والشاعر يتساءل مستنكراً على اليهود أنْ يقدّموا النصح للعُرب، ويعود إلى تاريخ اليهود الأسود مستخدماً أسلوب التناص التاريخي، ويستعير قصة اليهود في حقدهم على الأوس ومكرهم ودهائهم، وخديعتهم للمسلمين وقد غدروا بهم.

وتقف قصيدة الشاعر أبي إسحق الإلبيري[4]، خير شاهد على نقد الشعراء للأمراء الذين يستعينون باليهود في الوظائف الحسّاسة فقد عمل أمير غرناطة باديس بن حبّوس[5] على تعيين

---

[1] يُنظر: **المرجع نفسه**، ص218-220.

[2] هو عيسى بن عبد الله اللّخميّ الذّجي الشّريشيِّ، يُكنى أبا موسى، يُنظر: ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد ابن محمد الأنصاري: **الذيل والتكملة لكتابَيّ الموصول والصلة**، السفر الخامس، قسم 2. تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، بيروت: دار الثقافة (د.ت)، ص498.

[3] **المصدر نفسه**، ص498.

[4] هو إبراهيم بن مسعود الألبيري، يُكنى أبا إسحق، فقيهٌ فاضلٌ زاهدٌ عارفٌ، أكثر الشعراء في ذم الدنيا، وقد أجاد في ذلك، وهو من أهل حصن العقاب القريب من غرناطة وألبيرة، وصف ألبيرة وصفاً دقيقاً بعد خرابها، ثم انتقل إلى غرناطة، أنكر على ملكها أن استوزر اليهودي ابن نغرلّة، فسعى في نفيه إلى ألبيرة فقال شعره المشهور. توفي سنة 459هـ، يُنظر: الضبّي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عُميرة (ت599هـ): **بُغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق: روحيّة عبد الرحمن السويفي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م، ص119، المغربي، ابن سعيد، **المُغرب في حُلى المغرب**، ج2، تحقيق: شوقي ضيف، ط4، مصر: دار المعارف، (د.ت)، ص132.

[5] هو باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي، كنيته أبو مناد الصنهاجي كان يبساً طاغية، شجاعا، حازماً، تسمّى المضفّر بالله، والناصر لدين الله، استولى على دولة باديس كاتبه ابن نغريلّة الإسرائيلي، وكان له ولد اسمه بُلقّين، وقد انحرف عن اليهودي فتآمر عليه، ووضع له السمّ فقتله وجعل التهمة على جواريه، وتتطاول على المسلمين فكتب الألبيري قصيدة يخاطب بها باديس، ويهجوه، ويدعو صنهاجة للثورة على اليهودي، يُنظر: المراكشي، ابن عذارى: **البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب**، ج3، تحقيق: ج. س، كولان، ليفي برفنسال،ط2. بيروت: دار الثقافة. 1993م ص262-267.

اليهودي ابن نغريلّة[1] وزيراً وكاتباً عنده، ولكنّه أفسد في الأرض، وتسلط على العباد، ونُقل عنه كلام من القرآن الكريم فكتب قصيدة كان لها بعدٌ سياسيٌ واجتماعيٌ[2]، فقد كان الألبيري من أشد الناس إحساساً بسوء الأوضاع السياسية في وطنه، ودعا إلى ثورة صنهاجة ضد تسلط اليهود بعامة، وابن النغريلة بخاصة في شؤون الدولة، فكانت قصيدته الشرارة التي أذكت نار الثورة وقتها، وقد اتبع فيها أسلوباً سهلاً ليبلغ كلامه الأفهام[3]. فقال[4]:

(المتقارب)

أَلا قُلْ لِصِنْهاجَةَ أَجْمَعِيْنْ	**بُدورُ الزمانِ وَأُسْدُ العَرِينْ**
لَقَدْ زَلَّ سَيِّدُكُمْ زَلَّةً	**تَقَرُّ بِها أَعْيُنُ الشّامِتينْ**
تَخَيَّرَ كاتِبَهُ كافِرَاً	**ولَوْ شاءَ كانَ مِنَ المُسْلِمينْ**
فَعَزَّ اليَهودُ بِهِ وانتَخَوْا	**وَتاهُوا وكانُوا مِنَ الأَرْذَلِيْنْ**
وَطافُوا لَدَيْنا بِأَخْراجِهِم	**عَلَيْهِمْ صَغارٌ وَذُلٌّ وَهُوْنْ**
وكَيْفَ تُحِبُّ فِراخَ الزِّنا	**وَهُمْ بَغَّضُوكَ إِلى العَالَمِينْ**
وكَيْفَ يَتِمّ لَكَ المُرْتَقَى	**إذا كُنْتَ تَبْنِي وَهُمْ يَهْدِمُونْ**
وكَيْفَ اسْتَنَمْتَ إِلى فاسِق	**وَقارنتَهُ وَهُوَ بِئْسَ القَرِيْنْ**
تَأَمَّلْ بِعَيْنَيْكَ أَقْطارَها	**تَجِدْهُمْ كِلابَاً بِها خاسِئينْ**

[1] هو إسماعيل بن يوسف بن نغريلّة اليهودي، من بيت مشهور في اليهود بغرناطة، آل أمره إلى أنْ استوزره باديس بن حبّوس ملك غرناطة، فاستهزأ بالمسلمين، وأقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يُغنّى بها، فآل أمره إلى أن قتله صنهاجة أصحاب الدولة، من غير أمر الملك، ونهبوا دور اليهود وقتلوهم بعد أن حاول الهرب والاختباء سنة 459هـ. يُنظر: المراكشي، ابن عذارى: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**. ج3، ، ص266. المُغربي، ابن سعيد، **المُغرب في حُلى المغرب**، ج2. ص114.

[2] يُنظر: الأندلسي، أبو إسحق الألبيري: **ديوان أبي إسحق الألبيري**، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1، دمشق: مؤسسة الرسالة، 1976م، ص9.

[3] يُنظر: عباس، إحسان: **تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين**، ط5. بيروت: دار الثقافة، 1978، ص148،136،135.

[4] **ديوان أبي إسحق الألبيري**، ص96-97، وَيُنظر أيضاً: الهَدْلَقْ، محمد بن عبد الرحمن: **قصيدة أبي إسحق الألبيري إلى باديس بن حبوس الصنهاجي، دوافعها وتأثيرها على أهل غرناطة**، مجلة جذور (السعودية)، ج2، مج 1، أيلول 1999م، ص101، وَيُنظر أيضاً: الأسطة، عادل: **اليهود في رواية منيف "أرض السواد" على ضوء صورتهم في الأدب العالمي والعربي**. ص35،34.

يخاطب الشاعر أهل صنهاجة ويدعوهم للثورة على سلطة ابن باديس الذي أخطأ خطـأً أفرح به الأعادي الشامتين من اليهود وأعوانهم، عندما اختار كافراً ليكون كاتبه، وأمين سره، ولو أراد لاختار من المسلمين، وهو بهذا الاختيار رفع من شأن اليهود وأعزهم بعد أن كانوا أراذل، ويتساءل الشاعر نافياً أن ترتقي الدولة وتتطور بوجود اليهود؛لأنهم يهدمون كل تطور عربي إسلامي، فهم فاسقون خرجوا عن طريق الصواب.

وتظهر أوصاف اليهود واضحة من خلال النص السابق، فهم كفّارٌ أراذلٌ، لحقهم الذلّ والهوان، وهم أولاد زنا، فاسقون، كلابٌ. ثم يشير إلى ما فعلوه بالبلاد بعد تعيين هذا الوزير منهم فيقول[1]:

(المتقارب)

وإنّي احْتَلَلْتُ بِغِرْناطَةٍ	فَكُنْتُ أَراهُمْ بِها عابِثِيْنْ
وَقَدْ قَسّموها وأعمالَها	فمِنْهُمْ بِكُلِّ مَكانٍ لَعِينْ
وَهُمْ يَلْبَسونَ رَفيعَ الكِسا	وَأَنْتُمْ لأوضَعِها لابِسونْ

فقد رأى الشاعر كيف عاثوا فساداً بغرناطة، وقسموها إلى أجزاء، وتقاسموها بينهم، وسرقوا أموال المسلمين ولبسوا أفخم الثياب، أمّا المسلمون فقد لبسوا أقلّها شأناً وأرخصها ثمناً. ثم ينعتهم بصفات أخرى، حيث يقول[2]:

(المتقارب)

وَهُمْ أُمَناكُمْ عَلى سِرِّكُمْ	وَكَيْفَ يَكونُ خَؤونٌ أَمينْ
وَقَدْ لابَسوكُمْ بِأَسحارِهِمْ	فَما تَسْمَعونَ ولا تُبْصِرونْ
وَرَخَّمَ قِرْدُهُمْ دارَهُ	وَأَجْرَى إليها نَميرَ العُيونْ
وَيَضْحَكُ مِنّا وَمِنْ دِيْنِنا	فإنّا إلى ربّنا راجِعونْ

---

[1] **ديوان أبي إسحق الألبيري**،ص98–99، الهَدْلَقْ، محمد بن عبد الرحمن: **قصيدة أبي إسحق الألبيري إلى باديس بن حبوس الصنهاجي**، دوافعها وتأثيرها على أهل غرناطة، مجلة جذور (السعودية)، ص102.

[2] **ديوانْ أبي إسحق الألبيري**، ص99، الهَدْلَقْ، محمد بن عبد الرحمن: **قصيدة أبي إسحق الألبيري إلى باديس بن حبوس الصنهاجي**، دوافعها وتأثيرها على أهل غرناطة، مجلة جذور (السعودية)، ص102.

فهو ينعتهم بصفات الخيانة، والسحر، وهم قِرَدة خاسئون، وهم يسخرون من الدين الإسلامي، ويستهزئون بالرسول ،صلّى الله عليه وسلم، وفي ذلك إشارة إلى الترف الذي انصرف إليه ابن النغريلة، الذي سخر من القرآن الكريم، وحرف آياته، واستهزأ بالمسلمين وبدينهم، فقد عمل رسالة ينتقد فيها بعض ما زعمه تناقضاً في القرآن الكريم، وقد التمس الألبيري هذه الوسيلة لإثارة نفوس المسلمين وتحريضهم على قتله[1].

وقد بَرَز شعراء يهود في العصر الأندلسي كتبوا في موضوعات متعددة، ومنهم ابن نغريلّة الذي أشار إلى لباسهم، يقول[2]:

(المديد)

فـي صَـبْغِ هـذا الأزْرَقِ خَيـارا   فَـافْهَموا يـا قَـومُ هـذِي الإِشـارا

وقد هجا ابن نغريلّة العرب، وهزئ بالقرآن الكريم، عندما قال[3]

(مجزوء الرمل)

نَقَشَـتْ فـي الخـدّ سَـطْراً   مِـنْ كِتـابِ اللهِ مَـوْزونْ
لَـنْ تَنـالوا البِـرَّ حتّـى   تُنْفِقـوا ممّـا تُحِبّـونْ

فهو يجعل القرآن شعراً له وزن وموسيقى، ويسخر من آياته ويكررها في قصائده.

أمّا الشاعر ابن سهل الإسرائيلي[4]، فإنّه كتب في المديح النبوي قبل أن يسلم، ومنه ما جاء في قوله[5]:

---

[1] يُنظر: عباس، إحسان: **تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين**، ص148.

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت784ه): **مقدمة ابن خلدون**، ج1، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي،(د.ت)، ص339.

[3] المُغربي، ابن سعيد، **المُغرب في حُلى المغرب**، ج2، ص114.

[4] هو إبراهيم بن سهل الإسرائيلي، كان من الشعراء الأذكياء، كان يهودياً فأسلم، وقرأ القرآن، وله قصيدة مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُسلم، كان يهوى يهوديا اسمه موسى، فتركه بعد أن أسلم وهويَ شاباً اسمه محمد، توفي سنة 649هـ. يُنظر: ابن شاكر، صلاح الدين محمد بن شاكر الدمشقي ت(764هـ): **فوات الوفيات والذيل عليها**، مج1، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، بيروت: دار صادر، (د.ت)، ص20.

[5] التلمساني، أحمد بن محمد المقري: **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**، مج7، ص445.

(الكامل)

جَعَلَ المُهَيمِنُ حُبَّ أحْمَدَ شِيْمَةً وَأَتَى بِهِ فِي المُرْسَلينَ كَريمَةً
فَغَدا هَواهُ عَلى القُلوبِ تَميمَةً وَغَدا هُداهُ لِهَدْيِهِمْ تَتْميمَا
صَلّوا عَلَيْهِ وَسَلّموا تَسْليْمَا.

من خلال ما سبق يبدو أنّه كان لليهود حضور في الشعر الأندلسي الذي كتبه مسلمون، فقد ظهرت صفاتهم السلبية التي عُرفوا بها على مر التاريخ، وظهر بعض شعرهم الذي تعددت موضوعاته بين اجتماعية، ودينية، وقد بدت فيه روح العداء للمسلمين.

بعد استقراء الأشعار التي قيلت في اليهود في العصور السابقة للعصر المملوكي، يظهر أنّ اليهود كان لهم حضور، فقد ظهروا بصورة إيجابية في العصر الجاهلي، ولكنّ صورتهم بدأت تتغير في عصر صدر الإسلام، بسبب عدائهم للمسلمين، وبقيت هذه الصورة السلبية في العصر العباسي والأندلسي فظهرت صفاتهم السلبية من حقد وغدر، وتآمر على المسلمين.

وتبيّن أنّ اليهود كان لهم شعراء في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام وفي العصر الأندلسي، يدافعون فيه عن عقيدتهم، وعن قومهم، ويهاجون المسلمين، ويحطون من شأن الإسلام.

الفصل الأول

الملامح العامة لحياة اليهود في العصر المملوكي الأول (648 هـ – 784هـ)

الفصل الأول

الملامح العامة لحياة اليهود في العصر المملوكي الأول (648 هـ – 784هـ)

الأدب بشقيه هو مرآة العصر والبيئة التي يُكتب فيها، ولكنّ ذلك لا يعني إهمال المصادر التاريخية أو تجنّبها في دراسة ظاهرة ما؛ من هنا كان لزاماً أن تبدأ هذه الدراسة بتناول الملامح العامة لحياة اليهود في العصر المملوكي، وذلك من خلال الرجوع إلى المصادر التاريخية التي تطرقت للحديث عنهم في تلك الحقبة الزمنية، واستقراء واقع حياتهم السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، ومن ثمّ محاولة التعرف إلى حياتهم العلمية والثقافية.

1. الحياة السياسية

كان اليهود من بين العناصر التي رحَّبت بالفتح الإسلامي للأندلس جرّاء الظلم الذي لاقوه من المسيحيين[1]، ما جعلهم يشعرون بنوع من الاستقرار في ظل الدولة الإسلامية في عصر سلاطين المماليك، فقد عاملتهم الدولة معاملة أهل الذمّة الذين حرصت على اعطائهم حقوقهم مقابل الجزية[2]، ، ولا يخلو العصر من بعض الاضطرابات والفتن التي كانت تثور ثم لا تلبث أن تنتهي كما تشير المصادر التاريخية، لذلك لا بد من الوقوف على العلاقة الإيجابية التي سادت بين الدولة المملوكية واليهود، ومن ثم ضرورة التعرف إلى النواحي السلبية التي وقفت فيها الدولة ضد اليهود، ففي عام 658هـ استولى التتار على حلب وقتلوا فيها ودمّروا، ثم نودي بالأمان لكل من يلجأ الى ستة بيوتٍ، وكنيس اليهود؛ وذلك لفرمانات كانت في أيديهم[3]، ففرح أهل الذمة بذلك، وثاروا على المسلمين، وخرّبوا مساجد ومآذن، وشربوا الخمور في الطرقات، ورشّوها على المسلمين، وبعد خروج التتر من حلب حاول المسلمون ردّ كرامتهم،

---

[1] يُنظر: التطيلي، بنيامين(ت569هـ): **رحلة التطيلي**. ط1. تحقيق: عبد الرحمن الشيخ، أبو ظبي: المجمع الثقافي. 2001م. ص14.

[2] يُنظر: ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت751ه): **أحكام أهل الذمة**. ج1.(د.ط)، الرياض: رمادي للنشر، بيروت: دار ابن حزم. 1997م. ص1-10.

[3] يُنظر: الحلبي، محمد راغب الطباخ: **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**. ج2. تحقيق: محمد كمال، ط2. حلب: دار القلم العربي. 1988م. ص233.

فنهبوا اليهود بدمشق ولم يتركوا لهم شيئاً[1]. وفي عام 659هـ خرج اليهود بتوراتهم جنباً إلى جنب مع النصارى بإنجيلهم والمسلمين الذين حملوا القرآن عندما وصل المستنصر بالله[2] إلى القاهرة مع جماعة من بني العبّاس، وكان ذلك في الثالث عشر من رجب من هذا العام، وكان يوماً مشهوداً[3].

ولم يكن اليهود ليخرجوا مبتهجين لولا كرمُ ابن تيمية[4]، وسماحته معهم، فقد عاملهم معاملة المسلمين عندما وقعوا أسرى في أيدي التتار، حيث جاء في رسالته القبرصية التي بعث بها إلى ملك قبرص أنه خاطب قائد التتار غازان[5] وطلب منه أنْ يُطلق سراح جميع من معهم من اليهود والنّصارى والمسلمين وذلك أسوة برسولنا الكريم[6].

---

[1] يُنظر: اليونيني, موسى بن محمد(ت726هـ): **ذيل مرآة الزمان**. مج1. ط1، مصر: دائرة المعارف. 1954م. ص363، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(845هـ): **السلوك لمعرفة دول الملوك**. ج1. ق2. (د.ط). القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. 1956م. ص432.

[2] المستنصر بالله: هو أبو القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر العباسي، قُتل في المعركة قريباً من(هيت) في عام 660هـ. يُنظر: المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**. ج1، ق2، ص448، 476.

[3] يُنظر: سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف(ت 654هـ)، اليونيني، موسى بن محمد(ت726هـ): **تكملة تاريخ دمشق من ذيل مرآة الزمان**. ج2، تحقيق: سهيل زكّار،.(د.ط)، دمشق: التكوين للتأليف والنشر. 2007م. ص971-972، ابن الدّواداري، أبو بكر بن عبد الله(ت736هـ): **كنز الدرر وجامع الغرر**. ج8. تحقيق: أولرخ هارمان، (د.ط). القاهرة: المعهد الألماني. 1971م. ص 72-73، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ج7.. قدّم له وعلّق عليه: محمد حسين شمس الدين، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1992. ص98-99، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**. ج1.ق2. ص448-449، سليم، محمود رزق: **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**. ج1. ق2. (د.ط). القاهرة: مكتبة الأديب. 1947م. ص10.

[4] ابن تيمية: هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحرّاني الحنبلي، ولد بحرّان سنة 661ه، له مصنفات في الأصول والفقه والتفسير، بلغت مصنفاته خمسمائة مجلد, توفي في السجن عام 728هـ. يُنظر: الآلوسي البغدادي، السيد نعمان خير الدين(ت1317ه): **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية. (د.ت). ص5-8.

[5] غازان: هو محمود بن أرغون المغلي الجنكيزخاني، كان في شبابه كاملاً مليح الشكل، ملك سنة 693هـ أسلم سنة 694هـ، مات بالقرب من همذان بسبب منديل مسموم مسح به جسمه في سنة 703هـ.

يُنظر: ابن شاكر، محمد بن شاكر الكتبي (ت764هـ): **فوات الوفيات والذيل عليها**. مج4. ص9.

[6] يُنظر: ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. **الرسالة القبرصية**. تقديم وتحقيق: علي السيد صبح المدني. (د.ط). (د.م). 1979م. ص55, البيطار, محمد بهجة: **حياة شيخ الاسلام ابن تيمية**. ط2. دمشق: المكتب الإسلامي. 1972م. ص14-15.

ولم تشر المصادر الى أيِّ قوى خارجية كانت تتدخل لتحقيق مصالح اليهود ما يدل على أنه لم تكن لهم علاقات مع دول أخرى[1].

و في القدس، فقد نعِمَ اليهود في عصر سلاطين المماليك بكثير من التسامح والعدل، وهذا ما دوّنه كثير من مؤرخي اليهود الذين عاشوا في تلك الفترة[2]، بعد أن تعرضوا للقتل على أيدي الصليبيين الذين جمعوهم في الكنيس الخاص بهم وأشعلوا النيران فيه[3]، وما يؤكد هذه الحقيقة ما جاء في رحلة الرحالة اليهودي بتاحيا[4]، حيث أشار إلى أنّه لم يجد في القدس إلاّ يهودياً واحداً، وكان ذلك قبل الفتح الصلاحي بسنوات أي في عام 576هـ[5]. وما يدل على التسامح الديني الذي أولاه المماليك لليهود في القدس أنه في سنة 666هـ جاء"رابي موشى بن نحمان"[6] إلى القدس وأحيا الطقوس الدينية فيها، وبنى كنيساً يحمل اسمه[7].

وخير ما يقف دليلا واضحاً على رعاية السلطان قلاوون لأهل الذمة ما جاء في نسخة تقليد الشيخ المهذّب[8]، لسنة 684 هـ[9]، فقد أمره بأن يكون رئيسا لليهود بمختلف طوائفهم الربّانيين والقرّائين والسامرة في الشام، وفي مصر تعهّد السلطان قلاوون برعاية مصالحهم على

[1] يُنظر: القلقشندي, أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد(ت821ه): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. ج6. (د.ط). القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. 1963م. ص78.

[2] يُنظر: علي، علي السيد: **القدس في العصر المملوكي**. ط1. القاهرة: دار الفكر. 1986م. ص51.

[3] يُنظر: علي، محمد كرد: **خطط الشام**. ج1. (د.ط). دمشق: (د.ن). 1927م. ص282.

[4] ولد بتاحيا في راتزبون، وقضى جزءاً كبيرا من حياته في براغ، وقام بين سنة 1170، 1871م، برحلة واسعة النطاق زار فيها فلسطين وبلاداً أخرى، وقد ذكر أنّه رحل للتعرف على أخبار اليهود في العالم. يُنظر: زيادة، نقولا: الرّحالون المسلمون والأوروبيون إلى الشرق العربي في العصور الوسطى. (د.ط) (د.م): الدار العربية للموسوعات، (د.ت). ص116.

[5] يُنظر: علي، علي السيد: **القدس في العصر المملوكي**. ص100.

[6] رابي موشى بن نحمان: هو موسى بن نحمان ولد عام 1194م، يُعرف باللاتيني (نحمانيدس) وهو أحد كبار حاخامات اليهود في إسبانيا، عارض دراسة الفلسفة، وآمن بتناسخ الأرواح، وكلمة(رابي) عبرية تعني سيدي، توفي عام 1270م. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب محمد: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، نموذج تفسيري جديد. مـج5، ج2, ط1، القاهرة: دار الشروق. 1999م. ص158–159.

[7] يُنظر: علي، علي السيد: **القدس في العصر المملوكي**، ص102.

[8] الشيخ المهذّب: هو أبو الحسن بن الموفق بن النجم بن المهذّب بن شموئيل المتطبّب، تقلّد رئاسة اليهود سنة 684ه. يُنظر: ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: **تاريخ ابن الفرات**.مج 8 تحقيق وضبط: قسطنطين زريق، نجلاء عز الدين، (د.ط) بيروت: المطبعة الأمركانية. 1936م. ص18–19.

[9] يُنظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: ج13،ص385–391.

الرغم من اختلاف مذاهبهم، كما جاء في التقليد الذي أنشأه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر[1]، في العام نفسه[2].

وبذلك يكون السلطان قد أعطاهم حرية ممارسة شؤون حياتهم، وجعل منهم رئيساً مسؤولا عنهم، حتى يكون واسطة بينهم وبين السلطان، ولم يُحرم اليهود من تقلّد الوزارات في الظروف الطبيعية في الدولة المملوكية، فقد أشار الماوردي إلى أنّ السلطة سمحت أن يكون وزير التنفيذ من أهل الذمة، أمّا وزارة التفويض، فلم تعط لهم لأنّ من مهام وزير التفويض الحكم، وتقليد الولاة، وتسيير الجيوش، والتصرف في بيت مال المسلمين، وهذه المهام كانت ممنوعة على أهل الذمة[3].

وقد كانت مهمة منعهم من حمل السلاح من مهام المحتسب في العصر المملوكي، بالإضافة إلى منعهم من ركوب الخيل، ويتابع المحتسب تنفيذ الشروط الأخرى وهي نفسها شروط عمر بن الخطاب لأهل الذمة[4].

ويقف التاريخ خير شاهد على المعاملة الحسنة التي عاملها سلاطين المماليك لليهود. ففي العام 768هـ يرسل الأمير صلاح الدين بن عرام[5]، يعقوب اليهودي[6] ليفاوض زعيم قبرص

---

[1] محيي الدين بن عبد الظاهر: هو(فتح الدين بن عبد الظاهر) محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر القاضي فتح الدين بن القاضي محيي الدين الجذامي الرومي المصري، صاحب ديوان الإنشاء،ولد في القاهرة سنة 638هـ، توفي سنة 691هـ بقلعة دمشق ودُفن بسفح قاسيون. يُنظر: الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764ه): **الوافي بالوفيات**. ج 3. ط2. (د.م): فرانز شتايز. 1974م. ص366.

[2] يُنظر: ابن عبد الظاهر, محيي الدين(ت691ه): **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**.. تحقيق: مراد كامل، مراجعة: محمد علي النّجار. ط1. الجمهورية العربية المتحدة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. 1961م. ص218-219.

[3] يُنظر: الماوردي، أبو الحسن بن محمد بن حبيب(ت450ه): **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**. (د.ط). القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، بيروت: دار الكتب العلمية. 1973م. ص20.

[4] يُنظر: ابن بسام, محمد بن أحمد: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**. تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، أحمد فريد المزيدي. .(د.ط) ، (د,م) ،(د.ت). ص381.

[5] صلاح الدين بن عرام: هو صلاح الدين خليل بن عرام، قدم الإسكندرية في شوّال سنة 768هـ بعد عزل الأمير سيف الدين الأكر، وكان قد سافر إلى الحج في هذه السنة، فظفر الإفرنج وأسروا عددا من المسلمين واليهود والنصارى، يُنظر: الإسكندراني، محمد بن قاسم بن محمد النويري (ت775ه): **الإلمام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**. ج3، تحقيق:عزيز سوريال عطية. (د.ط). الهند: وزارة المعارف. 1970م. ص208-209.

[6] يعقوب اليهودي: هو يعقوب الإسرائيلي، كان صوفيا في يهوديته، ثم أسلم واستقر في وزارة دمشق سنة 821هـ. يُنظر: المقريزي، تقي الدين أحمد: **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**. ج4، ق1. ص442-443.

وهو في الأسطول البحري؛ لكي يفدي أسرى الإسكندرية من المسلمين واليهود والمسيحين بأسراه الإفرنجيين، ويصله بقارب فيخاطبه قائلاً: (إن كنت ملكا فانزل إلى البرّ، وقابل جيش مصر، وإلاّ فالّذي فعلته ليس هو كفعل الملوك، بل فعلت كفعل اللصوص، سرقت وهربت)، فيتألم لوسنيان ويشتاط غضباً لأنّ صلاح الدين قد راسله مع يهودي[1]، ولم يبعث له مسلماً.

تُظهر القصة السابقة إهانة الإفرنج واليهود، وترفع من شأن المسلمين حتى في أحلك الظروف التي ربما تجعل الخليفة يتصرف بعواطفه، ولكنّها تبقى قصة تبيّن ثقة سلاطين المماليك باليهود، وتأمينهم على أرواح الرعية وهم أسرى بأيدي العدو.

وفي جمادى الآخرة سنة 663هـ وقع حريق بالقاهرة وشمل ثلاثاً وستين داراً، وشاع الأمر أنّ النصارى هم من فعلوا ذلك بسبب ما فعله السلطان الملك الظاهر بيبرس من إحراق كنائس في بلاد الإفرنج, وعندما عاد السلطان إلى مصر جمع النصارى واليهود وعزم على استئصالهم، وأمر بوضع حطب في حفرة حتى يُلقى فيها اليهود والنصارى، فطلبوا رحمة السلطان، فأمر أن يشتروا أنفسهم بخمسمائة ألف دينار, يدفعون في كل سنة خمسين ألفاً حسب مقدرة كل منهم[2]، ومن لم يستطع أن يدفع منهم يدفع عنه راهبٌ يُدعى"الحبيس"[3] [4].

وفي عام 680هـ هجم التتار على حلب ونازلتهم جماعة من الأعراب في أواخر جمادى الآخرة، ثم خرج المنصور قلاوون من دمشق، وجاء بعد ذلك مرسوم منه يدعو إلى ترك أهل الذمة الدواوين والكتبة ومن لا يترك يُصلبْ، فأسلموا كرهاً[5].

---

[1] يُنظر: الإسكندراني، محمد بن قاسم بن محمد النويري: **الإلمام فيما جرت به الأحكام**. ج3. ص208-211.

[2] يُنظر: سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف، اليونيني، موسى بن محمد: **تكملة تاريخ دمشق من ذيل مرآة الزمان**. ج2. ص1069-1070، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت732ه): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج30، تحقيق: محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة: محمد مصطفى زيادة. (د.ط). (د.م): مركز تحقيق التراث. 1990م. ص114.

[3] لم أعثر على ترجمة للحبيس.

[4] يُنظر: سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف، اليونيني، موسى بن محمد: **تكملة تاريخ دمشق من ذيل مرآة الزمان**. ج2. ص1070.

[5] يُنظر: ابن كثير، أبو الفدا الحافظ، **البداية والنهاية**، ج13. ط1. بيروت: المعارف. 1996م. ص294.

لم يكن هذا المرسوم رغبة من السلطان في اضطهاد أهل الذمة، أو إجبارهم على الاستسلام من العمل وإنما ليقينه بأنّ بقاءهم في الدواوين سيضرّ بمصلحة المسلمين، فيقومون بمظاهرة التتار عليهم، ويصبحون أعينهم على المسلمين، وباستسلامهم يأمن السلطان عدم تعاونهم مع العدو، فلا يثق العدو بهم ولا يكلّفهم بأيّ مهمة، فقد أشارت هذه الدراسة إلى ما فعلوه بالمسلمين في عام 658هـ عندما غزا التتار حلب.

ولحاجة في نفس السلطان المنصور قلاوون يُصدرُ مرسوماً في عام 689هـ إلى أهل الشام يأمر بأن لا يُستخدم أحدٌ من أهل الذمة" اليهود والنصارى" في الدواوين، فينصرفون منها[1]. هذا ولم تذكر المصادر التاريخية سبب صدور هذا المرسوم.

ولم يسلم اليهود من أيدي المغول ففي العام 690هـ، اتّهم المغول سعيد الدولة اليهودي[2]بقتل أرغون بن أبغا[3] صاحب العراق وخراسان وأذربيجان؛ فقد كان وزيره فوجدوه مسموماً, فمالوا على اليهود قتلاً ونهباً وسبياً في جميع مدائن العراق[4].

وعودة إلى المراسيم , يصل وزير المغرب إلى مصر فيرى ما فيه أهل الذمة من بذخ وترف، ويقارن حالهم مع حال أهل الذمة في المغرب، فيعجب من ذلك، ويتحدث مع السلطان المنصور قلاوون، فيبحث السلطان في الأمر مع الفقهاء ومع ديّان اليهود، ثم يقرر السلطان

---

[1] يُنظر: ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: **تاريخ ابن الفرات**. مج 8. ص93.

[2] هو طبيب يهودي من أهالي أبهر بزنجان، يُدعى سعد الدولة، وهو ابن صفي الدولة، وقد انضم إلى فريق الأطباء الإيلخاني في عهد أرغون، عاش في بغداد، وكان كثير الإختلاط بالناس وملمّاً بلغات عدة، كان مقربّا من أرغون فأسند إليه مهمة تحصيل الضرائب والإنفاق في بغداد، ثمّ عيّنه وزيراً له، كان يبغض المسلمين، و يتحيز في تعيين المسيحين واليهود، ثم قرر بتصديق من أرغون أن يحيل الكعبة إلى معبد، و بدأ يراسل عرب الجزيرة من اليهود، وصنع السفن لذلك، وبسبب الفتن التي أثارها قرّر الأمراء القبض عليه، وقتلوه في عام 690هـ وبعدها توفي أرغون بسبب مرضه في نفس العام. يُنظر: إقبال، عباس: **تاريخ المغول ضد حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية**. ترجمة: عبد الوهاب علّوب. (د.ط). أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2000م، ص248-253.

[3] أرغون بن أبغا: هو أرغون بن أبغا بن هولاكو، كان شجاعا سفّاكا للدماء قتل عمه السلطان أحمد في عام 682 هـ فعظم في أعين المغول، تولى الحكم ثماني سنوات، توفي من سمّ شربه في عام 690هـ، واتُهم فيه وزيره سعيد الدولة اليهودي: يُنظر: ابن كثير, أبو الفدا الحافظ. **البداية والنهاية**. ج13. ص324.

[4] يُنظر: ابن كثير، أبو الفدا الحافظ، **البداية والنهاية**. ج13. ص324. الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت 1089هـ): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. ج5. ط2. بيروت: دار المسيرة. 1979م. ص411.

عودتهم إلى ما كانوا عليه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه, حيث اقتضى المرسوم في عام 700هـ أن يُميّز النصارى بلبس العمائم الزرق، واليهود بلبس العمائم الصفر، وتميز نساء أهل الذمة بعلامة تظهرهنّ، ويُمنعون من ركوب الخيل وحمل السلاح.......، ثم ينادى على ذلك بدمشق، وفي سائر المدن بمصر والشام باستثناء الكرك بسبب كثرة النصارى فيها وقلة المسلمين[1].

إنّ ما يهمُّ من المرسوم السابق في سياق الحديث عن الحياة السياسية هو منع أهل الذمة من حمل السلاح، فقد تجرّدوا من كل ما يجعلهم يشبهون المسلمين، وفي هذا القرار إذلال لهم بعد تطاولهم.

فإذا كانت قد حدثت موجات من سوء المعاملة لأهل الذمة في عصر سلاطين المماليك، فينبغي أن تُقدّر طبيعة العصر فهو عصر الحروب الصليبية،[2] . والحقيقة أنّ تلك الحوادث العنيفة بين المسلمين وأهل الذمة كانت مقصورة على المسيحيين دون اليهود، ربما كان سبب ذلك أعداد اليهود الضئيلة من ناحية[3]، وعدم وجود قوى سياسية خارجية تساندهم من ناحية أخرى، على عكس المسيحين[4].

2. الحياة الدينية

شكّل اليهود طائفة دينية ثالثة مع المسلمين والنصارى، عاشت في المجتمع في بلاد الشام ومصر في عصر سلاطين المماليك، وقد مارسوا حريتهم الدينية وفق عقيدتهم[5]، وينقسم

---

[1] يُنظر: النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت732هـ): **نهاية الأرب في فنون الأدب.** مج27,ج31. ص416-419، مؤرخ مجهول(ت742هـ): **عصر سلاطين المماليك.** تحقيق: زيتر ستين ليدن : أبريل، (د.ط)، (د,ت). ص83-89, ابن الدّواداري، أبو بكر بن عبد الله(ت 736هـ): **كنز الدرر وجامع الغرر،** ج1، ق9،ص47-50، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي : **السلوك لمعرفة دول الملوك** ج1.ق3. ص909-912، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار في ارشاد البرية.** ج2, (د.ط). القاهرة: مؤسسة الحلبي. 1960م. ص498-499.

[2] يُنظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح: **بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى**(د.ط)بيروت: مكتبة الفارابي.1977م. ص91.

[3] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المماليك،** ص18.

[4] يُنظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا.** ج6، ص78.

[5] يُنظر: سلام، محمد زغلول: **الأدب في العصر المملوكي.** ج1،(د.ط). القاهرة: دار المعارف(د.ت) ص186.

اليهود إلى طوائف كثيرة أشهرها طائفتان هما: القرّاؤون وقد اتُفق على يهوديتهم ، والربّانيّون يندرجون مع هذه الطائفة كما أوردها القلقشندي، أمّا الطائفة الثانية، فهي: طائفة اليهود السامرة، وهم أتباع هارون السامري[1]، وقد اختُلف فيهم هل هم من اليهود أم لا، فالقرّاؤون والربّانيون ينكرون كونهم من اليهود، وللسامرة توراتهم الخاصة بهم التي تختلف عن توراة القرّائين والربانيين[2].أمّا ابن الوردي، فيذكر فرقاً كثيرة كالربانية الذين يشبهون المعتزلة[3].

وقد جرى العُرف بأن يكون لهذه الطوائف الثلاثة رئيس يُنتخَبُ من طائفة الرَّبانيين دون غيرهم، ثم يرسم مرسوماً بتوقيعه، بعد تفويض السلطان له بذلك، كالتوقيع الذي أنشأه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر برئاسة اليهودي الشيخ المهذب سنة 684هـ في القاهرة، ويكون الرئيس مسؤولا عن تنفيذ الطوائف الثلاثة كل ما يُطلب منها، ومن مهامه أن يلمّ شملهم، ويلزمهم ما فُرض عليهم[4].

ولفِرق اليهود أيمانٌ يحلفون بها، حيث يقسمون بالتوراة و"بالكلمات العشر"[5] [6]. وكانت غالبية ألقابهم تبدأ "بالشيخ"، أو "ولي الدولة"، أو "شمس الدولة" فإذا أسلم الذميّ يتغير لقبه فمثلاً الشيخ السعيد يصبح"سعد الدين"[7]. ويشكو ابن الأخوة من أنّ اليهود يُدعوْن بنعوت الخلفاء

---

[1] ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل(ت774ه): **قصص الأنبياء**.(د.ط)، (د.م): دار نهر النيل، 1981م، ج1، ص338.

[2] يُنظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**.ج13، ص256-269.

[3] يُنظر: ابن الوردي عمر بن مظفر(ت749ه): **تتمة المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا إسماعيل**، ج1، (د.ط) بيروت: دار المعرفة.1970م. ص124.

[4] يُنظر: ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى (ت749هـ): **التعريف بالمصطلح الشريف**،تحقيق: سمير الدروبي.(د.ط). الأردن: جامعة مؤتة.1992م. ص202-203. القلقشندي، أبو العباس أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**,ج11، ص385-391. ج12، ص427-428.

[5] الكلمات العشر: هي وصايا عشر أوصاها الرب لليهود منها: لا تسرق، ولا تقتل، ولا تزن، ولا تعبد غير الله، ولا تشهد شهادة زور..... يُنظر: **الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج**، من الإصحاح 20-35. ترجمة: البستاني وفاندياك. ألمانيا. (د.ط). 1991م. ص117-144.

[6] يُنظر: ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد: **التعريف بالمصطلح الشريف**. ص215-220.

[7] القلقشندي، أبو العباس أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. ج5، ص490-491.

ويُكنّون بأبي الحسن علي بن أبي طالب، وبأبي الفضل العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

أمّا قادة اليهود الروحيون، فيقع على رأسهم رئيس اليهود ثم يليه"الحزّان" الذي يشرف على الصلاة، ويقوم بالوعظ والخطابة، ثم يليه "الشليحصبور" وهو إمام اليهود في كنائسهم[2]، ثم الحبرُ"الرُّبان" الذي يفصل في المنازعات بين أفراد الطائفة، وله سلطة الأمر والنهي في الأمور الدينية، ولم يكن يتقاضى راتباً[3]. أما كنُسهم، فقد انتشرت في مصر وبلاد الشام، وضُمِنت لهم حرية العبادة فيها، فكان لهم في القاهرة "كنيسة دموة" و"كنيسة موسى بن عمران"، و"كنيسةالربانيين"، "وكنيسة ابن شميخ"، و"كنيسة السُمَرة" "[4]، ومن كنسهم بمصر أيضا "كنيسة اليهود العراقيين"، و"كنيسة اليهود الشاميين"، و"كنيسة اليهود القرّائين"[5].وكان لهم كنيسة في دمشق تجاور "مدرسة ابن أبي عصرون"[6].[7].

و في القدس، لم تشر المصادر التاريخية إلى أسماء كنائس اليهود فيها، وإنّما اكتفت بذكر كنيس اليهود، الذي كانوا يمارسون فيه طقوسهم الدينية، وكان محور الحياة التعليمية لطلبة العلم[8].

---

[1] يُنظر: ابن الأخوة، ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد القرشي(ت729هـ): **معالم القُربة في أحكام الحسبة**،تحقيق: صديق أحمد عيسى المطيعي. (د.ط). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب.1976م. ص96.

[2] يُنظر: القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. ج5. ص474.

[3] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المماليك**. ص111.

[4] يُنظر: المقريزي، تقي الدين أحمد: **المواعظ والإعتبار**. ج2. ص 464-472.

[5] ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد القاهري(ت 750ه): **الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها**. ج4.(د.ط). بيروت: المكتب التجاري.1983م. ص908

[6] تقع داخل بابي الفرج والنصر شرقي القلعة، وغربي الجامع بمحلة حجر الذهب، عند سويقة باب البريد، أنشأها العلامة قاضي القضاة، فقيه الشام شرف الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهر بن علي بن أبي عصرون. يُنظر:النعيمي،عبد القادر محمد (ت927ه): **الدارس في تاريخ المدارس**. ج1. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية: 1990م. ص302-303.

[7] ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم(ت684ه): **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**. ج1. ق1 تحقيق: يحيى زكريا عبّارة. (د.ط). دمشق: وزارة الثقافة. 1991م. ص343.

[8] يُنظر: علي، علي السيد : **القدس في العصر المملوكي**. ص168.

هذا وقد تمتّع يهود القدس بالحريّة الدينية والتسامح في عصر سلاطين المماليك[1]، فقد جاء في رسالة "إسحق بن يوسف بن شيلو "[2] الذي هاجر من الأندلس إلى بيت المقدس عام 734هـ قوله،"ويعيش اليهود هنا في سعادة وطمأنينة، كل بحسب وضعه وموارده وذلك لأن الحكومة عادلة.."[3].

واعتاد اليهود في عصر سلاطين المماليك على زيارة مقبرة خاصة بهم في جبل صهيون؛ لأنّهم يعتقدون بأنّ الملَكين داوود وسليمان ، وملوك آخرون لهم كانوا قد حكموا بيت المقدس في قديم الزمان قد دُفنوا فيها [4].

وكانوا يُمنعون أحيانا من زيارة مقامات المسلمين كما حصل في عام 664هـ فقد بلغ السلطان الظاهر أنّ اليهود والنصارى يزورون الخليل وينزلون في المغارة ويدفعون ضريبة على ذلك، فأنكر عليهم الأمر وكتب مرسوما يمنع أهل الذمة من دخول المقام الشريف[5].

وقد تعرّض اليهود في بعض الفترات لسوء معاملة كانت تحصل على أيدي أفراد، وتنتج عن أهوئة مزاجية، ومثال ذلك ما حصل في شوّال من العام 669هـ عندما جاء الشيخ خضر[6] شيخ السلطان الظاهر بيبرس إلى دمشق وأَمر أعوانه وأعيان الوالي بإخراج اليهود من كنيسهم يوم سبتهم، وإيذائهم، ثم قاموا بقراءة القرآن فيها، ورقص المغنون بعد ذلك، ونهب الخضر كل

---

[1] يُنظر: علي، علي السيد : **القدس في العصر المملوكي**، ص105.

[2] وُلد في أراغون في الأندلس، وفي سنة 734ه هاجر إلى القدس مع أسرته وأقام هناك، وفي سنة 735ه بعث إلى أبيه وأصدقائه بكتاب فيه وصفٌ مختصرٌ للقدس، ووصف مفصّل للطرق التي تصل القدس بأمهات المدن الفلسطينية، وقد اهتم باليهود في فلسطين من حيث أماكن تواجدهم وعملهم، واهتم بعلاقة المدن والقرى بالحوادث الوارد ذكرها في التوراة، و بالجماعة اليهودية في القدس. يُنظر: زيادة، نقولا: **الرحالون المسلمون والأوروبيون إلى الشرق العربي في العصور الوسطى**. ص147.

[3] يُنظر: زيادة، نقولا: **رواد الشرق العربي في العصور الوسطى**. (د.ط)، القاهرة: مطبعة المقتطف والمقدّم.1943م. ص210.

[4] يُنظر: علي، علي السيد: **القدس في العصر المملوكي**. ص260.

[5] يُنظر: النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**،ج30.ص282-283.

[6] الشيخ خضر: هو خضر بن أبي بكر بن موسى العدوي المهراني، شيخ الملك الظاهر في معتقله بقلعة الجبل، توفي ودفن بسطح المقطّم عام676هـ، يُنظر: النويري، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**.ج30،ص376.

ما فيها، ثمّ حوّلها إلى زاوية له[1]. وقد جاء في ذيل مرآة الزمان لليونيني أنّه قد هدمها في العـــام 671هـــ عندما نزل الملك الظاهر إلى دمشق، فهجم الخضر على كنيسة اليهود، ونهب ما فيهـــا من آلات وفرش[2].

وقد كان الخضر مقرَّبا من الملك الظاهر، لأنّه كان يخبره بأمور قبل وقوعها ما جعلـــه يصرّفه في ملكه كيفما يشاء[3].

وفي عام 700هـــ يفرض المنصور قلاوون مرسوماً على أهل الذمة يمنعهم فيـــه مـــن ضرب النواقيس، ومن الجهر بالتوراة والإنجيل، ويأمر بأن تُغلق كنائسهم فـــي ســـائر الـــبلاد، ويُمنعوا من إحداث بناء بيعة أو كنيسة[4].

فكان من نتيجة ذلك أن امتدت أيدي الناس إلى كنائس اليهود والنصارى، فهدموا بعضها بفتوى من الشيخ الفقيه نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعه[5]، ولكنّ الشيخ قاضي القضاة تقـــي

---

[1] يُنظر: النويري، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**.ج30. ص176، الذهبي، شـــمس الـــدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـــ).**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، حـــوادث ووفيـــات(661-670هـــــ). تحقيق: عبد السلام تدمري. (د.ط) ، بيروت: دار الكتاب(د.ت) ص56-57.

[2] يُنظر: اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد: **ذيل مرآة الزمان**. مج3. ص5-6.

[3] يُنظر: ابن شاكر، محمد بن شاكر الكتبي،(ت764هـــ): **عيون التواريخ**, ج21. تحقيق: فيصل السامر، نبيلة عبد المـــنعم داوود. (د.ط). (د.ت).ص13.ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم(ت807هـــــ): **تـــاريخ ابـــن الفـــرات**، مـــج7، (د.ط). بيروت:المطبعة الأمركانية.1936م. ص102.

[4] يُنظر: المنصوري، ركن الدين، بيبرس(ت725هـــ): **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**. تحقيق: دونالدس. ريتشاردز، ط1. بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع. 1998م. ص351-352،**مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحريـــة حتى سنة702هـــ**.تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان. . ط1 (د.م): الدار المصرية اللبنانية. 1993م. ص116-117، ابـــن الدواداري، أبو بكر بن عبد الله: **كنز الدرر وجامع الغرر**. ج9، ص47.المقريزي. تقي الدين أحمـــد: **الســـلوك**.ج1 ق3، ص909-912، **السلوك** ج2ق3، ص921-925.

[5] أحمد بن محمد بن علي بن مربع بن حازم بن ابراهيم بن العباس المصري الشافعي الشيخ نجم الدين بن الرفعة، وُلد في 645هـــ اشتهر بالفقه وألف"الكفاية في شرح التنبيه"، وكان حسن الشكل فصيحاً ذكياً، تولى الحسبة في مصر إلى أن مات في رجب سنة 710هـــ. يُنظر: الشوكاني، شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني(ت1250هـــ): **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**.ج1. ط1. بيروت: دار المعرفة(د.ت). ص114-117.

الدين محمد بن دقيق العيد[1] امتنع عن ذلك وطلب البيّنة على أنها أُحدثت في الإسلام، وإلاّ فلا يجوز هدمها فاقتنع الناس وانفضُّوا عن هدمها[2]. وهذا يقف دليلاً واضحاً على تسامح فقهاء المسلمين وعدلهم وقضائهم بما يرضي الله عز وجل.

فهذا الموقف يتطلب وقفة متأنية تجعل الباحث يقارن بين تسامح المسلمين مع اليهود، في مقابل "ما أمرت به الكنيسة في غرب أوروبا في العصور الوسطى حيث دعت إلى تحطيم هياكل اليهود"[3].

إنّ في فرض السلطان قلاوون مرسوم 700هـ، عودة إلى العهدة العمرية بجميع نصوصها، وتكون مهمة متابعة تنفيذ الأمور السابقة على أهل الذمة من مهامّ المحتسب الذي تعيّنه الدولة[4].ويُعد هذا اقتداءً بالخلفاء الراشدين، وتطبيقاً لسنّة سابقة اقتضتها ضرورة الوضع الاجتماعي لأهل الذمة.

وفي العام 710هـ تستجيب حكومة المماليك لطلب قدّمه رسل القسطنطينية فَتُفتَح كنيسة اليهود بالقاهرة وتُخفّف بعض القيود التي فُرضت على أهل الذمة في العام 700هـ[5].

أمّا في سنة 721هـ، فقد خُرِّبت كنيسة اليهود القرائين بدمشق؛ لأنها أُحدثت في الإسلام، فقد كانت بيتا يجتمع فيه القراؤون، ثم وسّعها اليهود، وفي سنة 699هـ عندما دخل التتار دمشق أصلحها اليهود، وعملوا بها منبراً دون علم المسلمين أو انتباههم إلى ذلك؛ لأنها

---

[1] محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري المعروف بابن دقيق العيد، قاض من أكابر العلماء، وُلد بقوص، على ساحل البحر الأحمر، تعلم بدمشق والإسكندرية، وولي قضاء الديار المصرية سنة 695هـ له أشعار وملح وأخبار. يُنظر: الوحش، محمد موسى: **موسوعة أعلام الشعر العربي**،(د.ط). عمان: دار دجلة. 2007م. ص189-190، وُلد سنة 625هـ، وتوفي سنة 702هـ: يُنظر: تاج الدين السبكي، أبو نصر عبد الوهاب بن علي(ت771ه): **طبقات الشافعية الكبرى**.ج6(د.ط). بيروت: دار المعرفة.1906م.ص2-3.

[2] يُنظر: المقريزي، تقي الدين أحمد: **السلوك**.ج1.ق1.ص912، المواعظ والاعتبار ج2، ص499.

[3] عاشور، سعيد عبد الفتاح: **بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى**.ص90.

[4] يُنظر: الشيزري، عبد الله بن عبد الله (ت590هـ): **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**. تحقيق: أحمد فريد المزيدي، محمد حسن محمد حسن إسماعيل. (د.ط).(د.ت). ص267-268، ابن الأخوة، محمد بن محمد بن حسن القرشي: **معالم القُربة في أحكام الحسبة**.ص97.

[5] يُنظر: النويري، شهاب الدين: **نهاية الأرب في فنون الأدب**. ج3. ص230، المقريزي، تقي الدين أحمد: **السلوك**.ج2.ق1. ص90.

كانت بدرب الفواخير الذي يسكنه اليهود[1]. حيث لا يدخله المسلمون ولا يمشون فيه فما أحسّوا بذلك.

وفي العام 727هـ، يصدر القاضي كمال الدين أبو المعالي محمد ابن الزملكاني[2] الحاكم بحلب بوجوب انتزاع كنيسة اليهود المسمّاة"مثقال"[3]، وتحويلها مدرسة أُطلقَ عليها اسم "الناصرية" نسبة إلى الأمير سيف الدين أرغون الناصري نائب السلطنة بحلب[4]، فكتب زين الدين بن الوردي قصيدة يعبّر فيها عن ابتهاجه وفرحته بهذا الحدث[5].

أمّا في المنتقى من درّة الأسلاك، فقد ذكر ابن حبيب أنّها سُميت "النّاصرية" نسبة إلى الملك"الناصر محمد بن قلاوون الناصري"[6] [7]

---

[1] يُنظر: الذهبي، شمس الدين(748ه): **دول الإسلام** ،ج1تحقيق: فهيم محمد شلتوت، محمد مصطفى إبراهيم،(د.ط) ،(د.م): الهيئة المصرية العامة للكتب.1974م. ص228-229، النويري، شهاب الدين : **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج33،ص31-32، **ذيول العبر في خبر من عبر**. ج4تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. (د.ط). بيروت:دار الكتب العلمية(د.ت). ص60، ابن حبيب، حسن بن عمر بن الحسن بن عمر(ت 779ه): **تذكرة النبية في أيام المنصور وبنيه**.ج2 ،تحقيق:محمد محمد أمين، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور(د.ط) ،(د.م): الهيئة المصرية العامة للكتب.1982م. ص117.

[2] محمد بن علي بن عبد الواحد، الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة، كبير الشافعية في عصره، ولد سنة 667هـ، كان فصيحاً حسن الشكل، صنّف أشياء عديدة منها"رسالة في الرد على الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق "، طلبه السلطان من حلب ليوليه قضاء دمشق، فأدركه الأجل في الطريق، وقيل إنّه مات مسموما سنة 727هـ. يُنظر: ابن شاكر، محمد بن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليها**. مج4ص7-8.

[3] يُنظر: ابن الشحنة، أبو الفضل محمد(ت815ه): **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، تقديم: عبد الله محمد الدرويش ،،(د.ط) (د.م).(د.ت) ص72.

[4] أرغون بن عبد الله الدوادار الناصري، نائب السلطنة بالديار المصرية، ثم نائبها بحلب، لم يعيّن الملك الناصر محمد ابن قلاوون نائب سلطنة بالديار المصرية بعده. توفي سنة 727هـ. يُنظر: ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ج9. ص269.

[5] يُنظر: ابن حبيب، حسن بن عمر بن حبيب الحلبي الدمشقي: **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه** ج2. ص169-170. **المنتقى من درة الأسلاك في دولة ملك الأتراك في تاريخ حلب الشهباء**. تحقيق: عبد الجبار زكّار. تقديم: سهيل زكّار. ط1 (د.م): دار الملّاح. 1991م. ص69.

[6] محمد بن قلاوون، السلطان الملك الناصر، ناصر الدين أبو الفتح محمد بن السلطان المنصور. ولد سنة 684هـ، وتوفي في سنة 741هـ، كان ملكا عظيما دانت له البلاد، تولى بعد مقتل أخيه الأشرف خليل، السلطة ثلاث مرات. يُنظر: ابن شاكر، محمد بن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليها**. مج 4. ص 35-36.

[7] يُنظر: ابن حبيب، حسن بن عمر بن حبيب الحلبي الدمشقي: **المنتقى من درّة الأسلاك في دولة ملك الأتراك في تاريخ حلب الشهباء**.ص69.

وفي العام 755هـ، يتجاوز اليهود والنصارى حدودهم في الركوب واللباس والأبنية، فيعقد القضاة مجلساً في القاهرة يقرُّون فيه بإلزام النصارى واليهود على العودة لما كانوا عليه قديماً من التزام شروط العهدة العمرية، فيردُّ المسلمون ردة فعل غاضبة، وينهبون ديارهم وكنائسهم، ويوقدون النيران في الحُفر ويلقونهم بها[1].

من هنا يمكن القول: إنّ المراسيم التي كانت تصدر بحق كنائس اليهود لم تكن ظالمة لهم، ولم تأت عن أهواء وأمزجة فردية، وإنّما كانت ردة فعل طبيعية على تجاوزات أهل الذمة وخروجهم عن شروط العهدة العمرية، التي فُرضت عليهم، وقبلوا بها مقابل العيش في ظل الدولة الإسلامية، ويُلاحظ أنّهم في حال تعرضهم للظلم على أيدي أفراد، كان القضاة يقفون بوجههم ويفتون بشرع الله كما حصل في فتوى الشيخ ابن دقيق العيد رحمه الله.

وقد استشعر اليهود تسامح المسلمين معهم، فاندمجوا في المجتمع الإسلامي، وعندما كان يتأخر فيضان النيل أو تصاب البلاد بالكوارث، كانوا يخرجون مع غيرهم من أبناء مصر لأداء صلاة الاستسقاء يحملون توراتهم، ويبتهلون إلى الله و قد حصل ذلك في عام 775هـ[2]. وفي العام 749هـ عندما انتشر الطاعون في البلاد خرج اليهود يحملون توراتهم متضرعين أن يرفع الله الوباء[3].

وفي القدس، فقد حُرِّم على المرأة اليهودية والنصرانية أن ترى عورة المرأة المسلمة حين كُنَّ يجتمعن في الحمامات[4]. وعلى الرغم من أنّ الشريعة الإسلامية لا تعاقب الذميّ على إظهار الخمور، وإنما تؤدبه، إلّا أنَّ دور اليهود والنصارى كُبِسَت في عام 668هـ، وأُبطلت

[1] يُنظر: الحنفي، زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري(ت920هـ): **نيل الأمل في ذيل الدول**.ج1، ق1.. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: المملكة العربية. 2002م. ص266-267.

[2] يُنظر: الحنفي، محمد بن أحمد بن إياس: **بدائع الزهور في وقائع الدهور**.ج1، ص124.

[3] يُنظر: ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي(ت779هـ): **تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ج1. تحقيق وتقديم: علي المنتصر الكناني، ط2 ، بيروت: مؤسسة الرسالة. 1979م. ص114.

[4] يُنظر: ابن الحاج، محمد بن محمد(ت773هـ): **المدخل**. مج1. ج2. (د.ط). القاهرة: دار الحديث.1981م. ص172.

الخمور في دمشق، حتى كتبوا على أنفسهم أنّه لم يبق عندهم شيء[1]، وكان ذلك من مهامّ المحتسب في الدولة الإسلامية[2].

وخير دليل يثبت أنّ دولة المماليك لم تظلم اليهود هو إقبالهم على الدخول في الإسلام، وكان ذلك من نتائج المعاملة الحسنة التي حظي بها اليهود في العصر المملوكي ففي العام 682هـ أسلم سعد الدولة اليهودي قبل قتله[3]، وكان الحموي[4] ممن أسلم في آخر الدولة الظاهرية بحلب[5]. وفي سنة 701هـ أعلن المهذّب إسحق بن يحيى الطبيب

الكحّال[6]، إسلامه عن إيمان واقتناع، وقد كان رئيسا لليهود وتَسمّى"بهاء الدين عبد السيد"، وحسُن إسلامه وجالس العلماء وحفظ القرآن.[7]

3. الحياة الاجتماعية

كوّن أهل الذمة أقليّة دينية مهمّة في المجتمع المصري، وقد قدّر أحد الرّحالة الغربيين الذين زاروا مصر في عهد سلاطين المماليك عدد اليهود في القاهرة بعشرة آلاف يهودي[8]، أمّا بنيامين التطيلي، فقد قدّر عدد اليهود في المدن والقرى التي زارها وهي لواء الإسكندرية والسواحل السورية ولبنان وفلسطين، بثلاثة آلاف وثلاثمائة وثمانية وستين يهودياً، وذكر أنّ

---

[1] يُنظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله: **العِبر في خبر من عبر**.ج3. (د.ط). بيروت: دائرة المطبوعات والنشر. 1961م. ص317.

[2] يُنظر: ابن الإخوة، محمد بن محمد بن حسن القرشي: **معالم القُربة في أحكام الحسبة**. ص84.

[3] يُنظر: ابن الوردي، عمر بن مظفر: **تتمة المختصر في أخبار البشر**. ج2. ص330.

[4] هو والد التاجر عز الدين عبد العزيز بن منصور الكولمي: أحد تجار الإسكندرية، كان الحموي يهوديا من أهل حلب ولكنه أسلم، وتعلّق ابنه بالمتجر. يُنظر: ابن حجر، شهاب الدين أحمد (ت852هـ): **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. ج2.. تحقيق: محمد سيد جاد الله. ط2،(د.م)،1966م. ص493، ابن تغري بردي الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت874هـ): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ج9. ص162-163.

[5] يُنظر: النويري، شهاب الدين أحمد: **نهاية الأرب في فنون الأدب**. ج32. ص208-209.

[6] لم أعثر له على ترجمة.

[7] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المماليك**. ص164.

[8] يُنظر: عاشور، سعيد: **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**. ط1. (د.م): دار النهضة العربية. 1962م. ص40.

عددهم في فلسطين التاريخية كان ضئيلاً في ظل الحكم الصليبي- فترة رحلته- حيث لا يتعدى الألفين[1]، ما يدلُّ على ازدياد عددهم في القاهرة في عصر سلاطين المماليك.

و في القدس، كان عدد اليهود ضئيلاً في بداية العصر المملوكي حيث أشـــار الرّحالـــة اليهودي"نحمانيدس" الذي زارها عام 666هـ أنّه لم يجد بها إلّا أخوين يهوديين كانـــا يعمـــلان بالصباغة وهما أخوان،[2].

وما يقف دليلا على تواجد اليهود في مصر والشام في فترة العصر المملـــوكي وعلـــى نشاطهم هو وجود حارات وأبواب وأسواق قد سُمّيت باسمهم، ففي حلب توجد حارة يطلق عليها "حارة اليهود"[3]. أمّا أبواب حلب، فقد عُرف"باب النصر" قديما بـــ"باب اليهود"؛ لأنّ دورهم كانت تجاوره، ومنه يخرجون إلى مقابرهم، فاستقبح الملك الظاهر بيبرس وقوع هـــذا الاســـم عليـــه فسمّاه"باب النصر"[4].

وفي القدس كان لهم حيّ يسمى باسمهم"حيّ اليهود أو حارة اليهود"، ولذلك ســـمّي أحـــد أبواب القدس باسم "باب حارة اليهود"[5]، وكان الشارع الرئيس في هذا الحي، وعلى جانبيه منازل يسكنها اليهود، وهو يصل ما بين شارع داوود إلى سور المدينة ولا يبعد كثيـــرا عـــن بوّابـــة صهيون[6].

وتعددت الحِرف والمهن التي عمل بها اليهود في هذه الفترة، وكانت مهنة الطـــب مـــن أكثر المهن التي عملوا بها وتفوقوا فيها على غيرهم، وقد ذكرت لنا المصادر أسماء كثير مـــن الأطباء اليهود مثل: الشيخ الرئيس يوسف بن الديّان عبد السيد بن المهذّب الاسرائيلي المتطبـــب

---

[1] يُنظر: التطيلي، بنيامين: **رحلة التطيلي**. ص50.

[2] يُنظر: علي، علي السيد: **القدس في العصر المملوكي**، ص101-102.

[3] يُنظر: ابن الشحنة، أبو الفضل محمد: **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**. ص242.

[4] يُنظر: ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم: **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشـــام والجزيـــرة**. ج1. ق1. ص73.

[5] يُنظر: الإمام، رشاد: **القدس في العصر الوسيط**، مجلة شؤون عربية(مصر). ع 40، 1984م. ص63.

[6] علي، علي السيد: **القدس في العصر المملوكي**، ص103.

الذي توفي عام 757هـ[1]، وعبد السيّد بن إسحق بن يحيى الحكيم الفاضل بهاء الدين ابن المهذّب، الطبيب الكحّال الذي كان طبيبا فاضلا توفي عام 715هـ[2]، والسديد الدمياطي الذي كان من أطباء الملك الناصر محمد، وكان يعالج من الانفلاج، توفي عام 743هـ[3] والحكيم اليهودي أُسيدة"تصغير أسدة" الذي كانت له مشاركات في الجراحة والكحل[4]، والطبيب نفيس الدين الداوودي اليهودي[5]،

وكان قد قدم في عام 754هـ من تبريز لمداواة"النائب قبلاي"[6] من داء المفاصل[7].

وبسبب مهارتهم فقد اضطر المسلمون إلى التداوي عندهم مع علمهم بمكرهم وخداعهم، فهم لا يُؤمن جانبهم. وقد اشتغلوا بطب الأبدان وتكحيل العيون والحساب؛ لأنهم توصلوا بسببها إلى إتلاف حال المسلمين في أبدانهم ودنياهم وأموالهم، وبالتالي سيقع الخلل في دينهم، وقد روى ابن الحاج قصصاً كثيرة تدل على خيانتهم، فقد كانوا يحاولون الاعتداء على النساء المسلمات في أثناء علاجهن، وحاولوا صدّ مسلمٍ مريضٍ عن دينه، وإقناعه بديانتهم حين كان طبيبهم يلازمه في بيته لأجل علاجه[8].

وتذكر المصادر أنّ النساء المصريات كنّ يفضّلن الذهاب إلى طبيب يهودي، ويظهر ذلك من خلال الحوار الذي يدور بين الطبيب المصري محمد بن محمد بن عبد الله بن

---

[1] يُنظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله: **ذيول العبر في خبر من غبر**. ص173.

[2] يُنظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ): **أعيان العصر وأعوان النصر**.ج3.(د.ط)بيروت: دار الفكر المعاصر. 1998م. ص65.

[3] **المصدر نفسه**، ج2، ص404.

[4] **المصدر نفسه**، ج1، ص488-489.

[5] نفيس بن داوود بن عانان الداوودي أو الداري التبريزي، قدم إلى القاهرة سنة 654ه، في خدم وحشم فاشتمل عليه اليهود وفرحوا به، عُرف عنه تقدمه في علم الطب، ومعرفة الجواهر، أسلم على يد أبي أمامة بعد أن دخل معه في نقاش فسمّاه عبد السلام، وأقطعه قطاعاً ورتّب له رواتب، توفي سنة 752هـ. يُنظر: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. ج5. ص169.

[6] سيف الدين قبلاي الناصري، ولي نيابة الكرك ثم الحجوبية أيام الناصر حسن بالقاهرة، ثم النيابة أيام الصالح صالح، مات سنة 756هـ. ينظر: ، ابن حجرالعسقلاني، شهاب الدين أحمد: **الدرر الكامنة**. ج3. ص 328.

[7] يُنظر: الحنفي، زين الدين عبد الباسط الظاهري: **نيل الأمل في ذيل الدول**. ج1. ق1. ص261.

[8] يُنظر: ابن الحاج، أبو عبد الله محمد: **المدخل**. ج3، ص112-113.

صغير[1]، وبيّن صلاح الدين الصفدي وقد ذكره في مؤلفه أعيان العصر حيث نصحه بأن يترك مهنة الطب لقلة الرزق العائد منها، وأن يفتح دكّان عطارة يسترزق منه ولكنّه يجيبه : "يا مولانا هؤلاء نساء القاهرة، إن لم يكن الطبيب يهودياً شيخاً مائل الرقبة، سائل اللعاب وإلاّ فما لهنّ إقبال عليه" يقصد بذلك الطبيب سديد الدمياطي فهذه صفاته[2].

وعمل اليهود في مهنة الصيرفة، فقد ذكر الدواداري في حوادث سنة 652هـ أنّ السلطان عز الدين أيبك[3] ومعه ثلاثة عشر نفراً قد نزلوا في الكرك، وقصدوا دكّان يهودي صيرفي، وصرفوا منه دنانير ذهباً[4] فقد اشتراها منهم بعد أن فقد وعيه من دهشته وفرحته لرؤية دنانير ذهباً قديمة، ما يدل على عناية اليهود بتراثهم الديني، فقد كانوا يبحثون عن أي شيء يثبت تاريخهم.

وعمل اليهود في التجارة، وأشهرها تجارة الرقيق، فحصلوا منها على أموال وفيرة[5]، وفي مصر عمل اليهود في مطابخ السكر[6]، وعملوا بالأعمال المالية[7]، وعمل يهود القاهرة في مهنة التنجيم، حيث مارس أحدهم مهنة التنجيم في حانوته مدة تزيد على أربعين سنة[8]، وعمل بعضهم في حرفة النسخ[9]، وبرعوا أيضاً في وظائف إدارية بدليل المراسيم التي كانت تصدر أمراً بطردهم[10].

---

[1] "ابن صغير الطبيب" محمد بن محمد بن عبد الله ناصر الدين، ولد سنة 691هـ، فيه ظرف الأدباء، وخلاعة أهل مصر، وهو من أطباء السلطان الملك الناصر محمد، كان شريف النفس لا يداوي إلا أصحابه، أو بيت السلطان، توفي في القاهرة بالطاعون سنة 749هـ. يُنظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**. ج1. ط1. ص207-208.

[2] يُنظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **أعيان العصر وأعوان النصر**. ج5. ص181.

[3] السلطان الملك المعزّ عز الدين أيبك بن عبد الله الصالحي النجمي التركماني، أول ملوك المماليك بالديار المصرية تولى الحكم في سنة 648هـ بعد تنحي زوجه شجر الدر عن الحكم، حوالي سبع سنين أي حتى سنة 655هـ. يُنظر: المقريزي، تقي الدين أحمد: **السلوك**. ج1. ق1. ص368-404، ابن تغري بردي الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**.ج7. ص5.

[4] يُنظر: ابن الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك: **كنز الدرر وجامع الغرر**.ج8، ص26-27.

[5] يُنظر: شاكر، محمود: **التاريخ الإسلامي**، العصر المملوكي.ج7.ط4.(د.م): المكتب الإسلامي. 1991م. ص21.

[6] يُنظر: ابن دقماق، إبراهيم محمد أيدمر العلائي: **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**. ج4. ق1. ص41.

[7] يُنظر: المقريزي، تقي الدين أحمد: **السلوك**. ج4، ق1، ص443.

[8] يُنظر: ابن دقماق، إبراهيم محمد بن أيدمر العلائي: **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**. ج4، ق1، ص49.

[9] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **دراسات في تاريخ مصر الإجتماعي عصر سلاطين المماليك**. ص93.

[10] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المماليك**. ص81.

أمّا بعض نساء اليهود، فكنّ يعملن دلّالات، حيث تقوم الدّلالة، بالطواف على السيدات في البيوت لعرض ملبوسات أو مفروشات[1]. وفي القدس عمل اليهود في مهنة الطب، واشتغلوا بالصناعة وسكّ النقود والصيرفة، وفي القضاء[2]، وفي التجارة والدباغة والصياغة[3]، وتولى بعضهم أعمالاً إدارية مهمة[4].

إلا أنّ المراسيم التي كانت تصدر في أثناء الاضطرابات تمنعهم من العمل في الوظائف الإدارية فقد جاء في مرسوم 700هـ "وجُمع النصارى واليهود بالقاهرة ومصر وظواهرها، ورُسم ألّا يُستخدم أحدٌ منهم بديوان السلطان، ولا بدواوين الأمراء إلاّ أن يُسلموا[5]"، ما دفع كثيرا منهم إلى الإسلام من أجل الاحتفاظ بمناصبهم[6]، ونُفّذ المرسوم فبطلت أعمالهم وتعطّلوا عن الخدم في الدواوين وامتنعوا عن تعاطي صناعة الطب[7].

ومُنعوا مرّة أخرى من الاستخدام في الدواوين في العام 754هـ عندما برز مرسوم الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون الصالحي[8].ثم يُصدَرُ مرسوم آخر في العام 755هـ يمنعون فيه من الاستخدام في الدواوين السلطانية وعند الأمراء، وتطبّق عليهم سائر الشروط العمرية[9].حيث كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "لا تستعملوا اليهود والنّصارى، فإنّهم أهل رِشا في دينهم ولا يحل في دين الله الرِشا[10]".

---

[1] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي**. ص93.

[2] يُنظر: علي، علي السيد: **القدس في العصر المملوكي**، ص151،105، 50.

[3] يُنظر: زّكار، سهيل: **القدس في العصر المملوكي**(648–922ه). مجلة شؤون عربية(مصر) ع96، 1998. ص119.

[4] يُنظر: ميلاد، سلوى علي: **وثائق أهل الذمة في العصر العثماني وأهميتها**. (د.ط). القاهرة: دار الثقافة. 1983. ص9.

[5] النويري: شهاب الدين أحمد: **نهاية الأرب في فنون الأدب**. ج31. ص419، المقريزي، تقي الدين أحمد: **السلوك**، ج1، ق3، ص911، ج2، قسم3، ص924، **المواعظ والإعتبار**. ج2. ص500.

[6] يُنظر: النويري، شهاب الدين أحمد: **نهاية الأرب في فنون الأدب**.ج31. ص419.

[7] يُنظر: المقريزي، تقي الدين أحمد: **السلوك**، ج2، ق3، ص925.

[8] يُنظر: ابن دقماق، إبراهيم بن محمد: **الجوهر الثمين في سير الملوك والخلفاء والسلاطين**، ج1. ص204.

[9] يُنظر: ابن كثير، ابو الفدا الحافظ: **البداية والنهاية**. ج14. ص250.

[10] الإبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح(ت850هـ): **المستطرف في كل فنٍ مستظرف**. تحقيق وتهذيب وتعليق: سعيد محمد اللّحام، ط1. بيروت: عالم الكتب. 1999م. ص123.

أمّا أعياد اليهود، فهي أكبر مؤشر على ما تمتّعوا به من استقرار ورفاهية[1]، فقد ذكرت المصادر التاريخية أنّ لهم خمسة أعياد هي: عيد "الفصح" ، ويُحرمون فيه الخمير ، وعيد" العنصرة"، ويأتي بعد الفصح ، وعيد "الحنكة" ، وعيد "المظال"، وعيد "عرابا "الذي يعني شجر الخلاف.[2]، وقد ذكر النويري عيد العنصرة في سياق حديثه عن حادثة سيل دمشق الذي وقع في 699هـ في يوم عيد عنصرة اليهود[3]، وقد اتصل بعض هذه الأعياد بشريعتهم ومنها ما تعلّق بتاريخهم وتراثهم[4].

واقتصر الاحتفال بأعياد اليهود على أبناء الطائفة اليهودية، فلم يكن يشاركهم أحد من المسلمين أو المسيحين؛ نظراً لما اشتهر به اليهود في تاريخهم من الحرص على العزلة[5]. ولكنَّ هذا لا يعني أنّهم لم يختلطوا بالمسلمين ولم يتعاملوا معهم، فقد كان اليهود يصنعون الكعك ويبيعونه للمسلمين في عيد الفطر[6]، واندمجوا معهم وأثّروا في عاداتهم، وتأثّروا بهم، فمن العادات المصرية التي أخذتها النساء اليهوديات عادة عدم شراء السمك أو إدخاله البيوت في يوم السبت، وكذلك عدم دخول الحمّامات، أو شراء الصابون وغسل الثياب في يوم السبت[7].

ويبدو اندماج اليهود مع المسلمين من خلال العلاقات الاجتماعية التي ربطت الطرفين ما يدل على سيادة جو من الهدوء والاستقرار، فقد شاركت نساء اليهود في حلب في التعزية بموت فتاة قُتلت لأنّها رفضت زوجها، وطلّقت نفسها عن طريق تلفظها بالكفر، دون أن تقصد ذلك[8]. ويظهر اختلاط اليهود بالمسلمين في حادثة سنة 764هـ حين سقط اثنان سكارى من سطح

---

[1] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك**. ص117.

[2] يُنظر: ابن الوردي ، عمر بن مظفّر: **تتمة المختصر في أخبار البشر** ، ج1، ص124-125.

[3] النويري، شهاب الدين أحمد: **نهاية الأرب في فنون الأدب**. ج30، ص176.

[4] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك**. ص138.

[5] يُنظر:**المرجع نفسه**. ص131.

[6] يُنظر: ابن الحاج، محمد بن محمد: **المدخل**. ج1. ص278-279.

[7] يُنظر: **المصدر نفسه**، ج1، ص278-279، ج2، ص68.

[8] يُنظر: أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل(ت732هـ): **المختصر في أخبار البشر**. ج4.ط1.(د.م): المطبعة الحسينية المصرية (د.ت) ص146.

بحارة اليهود، أحدهما مسلم والآخر يهودي، فمات المسلم من فوره، وفُقئــت عــين اليهــودي وانكسرت يده[1].

ولم يحمِ اليهود طبُهم من الأمراض والأوبئة التي كانت تنتشر في المجتمع المصــري، ففي رمضان من سنة 764هـ"تفاقم الحال بسبب الطاعون..........، وجمهوره في اليهود لعلّه قد فقد منهم من مستهل شعبان إلى مستهل رمضان نحو الألف نسمة خبيثة[2]"، ومن المعــروف أنّ الطاعون ينتقلُ بالعدوى فلو لم يكن لليهود اختلاط بغيرهم لما أصابهم المرض وأوقع منهم ما أوقع، فكانوا يجتمعون مع المسلمين والنصارى في الحمّامات، و كانت بيــوتهم تــزاحم بيــوت الطوائف الأخرى، وفي ذلك دليل على الحرية الاجتماعية التي عاشها اليهود فــي مصــر فــي العصر المملوكي. فقد تمتعت النساء الذّميات باحترام الجميع في الحمامــات والأســواق وكــنّ يمشين في الطرقات فلا يُعرفن، وكان التجار يكرمونهنّ فلا يدرون أنهنّ من نساء أهل الذمــة[3]، وكان إذا اشترى الذميُّ داراً تعلو على دور جيرانه المسلمين، فإنه يحــتفظ بهــا دون أن يهــدم الجزء العالي الذي يمكّنه من كشف عورات المسلمين[4].

و في القدس، أصبحت هناك عادات اجتماعية مشتركة بين الطوائف الثلاثة في عصــر سلاطين المماليك، منها إخفاء النقود تحت الأرض، وهذا مــا أظهرتــه الاكتشــافات الحديثــة، والاعتقاد بالحسد أو "عين الحسود" فكانوا يأخذون قطعة من ملابس الحاسد، ويحرقونها تحــت الشخص المصاب بالحسد، وعادة أخرى جمعت الطوائف الثلاثة في بيت المقدس وهي خــروج الناس جميعاً في الصباح الباكر وعند غروب الشمس للتجول في البساتين وحول أسوار المدينة[5]، وعادة الزواج من أصول واحدة، حيث كان الزواج من أصول متباعدة نادر الحدوث، واشــترط

---

[1] يُنظر: ابن كثير، أبو الفدا: **البداية والنهاية**. ج14. ص301.

[2] ابن كثير، أبو الفدا: **البداية والنهاية**، ج14، ص302.

[3] يُنظر: ابن الأخوة، ضياء الدين محمد: **معالم القُربة في أحكام الحسبة**. ص97.

[4] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك**، ص100.

[5] يُنظر: علي، علي السيد: **القدس في العصر المملوكي**. ص260-261.

أهل العروس على العريس أحيانا أن يسكن مع أهلها حتى تعتاد عليه، فلا يدفع العريس إيجـــاراً عند المسلمين، أمّا عند اليهود، فيقوم بدفع مبلغ رمزي، وفي بعض الحالات لا يدفع أبداً[1].

من خلال ما سبق يمكن القول إنّ اليهود عاشوا حياة مستقرة تمتّعوا فيها بكامل حقوقهم، لم يُغبنوا، ولم يُعاملوا على أساس من الطائفية، ولكنّ الدولة كانت تضيّق عليهم عندما تلاحــظ تجاوزهم الحدود، وتطاولهم على المسلمين، فتقوم بإصدار مراســيم تتعلــق باللبـــاس والبنـــاء والمركوب، فمنها ما يُنفّذ فور صدوره، ومنها ما يُماطَل في تنفيذه حتى يصدر مرســوم آخــر. فكان من نتيجة تجاوزهم أن ألزمهم المنصور قلاوون بالغِيار[2] الذي اتُبع في عهــد عمــر بــن الخطاب رضي الله عنه، حين جاءت امرأة نصرانية إلى أمير الكوفة تشكو من زوجهــا الــذي يضربها لأنّها أسلمت، فضربه أمير الكوفة وفرّق بينهما، فشكاه لعمر بن الخطاب فحكم بما حكم به أمير الكوفة، وكتب إلى الأمصار أن يجزّوا نواصيهم، ولا يلبســوا لــبس المســلمين حتــى يُعرفوا[3].

ففرض عليهم مرسوم 700هـ، لبس الأزرق للنصارى، والأصفر لليهــود، والأحمــر للسامرة، ومنعهم من ركوب الخيل، فلا يركبون إلاّ حماراً بطريقة العرض، ولا يتطاولون فــي بنيانهم على المسلمين، وإذا مات أحدهم وكان له ورَثة يتولّى المسلمون تقســيم ميراثــه علــى ورثته، وإن لم يكن له ورَثة تذهب تركته لبيت مال المسلمين[4]، أي أنّ المرسوم أعــادهم إلــى

---

[1] يُنظر: علي، علي السيد: **الأسرة في مدينة بيت المقدس عصر سلاطين المماليــك**، دراسة وثائقية، مجلة التربية(قطر).. ع 163. مج36، 2005م. ص191-192.

[2] الغِيار: نوع من اللباس يلبسه أهل الذمة، مغايرٌ للباس المسلمين حتى يُعرفوا به.يُنظر: ابن قيّم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت751هـ): **أحكام أهل الذمة**. مج1. ص491.

[3] يُنظر: **المصدر نفسه،** ص491.

[4] يُنظر: النويري، شهاب الدين أحمد: **نهاية الأرب في فنون الأدب**.ج31، ص418-419، ابن حبيب، الحسن بن عمر بن حبيب الحلبي الدمشقي: **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**. ج1. ص670، المقريــزي، تقــي الــدين: **الســلوك**، ج2، ص923-924.

جميع أحكام العهدة العمرية[1]. وفي العام 709هـ حاول الوزير ابن الخليل، أن يتوسط لهم عند السلطان بالعودة إلى العمائم البيضاء لاعتبارات مالية، ولكنّ ابن تيمية رفض ذلك[2].

وفي العام 710هـ تجرّأت العامة على النصارى، فكانوا يضربونهم، ويعّرونهم أينما وجدوهم فلم يتجرؤوا على الخروج من بيوتهم، وكانوا إذا أرادوا الخروج ارتدوا عمائم صفراء يكترونها من اليهود[3]. وفي العام 754هـ في عهد السلطان صالح بن الناصر محمد[4]، برز مرسوم من القاهرة يأمر أهل الذّمة أن تصبح عمائمهم عشرة أذرع، ولا يركبون مع مُكاري مسلم[5]، وإذا مرّوا بالمسلمين ينزلون عن الحمير، وأن لا يدخلوا الحمامات إلاّ والصليب في أعناقهم، ولا تدخل نساؤهم الحمامات مع المسلمات، وإذا خرجن يخرجن في خف كل فردة لوناً؛ ليُعَرفن[6]. وقد ذكر ابن كثير أنّ هذا المرسوم قد أصدره السلطان في العام 755هـ، وزاد عليه أنّ نساء أهل الذمة يجب عليهنّ أن يرتدين خفّين، بحيث يكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض[7]، وجاء أيضا في نيل الأمل في ذيل الدول أنّ المرسوم قد أصدره السلطان في العام 755هـ[8].

وفي العام 766هـ نودي بالقاهرة أن لا تدخل النساء الذمّيات حمامات المسلمات بل يدخلن حمامات خاصة بهنّ، وعلى كل واحدة منهنّ أن ترتدي خفّين مخالفين في اللون بحيث

---

[1] يُنظر: ابن إبراهيم: أبو يوسف يعقوب (ت182هـ): **الخراج**.(د.ط)، بيروت: الجمل. 2009م، ص152-153. الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر(ت590هـ): **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص267-268، ابن بسام، محمد بن أحمد بن بسام: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص381-382.

[2] يُنظر: السيوطي، عبد الرحمن بن محمد بن عثمان: **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**. ج1. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.1997م. ص257.

[3] يُنظر: ابن كثير، أبو الفدا: **البداية والنهاية**. ج14، ص54، المقريزي، تقي الدين أحمد: **السلوك** ج2. ق1، ص227. ابن تغري بردي الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ج9. ص71.

[4] ولي السلطنة بعد خلع الناصر حسن في سنة 725هـ، ثم خُلع عن السلطنة في شوال سنة 755هـ، وكان قويّ الذكاء يعرف عدة صناعات، حُبس بعد خلعه بالقلعة عند أمه إلى أن مات في سنة 762هـ، ومن أعماله الحسنة وقفه بالديار المصرية على كسوة الكعبة. يُنظر: الشوكاني، محمد بن علي: **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. ج1. ص287-288.

[5] صدر مرسوم في سنة 694هـ في يوم عرفة ينصُّ على أن لا يركب أحدٌ من أهل الذمة خيلاً ولا بغالاً، ومن رأى من المسلمين ذلك فله سلبه. يُنظر: ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل: **البداية والنهاية**، ج13. ص340.

[6] يُنظر: ابن دقماق، إبراهيم بن محمد: **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**. ج1. ص395-396.

[7] يُنظر: أبو الفدا إسماعيل: **البداية والنهاية**. ج14، ص250.

[8] يُنظر: الحنفي، زين الدين عبد الباسط: **نيل الأمل في ذيل الدول**. ج1. ق1. ص266-267.

يكون أحدهما أبيض والآخر أصفر، أمّا رجال أهل الذمة، فيدخلون الحمامات مع المسلمين بشرط وضع أجراس أو خواتيم في رقابهم[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ متابعة تنفيذ المراسيم السابقة كانت مهمة المحتسب في عصر سلاطين المماليك، فمن واجبه إلزامهم بالشروط العمرية رجالاً ونساءً[2].

4. الحياة الاقتصادية

تمتّع اليهود في عصر سلاطين المماليك بحياة اقتصادية، تمكنوا خلالها من توفير كل متطلبات العيش، فقد مارسوا مهناً تدرُّ عليهم أرباحاً طائلة كالتجارة والطب والصرافة وغيرها من المهن التي ذكرتها الباحثة سابقاً.

وقد ساعدتهم الدولة في ذلك فلم تكن تنهب ثرواتهم وإن طمعت فيها أحياناً[3]، فلم تفرض عليهم إلاّ الجزية التي كانت تُعرف ب "الجوالي" أو الموالي، وهي ما يُؤخذ من أهل الذمّة على الجزية المقررة على رقابهم كل سنة[4]، تُفرضُ على البالغين منهم دون النساء والصبية والرهبان والمجانين، ويختلف مقدارها حسب دخل الشخص، وقد تراوحت ما بين عشرة دراهم وخمسة وعشرين[5]، وكان على رؤساء أهل الذمة أن يساعدوا جباة الجزية أو مباشري الجوالي لجمع المال المطلوب[6]، وليس هناك شك في أنّ حصيلة الجزية كانت في تناقص مستمر بسبب إسلام الكثيرين منهم[7]، وكان مقرراً على كل فرد من اليهود والنصارى غير الجزية أن يدفع ديناراً في

---

[1] يُنظر: ابن كثير، أبو الفدا اسماعيل: **البداية والنهاية.** ج14.ص317.

[2] يُنظر: الماوردي: أبو الحسن بن محمد: **الأحكام السلطانية والولايات الدينية.** ص116. ابن الأخوة. ضياء الدين محمد: **معالم القُربة في أحكام الحسبة،** ص97، ابن بسام، محمد بن أحمد بن بسام: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة.** ص381-382.

[3] يُنظر: ما أشارت إليه الدراسة سابقاً (حادثة تخفيف قيود اللباس وعودتهم للعمائم البيض طمعاً في أموالهم).

[4] يُنظر: فهيم، أحمد، نديم، محمود: **الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي.** (د.ط). (د.م): الهيئة المصرية العامة للكتب. 1983م. ص130.

[5] يُنظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا.** ج3، ص458.

[6] يُنظر: النويري، شهاب الدين أحمد: **نهاية الأرب في فنون الأدب.** ج8، ص242.

[7] يُنظر: سيدة، سيدة إسماعيل: **مصر الإسلامية وأهل الذمة.** (د.ط). (د.م): الهيئة المصرية العامة للكتب. 1993م. ص75.

كل سنة فجاء السلطان السابع من ملوك الترك قلاوون الصالحي في عام 678هـ وأبطله[1]، وقد رتّب الملك المؤيد راتباً لأسد اليهودي كفاه به وملأ كفّه وسدّ فاه[2]، ربما لأنه كان طبيباً بارعاً لم يتفوق عليه أحد من أطباء عصره. وما يدل على حرص السلاطين على إعطاء اليهود حقوقهم المالية، وعدم الاعتداء عليها، موقف الملك الظاهر سنة 658ه، فقد دفن يهودي بقلعة جعبر مصاغاً ذهبياً عندما دخل التتار في هذا العام، ثم هرب بأهله إلى الشام، فكتب إلى صاحب حماة، يريد ماله فأمره الملك الظاهر أن يرسل معه رجلين وكتاباً فأرسل وأخرج خبيئته، وقد حاول أحد العرب قتله وأخذ المال، ولكنّه حين رأى الكتاب معه خلّى سبيله[3].

وما يدل على أنّ اليهود مارسوا نشاطاتهم الاقتصادية بحرية وجود سوق اليهود في مصر التي تُعرف بـ"سويقة اليهود"،التي كانت خربة في زمن ابن دقماق[4]، أمّا في دمشق، فقد تركّزت أسواقهم في المنطقة الجنوبية، ولكنَّ هذا لا يعني عدم اختلاطهم بالطوائف الأخرى[5].

وساهم اليهود من ناحية اقتصادية في أعمال صيانة مرافق الري، كحفر الترع وبناء الجسور، وكان اشتراكهم يتم بترغيبهم أو بإجبارهم[6]، وفي عام 749هـ ساهم اليهود في بناء جسر على شاطئ النيل بعد أن جفت مياهه[7]، وتملّك اليهود عقارات في شتى أنحاء البلاد عن طريق البيع أو الشراء أو الوراثة[8]، ما جعلهم يتمتعون بالثراء عن بقية الطوائف وهناك أدلة تثبت ثراءهم، منها ما جاء في حوادث 700هـ، أنّه لما زار وزير المغرب القاهرة رأى النصارى يلبسون الثياب الفاخرة، ويركبون الخيول، والمسلمين يلحقون بهم يتذلّلون لهم وهم

---

[1] يُنظر: ابن دقماق، إبراهيم بن محمد: **الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**. ص309.

[2] يُنظر: الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك: **أعيان العصر وأعوان النصر**. ج1. ص505.

[3] يُنظر: ابن تغري بردي الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ج7، ص181.

[4] يُنظر: ابن دقماق، إبراهيم بن محمد: **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**. ج4. ق1. ص14.

[5] يُنظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح: **بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى**. (د.ط).(د.م): مكتبة الفارابي. 1977م. ص33.

[6] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في عصر سلاطين المماليك**. ص91.

[7] يُنظر: المقريزي، تقي الدين أحمد: **المواعظ والإعتبار**. ج2. ص168.

[8] يُنظر: ابن دقماق، إبراهيم بن محمد: **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**. ج4. ق1. ص41–42، السخاوي، شمس الدين: **التبر المسبوك في الذيل على السلوك**، (د.ط). القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. (د.ت). ص36–38.

يصرفونهم[1]، وما ذكره ابن الأخوة من تطاول اليهود والنصارى في زمانه"وأظهرت منهم الأيام طبائع شيطانية، مكَّنتها وعضدتها يدٌ سلطانية، فركبوا مركوب المسلمين، ولبسوا أحسن لباسهم، واستخدموهم، فرأيت اليهودي والنصراني راكباً يسوق بمركبه، والمسلم يجري في ركابه........، وأما نساؤهم إذا خرجن من دورهن ومشين في الطرقات، فلا يكدن يُعرفن.......[2]".

وعُرف من كبار تجار اليهود في العصر المملوكي التاجر عبد العزيز ابن منصور الكريمي التاجر الكارمي، وقيل إنّه كان لديه ستة خدام بيد كلّ واحد منهم مائتا ألف دينار للتجارة، وقد ضُرب به المثل في الغنى، وعجز عن حصر ماله، و بلغت ضريبة ما أحضره مرة إلى مصر أربعين ألف دينار في سنة واحدة[3].

لذلك كان سوء المعاملة الذي لقيه الذميون المصريون رد فعل لتماديهم وتظاهرهم بالترف والثروات التي كوّنوها من الوظائف الإدارية، وقد كانوا أداة سلاطين المماليك لابتزاز الرعية، ويرى الدكتور قاسم عبده قاسم أنّ الحقد بين الذمّيين والمسلمين لم يكن دينيا وإنما طبقيا؛ بسبب تفاوت المستوى الاقتصادي، وقد وجد سلاطين المماليك تلك الإضطهادات فرصة للاستيلاء على ثروات موظفيهم من أهل الذمة من ناحية، والظهور بمظهر حماة الإسلام من ناحية أخرى[4].

وتختلف الباحثة مع الدكتور قاسم عبده قاسم لأنه أعطى لسلاطين المماليك صفة عامة، فإن كان أحدهم قد طمع في ثروات أهل الذمّة، فإنّ هذا لا يعني أن تُعمّم الصفة عليهم جميعا، والحوادث السابقة تقف دليلا واضحاً على ذلك، فلم تصدر قرارات تحكم بمصادرة أموالهم دون سبب، ولو تعامل جميع سلاطين المماليك بهذه الطريقة لما تمتعوا بالثراء الذي عُرفوا به.

---

[1] يُنظر: المقريزي، تقي الدين أحمد: **السلوك**. ج2. ق4، ص923-925.

[2] ابن الإخوة، ضياء الدين محمد: **معالم القُربة في أحكام الحسبة**. ص97.

[3] يُنظر: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. ج2. ص384.

[4] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المماليك**. ص173-174.

5. الحياة العلمية والثقافية

من خلال المعلومات التي تمكّنتُ من جمعها عن النشاط العلمي والثقافي لليهود في حقبة عصر سلاطين المماليك يمكنني تقديم صورة بسيطة عن ذلك النشاط ، وفق الآتي:

كان التعليم عند اليهود في مصريبدأ بتعليم أطفالهم في المنازل تعليماً خاصّاً، أو في مدرسة أُعدَّت لغرض التعليم الأوليّ، فقد وُقف أحد بيوت اليهود على تعليم أطفالهم[1], أمّا ما كان يتعلمه أطفال اليهود، فهو القراءة والكتابة وبعض الأدعية التي تُتلى في صلوات السبت والمناسبات الدينية.

وبعد الانتهاء من المرحلة الأولية كان اليهود يرسلون أبناءهم إلى أكاديميات دينية، حتى يتّلمذوا على يد مدرّس أو حَبر مشهور يدرّسهم الشرائع والقوانين اليهودية، والتاريخ المقدّس، واللغة العبرية، ثم ينتقل بهم بعد التعليم النظري إلى التطبيق العملي من خلال المشاركة في خدمات السبت والأعياد اليهودية واحتفالاتها، ما يعني صبغ التعليم عندهم بالطابع الديني، وهو ما كان شائعا في نظام التعليم عند المسلمين[2].

ومن العلوم التي اشتهر بها اليهود، علم الطب، وعلم الفراسة الذي عُرف به الطبيب "أُسيدة اليهودي"، ففي ذات يوم كان يقف مع خطيب على باب جامع، وحضر إليه شخص، فقال له الخطيب قبل وصول الشخص: ما هي فراستك فيه؟ فصار يتأمله، ويسأله عن أشياء فيجيب عنها[3]، حتى أخبره أنه يحترف الصيد، فصحَّ حكمُه وتفرّسُه فيه وظهر أنه كان شّريراً وكان لأسيدة علم في الفلسفة والفقه والنحو[4].

[1] يُنظر: السخاوي، شمس الدين: **التبر المسبوك في الذيل على السلوك**. ص36-38.

[2] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المماليك**. ص134-135.

[3] يُنظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**. ج9. ص8-10.

[4] يُنظر: **المصدر نفسه**، ج9. ص10.

وكان لعلماء اليهود مؤلّفات في علوم متعددة، فقد ألّف"سليمان بن موسى بن أبي العلاء"[1]- الشيخ الصالح صفي الدين أبو العلاء الصوفي الكاتب- مقدّمة في صناعة الحساب والديوان وما يحتاجه[2]، وبرع أحمد بن المغربي الإشبيلي في الطب والفلسفة[3].

وفي مجال الكتابات الأدبية كتب اليهود قصصاً على شكل أساطير وخرافات عن نهر النيل، فقد صوّرُوه أرضا خيالية، تنبت في منابعه قضبان الذهب والفضة والنحاس والحديد، وبه أحجار مغناطيسية تَجذب كل من ينظر إليها وتقضي عليه، وجعلوه نهراً من أنهار الجنة، وكتب الرّحالة عنه يصفون حلاوة مائه، وحركة الملاحة فيه، واحتفال المصريين بوفائه.[4]

وظهر من الشعراء اليهود الشاعر القرّاء" موسى بن أبراهام الداري"[5] الذي عاش في القرن السابع الهجري، وكان متميزاً في شعره ، ولكنّه اعتمد على محاكاة الأنماط الشعرية والأساليب التي استخدمها شعراء اليهود في الأندلس[6]. أمّا في مجال الكتابات الدينية، فقد تسبّب النضال المذهبي بين طائفتي القرّائين والربانيين، في إنتاج نشاط أدبي واسع، دار حول ترجمة الكتاب المقدس[7]، وكان حظ الربانيين فيه أكثر من غيرهم من الطوائف، وعلى الرغم من المؤثرات الخارجية فإنّ نتاجهم الأدبي ظلّ يهوديا في روحه وأغراضه وشكله أحياناً كثيرة[8].

أمّا اللغة التي كان يستخدمها اليهود في حياتهم اليومية، فهي العربية، في حين ظلّت العبرية مرتبطة بالتراث الديني والعقائدي، وكان الشعر اليهودي في غالبيته، وقليل من النثر، يُكتب بالعبرية، واستخدم اليهود العربية في شرح التوراة، ويعود ذلك لعدة أسباب أولها: أنّ

---

[1] لم أعثر له على ترجمة.

[2] يُنظر: الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك: **أعيان العصر وأعوان النصر**. ج2. ص457-458.

[3] كان يهوديا يقال له سليمان، أسلم في أيام الملك الأشرف خليل بن قلاوون سنة 690هـ. وتَسمّى أحمد، وكان بارعاً في عدة علوم، وإماما في الطب والفلسفة والنجامة(التنجيم)،ولي رئاسة الأطباء بديار مصر، ومات في ليلة العشرين من صفر سنة 718هـ. يُنظر: المقريزي: تقي الدين أحمد: **السلوك**. ج2. ق1، ص187-188.

[4] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**.ط1.القاهرة:دار المعارف،1978م ص126-127.

[5] لم أعثر له على ترجمة

[6] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك**. ص111.

[7] يُنظر: **المرجع نفسه**، ص110.

[8] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المماليك**. ص158.

الكتابة بالعربية آنذاك كانت هي الشيء الطبيعي والأقل جهداً، وثانيهما: أنّ اللغة في المؤلفات العلمية لاتحمل مفهوماً "أيديولوجيا" كما في الشعر، وسبب آخر مهم: وهو تسيُّد اللغة العربية بعد حركة الترجمة الواسعة التي نَقلت المعرفة من الحضارات القديمة إلى اللغة العربية[1].

ويبدو أنّ غالبية يهود مصر كانوا يجهلون اللغة العبرية، بدليل الخطاب الذي بعث به رجل إلى زوجته مع ناسخ متجول، وذكر أنه سيترجم لها الخطاب من العبرية، فقد أصبحت مسألة الاحتفاظ باللغة العربية مشكلة تواجه يهود ذلك العصر[2].

أمّا عن علاقة اليهود بالمسلمين في القضايا العلمية والثقافية، فيبدو من خلال المصادر أنّه كانت تقام مجالس يجتمع فيها المسلمون واليهود يتشاورون في مسائل أدبية ودينية، حيث كانت هناك جماعة من المسلمين واليهود والنصارى والسامرة يترددون إلى مجلس الحسن بن محمد ابن أحمد بن نجا أبي محمد العنوي(ت660هـ) فقد كان أديباً[3]، فيناقشون فيه أمورا أدبية وقضايا علمية متنوعة.

وفي مجال المناظرات، كان الحكيم اليهودي "أُسيدة" يصحبُ الشيخ تقي الدين بن تيمية، وتدور بينهما مناظرات طويلة وكان يتباحث أيضاً مع علماء المسلمين في النحو وأصول الفقه، وكان يستخدم أسلوبي السخرية والتهكم مع محاوريه ومناظريه[4].

وقد بلغت العلاقة بين المثقفين المسلمين من جهة والمثقفين الذميين من جهة أخرى درجة من التّزمت أحياناً جعلتهم يعارضون التقارب الاجتماعي بين الطرفين، وعدّ بعضهم هذا التقارب خروجاً على الدين[5].

و في القدس، اشتغل اليهود بعلوم الفلك والرياضيات والقانون، وحتّمت عليهم التعاليم الدينية إرسال أطفالهم في سن الخامسة أو السابعة وحتى سن الثانية عشرة والثالثة عشرة إلى

---

[1] يُنظر: قاسم، قاسم عبده: **أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المماليك**، ص35-36.

[2] يُنظر: **المرجع نفسه**، ص158.

[3] يُنظر: ابن تغري بردي الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ج7.ص207.

[4] يُنظر: الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك: **الوافي بالوفيات**. ج9. ص10.

[5] يُنظر: ابن تيمية، تقي الدين أحمد: **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**. ج1. (د.ط). (د.م): مطبعة المجد التجارية (د.ت). ص19، ابن الحاج، محمد بن محمد: **المدخل**، ج2. ص46-48.

مكاتب، يتم فيها تعليمهم القراءة والكتابة، وفهم قوانين التوراة وحفظها، مقابل دفع أجور المؤدبين. أمّا أبناء الفقراء منهم، فكانت جماعة اليهود تساهم في دفع تكاليف تعليمهم، وكان الطلاب يتعلمون شكل الحروف وتكرارها ثم الكلمات، والأقوال المأثورة لرجال دينهم؛ لتخليدهم وتخليد أقوالهم، والاهتمام بمبادئ العقيدة اليهودية والعبادات الخاصة بهم، وكانت هذه المكاتب ملحقة بكنيس، وكانوا يستخدمون اللغة العربية في التعليم ويكتبونها أحيانا بحروف عبرية وبعد سنّ الثانية عشرة يذهب الابن ليعاون والده في حرفته[1].

وقد شهدت جماعة اليهود نشاطا علميا في بداية العصر المملوكي وذلك بقدوم أحد مشاهير المعلمين اليهود وهو"الرابي موسى بن نحمان" الذي أحيا طائفة المعلمين اليهودية، وبنى مركزاً للتعاليم اليهودية، وبنى الكنيس الذي يحمل اسمه، وكان قد بنى الأكاديمية اليهودية في القدس منذ العصر الأيوبي[2]، وتدفقت الأموال على الأكاديمية من المغرب العربي والبلدان الأوروبية، وقد شجّعهم على التبرع إرفاقهم أسئلة متعلقة بأمور العقيدة والمذهب إلى أصحاب الرأي والفقهاء في الأكاديمية[3].

وقد تحسّنت الأحوال العلمية لليهود في القدس بفضل المهاجرين اليهود الإسبان الذين جلبوا معهم الثقافة والثراء[4]، وكان كثير من البالغين يأتون للدراسة في أيام العطل فيدرسون التوراة من أجل التعود على السلوك الاجتماعي والديني السليم، وكل ذلك باللغة العربية المكتوبة بحروف عبرية[5].

أمّا المرأة اليهودية في القدس، فقد أخذت قسطاً من العلم من خلال الاستماع إلى أبيها في المنزل وهو يقرأ الكتاب المقدّس، وكان لها أن تحضر أحد مجالس العلم والمناقشات[6].

---

[1] يُنظر: علي، علي السيد: **القدس في العصر المملوكي**، ص150، 160، 161

[2] يُنظر: **المرجع نفسه**، ص167.

[3] ينظر: **المرجع نفسه**، ص168.

[4] يُنظر: **المرجع نفسه**، ص168.

[5] يُنظر: **المرجع نفسه**، ص168.

[6] يُنظر: علي، علي السيد: **الأسرة في مدينة بيت المقدس**، عصر سلاطين المماليك، ص193.

الفصل الثاني

الحياة الدينية والاجتماعية لليهود في شعر العصر المملوكي الأول (648هـ-784هـ)

الفصل الثاني

الحياة الدينية والاجتماعية لليهود في شعر العصر المملوكي الأول

(648هـ-784هـ)

أولاً: الحياة الدينية لليهود في شعر العصر المملوكي الأول

بعد دراسة الدواوين الشعرية، والقصائد والمقطوعات المتناثرة في المصادر الأدبية والتاريخية، تبيّن أنّ اليهود كان لهم نصيبٌ من ذاك الشعر، فلا أحد ينكر أنّهم شكّلوا طبقة من طبقات المجتمع في العصر المملوكي، أثّروا فيه وتأثروا به، ما جعل الشعراء يقفون على معتقداتهم، وموقفهم من الأنبياء و يتحدّثون عن كُنسهم في هذا العصر، وذلك وفق الآتي:

أ. معتقدات اليهود

كثرت المؤلّفات الدينية في العصر المملوكي، وغدا الموضوع الديني ظاهرة بارزة في شعر ذاك العصر، وقد يكون سبب ذلك أنّ المسلمين قضَوا على الفرنجة باسم الدين، وقضَوا على التتار باسم الدين، لذلك فُسّرت كل الأعمال على أساس ديني، وكان للكوارث الطبيعية والسياسية والاقتصادية دورٌ في العكوف على التأليف الديني[1]، ويُذكر أنّ شعراء العصر المملوكي عاشوا في مجتمع يعجُّ بالطوائف الدينية من نصرانية ويهودية[2]، ما جعلهم يبنون قصائدهم على نهج واضح يقوم على أساس بيان عقيدة أهل الذمة، وبخاصة اليهود، لبيان ادعاءاتهم التي تقوم عليها عقيدتهم.

وكان البوصيري[3] من أشهر الشعراء الذين تصدَوا للردّ على اليهود، وإفحامهم بالحجج العقلية والدينية من توراتهم المحرّفة. ويظهر من خلال دراسة قصائده أنها دارت حول موضوعين هما: اجتماعي، اشتمل على المديح والهجاء وشكوى الحال بأسلوب الدعابة

---

[1] يُنظر: أمين، بكري شيخ: **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني.** ط1. بيروت: دار الآفاق، 1979م. ص230-231.

[2] يُنظر: صالح، مخيمر: **المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري.** ط2. بيروت: دار مكة الهلال. عمان: الدار العربية، 1986م، ص198.

[3] البوصيري: هو صاحب البُردة، محمد بن سعيد بن حماد الدلاصيّ المولد، المغربيّ الأصل، البوصيريّ المنشأ ولد سنة 608هـ، وبرع في النظم، توفي في سنة695هـ. يُنظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان ت(911هـ): **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة.** ج1. ص464.

والظرف، ومديح نبوي[1] تحدث فيه الشاعر عن معجزاته صلى الله عليه وسلم، وجادل من خلاله اليهود والنصارى وفنّد مزاعمهم وادعاءاتهم، وعاد إلى نصوص التوراة.

وفي ردّه على اليهود يبدأ بتفنيد مزاعمهم، فقد اعتقدوا"بالبَداء"[2]، وادّعوا أنّ الشريعة لا تكون إلّا واحدة، ابتُدئت بموسى عليه السلام وخُتمت به، وما كان قبله مجرد حدود عقلية، ولم يجيزوا النسخ، وقالوا النسخُ في الأوامر بداء[3]، وهذا ما ذكره البوصيري في "همزيته" يقول[4]:

(الخفيف)

خبِّرونا أهلَ الكتابينِ من أينَ أتاكُمْ تَثْليثُكمْ والبَداءُ
ما أتى بالعقيدتينِ كِتابٌ واعتقادٌ لا نصَّ فيهِ ادّعاءُ
والدّعاوى ما لمْ تُقيموا عليها بيّناتٍ أبناؤُها أدْعِياءُ

فهو يطالبهم بالحجّة والبرهان على ادّعائهم البداء، إذ لم يأت في عقيدتهم دليلٌ على ذلك، لذلك فادعاؤهم باطل. ثم يعيب عليهم جهلهم وسخافتهم حين جوّزوا مسخهم، واعترفوا به، ولكنَّهم رفضوا النسخ، فيقيم عليهم الحجة بالأدلة، يقول[5]:

(الخفيف)

جَوّزوا النسخَ مثلما جوّزوا المسخَ عليهمْ لو أنّهُمْ فُقهاءُ
هو إلاّ أنْ يُرفعَ الحكمُ بالحكمِ وخَلقٌ فيهِ وأمرٌ سواءُ
ولِحُكمٍ منَ الزَّمانِ انتهاءٌ ولِحُكْمٍ منَ الزَّمانِ ابتداءُ
فسلوهمْ أكانَ في مسخِهِمْ نسخٌ لآياتِ الله أم إنشاءُ

---

[1] يُنظر: شبيب، غازي: **فن المديح النبوي**، ص112.

[2] البداء:هو ظهور مصلحة لله بعد خفائها، يُنظر: الهيتمي، أحمد بن محمد: (ت973هـ): **المنح المكيّة في شرح الهمزية**. ج2. تحقيق: محمد بسام بارود، ط1. أبو ظبي: المجمع الثقافي، لبنان: دار الحاوي للطباعة. 1998م. ص856.

[3] يُنظر: ابن الوردي، عمر بن المظفر(ت749هـ): **تتمة المختصر في شرح أخبار البشر**. ج1، ص123.

[4] البوصيري، شرف الدين محمد بن سعيد(ت695هـ): **ديوان البوصيري**. تحقيق: محمد سيد كيلاني. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي. ط1 ، 1955م. ص15.

[5] **ديوان البوصيري**، ص16.

فالشاعر يطلبُ إلى المسلمين سؤال اليهود عن مسخهم هل كان فيه نسخٌ، أم خلقُ صورة جديدة لهم، فإن قالوا فيه نسخٌ، فقد ناقضوا أنفسهم؛ لأنهم يرفضون النسخ، وإنْ قالوا هو إنشاءٌ، فهذا مكابرة وعنادٌ منهم[1].

ويواصلُ البوصيري في الأبيات الآتية إقامة الحجج والأدلة التي تُلزمهم الإيمان بالنسخ، وتظهر من خلال الأبيات ثقافة البوصيري المتمثّلة في اطّلاعه على ما كتبه اليهود في توراتهم المحرّفة، يقول[2]:

(الخفيف)

وَبــــداءٌ فـــي قَـــولِهِمْ نَـــدِمَ اللهُ	**علــــى خَلْـــقِ آدمَ أم خَطــــاءُ**
أم محــــا اللهُ آيَـــةَ اللّيــــلِ ذكــــراً	**بعـــدَ سَـــهْوٍ ليوجَـــد الإمســـاءُ**
أم بـــدا للإلــــهِ فـــي ذبـــحِ إســـحاقَ	**وقـــدْ كـــان الأمـــرُ فيــــه مَضـــاءُ**
أوَ مـــا حـــرّم الإلـــهُ نِكـــاحَ الأخـــتِ	**بعـــدَ التَّحليـــلِ فهـــوَ الزِّنـــاءُ**

فقد جاء في توراتهم"ندم الله على خلق آدم والبشر في نفسه، وفي قلبه، وفكّر محوهم"[3]، لذلك يكرر البوصيري طلبه إلى المسلمين سؤالهم، هل يعدُّون ندم الله بداءً أم خطأً، فإن قالوا بالأول، فهذا يستلزم إيمانهم بالنسخ، وإنْ قالوا بالثاني، فهذا زعمٌ ومحض افتراء، ثم يسوق لهم دليلا عقلياً، وهو أنّ الله يمحو الليل، ويزيلُ الظلمة ليأتي النهار. ثم يمحو النهار لتعمّ الظلمة، فهل وقع الأمر سهواً، ثم تذكر ليوجِد الليل أو ليوجِد النهار؟[4]

وينتقل الشاعر ليسوق حُجة ثالثةً، تلزمهم قبول النسخ، وهي من توراتهم التي حرّفوها بأيديهم، فقد ذكروا أنّ الذبيح هو "إسحق" وليس إسماعيل، فقد جاء أنّ الله أمر إبراهيم بربط إسحق، وبناء المذبح، وجمع الحطب، ثمّ مدّ يده، وأخذ السّكين ليذبح إسحق، في مكان اسمه

---

[1] يُنظر: الهيتمي، أحمد بن محمد: **المنح المكية في شرح الهمزية**. ج2، ص900.

[2] **ديوان البوصيري**، ص16.

[3] **الكتاب المقدس، العهد القديم. سفر التكوين/ إصحاح6**. ص10.

[4] يُنظر: الهيتمي، أحمد بن محمد: **المنح المكية في شرح الهمزية**. ج2. ص261.

"أرض المُريّا"[1]، ولكنّ الرّبَّ فداه بكبش، ولأنّ إبراهيم صدّق ما أمره الله به قال له الربُّ: "أباركك مباركة، وأكثِرُ نسلك تكثُّراً كنجوم السماء، وكالرمل على شاطئ البحر، من أجل أنّك سمعت لقولي"[2]، فبعد أن كان الأمر بذبحه واقعاً نافذاً، فُدي بكبشٍ، فإذا آمن اليهودُ بالفداءِ وجبَ عليهم الإيمان بالنسخِ، وإنْ لم يؤمنوا فهذا تناقضٌ عقَدي.

ثم يطلب سؤالهم عن تحريم نكاح الأخت بعد تحليلها زمن آدم، فإن قالوا: حرّمها بعد أنْ حلّلها يكون هذا هو النسخ الذي أنكروه، وإنْ قالوا: لم يحرّمها، كان هذا عنادٌ اتّصفوا به[3].

من الملاحظ أنّ البوصيري في سياق ردّه على ادّعاءات اليهود برفض النسخ يذكر اعترافهم بالمسخ، وهذا يقوده للحديث عن تعدّيهم في السبت، وقد أشار الشاعر إلى ذلك في غير قصيدة، يقول في همزيته[4]:

(الخفيف)

لو أُريدوا في حالِ سَبتٍ بخيرٍ كانَ سَبْتاً لديهمُ الأربعاءُ
هو يومٌ مباركٌ قيلَ للتَّصريف فيهِ منَ اليهودِ اعتداءُ
فبِظُلم منْهُمْ وكفرٍ عَدَتْهُمْ طيّباتٌ في تركهنَّ ابتلاءُ

فلو أراد الله الخير لهم لهداهم لتعظيم يوم آخر غير السبت الذي يعني" القطع"، كالأربعاء مثلاً، والسبت يوم مبارك عَظُمت حُرمته، فمن اعتدى فيه ببغي عجّل الله عقوبته[5]، فقد جاء في

[1] مُريّا: اسم سامٍ ربما كان معناه "رؤيا" وهو اسم أرض وُصّي إبراهيم أن يصعد إليها، وقدّم إسحق ابنه على أكمة منها وهي منطقة في أورشليم، وهو الجبل الذي بنى سليمان عليه الهيكل في أورشليم، وكان في القسم الشرقي من المدينة الحاضرة يشرف على وادي قدرون، وكان إلى الشمال من صهيون، ويظنُّ الأكثرون أنّ موضع الهيكل هو نفس الموضع الذي أمر فيه إبراهيم أن يستعد لتقديم إسحق ذبيحه، غير أنّ الطائفة السامرية تقول أنّ موضع مذبح إبراهيم كان على جبل جرزيم. يُنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص859.

[2] يُنظر: **سفر التكوين/ إصحاح 21**، ص22-23.

[3] يُنظر: المهدي، أبو العباس(621هـ): **الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية للبوصيري**.. قدّم له وصحّحه: عبد السلام الخالدي. ط1، لبنان: دار الكتب العلمية. 2010م. ص263.

[4] **ديوان البوصيري**، ص16-17.

[5] يُنظر: الهيتمي، أحمد بن محمد: **المنح المكية في شرح الهمزية**. ج2. ص916-917.

توراتهم أنّ من اعتدى فيه يُقتلُ حتى الموت: "الموتُ لمن يكسر السبت"[1]، و ورد هـذا المعنـى أيضا في سفر اللاويين/ إصحاح23، وهم يعتقدون أنّ الله خلق السموات والأرض في ستّة أيام، ثم استراح في اليوم السابع"السبت"، فقد جاء في التوراة"كل من صنع عملاً يـوم السـبت يُقتـل قتلاً....، لأنه في ستة أيام صنع الربُّ السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفَّسَ"[2].

وقد ورد أنّ أُناساً من اليهود عاشوا في زمن داود عليه السلام، وصل عددهم إلى اثني عشر ألفاً، اصطادوا فيه، وكانوا يقيمون بقرية تدعى"أيلة"[3]، فابتلاهم الله بأن ألهم الحيتان يـوم السبت أن ترفع خرطومها فتفرّق السمك، ما جعلهم يحتالون بحفر خندق يوم الجمعـة بجانـب البحر، فيمتلئ بالماء والسمك، ثم يأتون يوم الأحد ويأخذونه، ويشـوونه، ويأكلونـه، فيسـألهم جيرانهم ويخبرونهم بالحيلة، فيقولون: إنّ الله سيعذّبكم، ولكن تأخّرَ العذاب عنهم،ما جعل جماعةً أخرى تتّبعهم، فصاروا الثلث، والثلث الباقي سكتوا، و الثلث الثالث اعتزلوا، وبنوا بينهم حائطا، فمسخ الله الثلث الأول والثاني قردة وخنازير، ولم يُعرف ما حل بالثلث الثالث[4]. فهؤلاء من قال عز وجل فيهم: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)[5].

لأجل ذلك استحقّ اليهود الحرمان من الطيبات، واستحقوا المسخ إلى قِرَدة بعد أن كانوا مكرّمين ينتمون إلى عالم بشري، فحاق بهم الهلاك بسبب ظلمهم وكفرهم، وتظلُّ فكـرة مَسـخ اليهود حاضرة في ذهن البوصيري، وتلحُّ عليه في قصائده، يقول في قصيدته"تقديس الحرم من

---

[1] **سفر العدد/ إصحاح15**، ص127.

[2] **سفر الخروج/ إصحاح 31**، ص103.

[3] أيلة هي مدينة على شاطئ البحر فيما بين مصر ومكة، سُميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم، وكانت مدينـة جليلـة علـى ساحل البحر، وكان بها مساجد عديدة وكثيرٌ من اليهود الذين يزعمون أنّ بُرد النبي عندهم،أول من استعمل أيلة هم الأنباط ، كانت قبلهم تسمى ايلات، وهي أم الرشراش العربية. يُنظر: المقريزي، تقي الدين أحمد(ت845هـ): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**. ج1. ص184.شرّاب،محمد حسن: **معجم بلدات فلسطين**. ط2. بيروت: الأهلية للنشـر والتوزيـع، 1996م،ص134.

[4] يُنظر: المهدي أبو العباس(621ه): **الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية للبوصيري**. ص266. المقريزي، تقـي الدين أحمد.(845ه): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**. ج1. ص184-185. الهيتمي، أحمد بن محمد(ت973هـ): **المنح المكية في شرح الهمزية**.ج2. ص920-921.

[5] **سورة البقرة**، آية 65.

تدنيس الضَّرم" ويردُّ على ادعاءاتهم الباطلة بعد اشتعال النار في الحرم النبوي في سنة 654ه[1]، يقول[2]:

(الطويل)

دَعُوا معشــرَ الضّــلال عنّــا حــديثَكمْ فــــلا خطُّأمنـــــهُ يُجـــابُ ولا عمْـــدُ
فلــــو أنّكــــمْ خَلــــقٌ كــــريمٌ مُســـختمْ بقَــولكم لكــنْ بِمَــن يُمســـخُ القــردُ؟

فيذكرهم بماضيهم الأسود حين مُسخوا قِردة، فلو كانوا قوماً كُرماء لما حصل لهم هــذا الغضب من الله، لذلك فهم أمّة ضالّة لا يُصدّق حديثها أبداً، وهو لا يفضِّلهم علــى أحــد حــين يقول[3]:

(مخلّع البسيط)

وكيـــــفَ تَفْضـــــيلُهمْ وفـــــيهمْ ســـــرُّ الخنــــازيرِ والقــــرودِ؟

ولم يكتف اليهود بمخالفتهم أوامر الله بل اعتقدوا، بأنّ الله تعالى، كالبشر يُقاتِلُ ويَضربُ، ويُضربَ، قد تصارع مع إسرائيل، فصرعه إسرائيلُ، يقول البوصيري[4]:

(الكامل)

وكفـــى اليهـــودَ بـــأنّهمْ قَـــدْ مثّلـــوا مَعْبـــــودَهمْ بعبـــــادهِ تَمثـــــيلا
وبــــأنّ إســــرائيلَ صَــــارع ربّــــهُ ورمـــــى بِـــــهِ شُـــكراً لإسْــــرائيلا

وهذا لم يكن محض افتراء من الشاعر، وإنّما وجده في توراتهم حيث جاء فيها "فخلــق اللهُ الإنسان على صورته"[5]، وزعموا أنّه تصارع مع إسرائيل"يعقوب" فصرعه، ولأجل ذلك غيّر الربُّ اسمه إلى "إسرائيل"، فقد جاء في توراتهم" فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسانٌ حتى طلوع

[1] يُنظر: ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ج7. ص36.
[2] **ديوان البوصيري**، ص63-64.
[3] **المصدر نفسه**، ص81.
[4] **ديوان البوصيري**، ص 134.
[5] **سفر التكوين/ إصحاح 1**، ص4.

الفجر.........، فسأله ما اسمك؟ فقال: "يعقوب"، فقال: "لا يُدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت"[1].

إنّ شعباً يدّعي أنّه أفضل الشعوب، وأكثرها ذكاءً حريٌّ به أن يتبرأ من كل هذه المزاعم والافتراءات التي لا يصدّقها عقلٌ بشريٌ، ولا تتفقُ مع تعاليم دين أو كتاب سماوي أنزلَه اللهُ على أنبيائه ورسله، فكفاهم جهلاً وحُمقاً.

لقد ظلّت قصة تعدّي اليهود في السبت عاراً عليهم، ولعنة تطاردهم في كلّ العصور فهذا ابن قّيم الجوزية[2]، يجادل الشيعة ويشبّههم باليهود لأنّهم حلّلوا الحيتان، وتحايلوا على عقيدتهم، يقول[3]:

(الكامل)

مِن كلِّ شيعيٍّ خبيثٍ وَصْفُهُ وصْفُ اليَهُودِ مُحَلِّلي الحيتانِ

فقد أصبح تجاوزهم وتعديهم على حدود الله مثلاً يُضرَب لكلّ من يحيد عن ملّة الإسلام ويشوِّه الدين، ويحرّفه وفق أهوائه، والشاعر لا ينسى نعت اليهود بصفة الخُبث. فقد حلّلوا أخذ الحيتان يوم الأحد بما أوقعوها يوم السبت في الحُفر والشّباك، وأصرُّوا أنّها ليست صيدَ يوم السبت[4].

ولا يمكن إنكار دخول بعض اليهود في الإسلام، منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وحتى العصر المملوكي، وهذا ما دوّنه الشعراء في قصائدهم، يقول ابن سيد الناس[5]، في قصيدة

---

[1] **المصدر نفسه، إصحاح 32**، ص53.

[2] هو العلّامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيّوب بن سعد الزرعي الدمشقي، فقيه حنبلي، أصولي، ولد سنة 691هـ، له تصانيف عديدة بالفقه، توفي في سنة 751هـ. يُنظر: الآلوسي البغدادي، نعمان خير الدين: **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين.** ص30-32.

[3] ابن قيّم الجوزية، محمد بن بكر(ت751هـ): **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية(القصيدة النونية)**، عُني بها: عبد الله بن محمد العُمير.(د.ط). (د.م): دار ابن خُزيمة. (د.ت). ص43.

[4] يُنظر: ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر(ت751ه): **إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان**، ج1. تحقيق: محمد حامد الفقي،(د.ط) بيروت: دار المعرفة(د.ت) ص350.

[5] هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس، الإمام الحافظ،الأديب الناظم، كان حسن المحاورة، لطيف العبارة، فصيح الألفاظ، طيب الأخلاق بسّاماً، صاحب دعابة، له خبرة بعلم اللسان، شعره رقيق سهل التركيب، منسجم الألفاظ عذب النظم، ولد سنة 670هـ، وتوفي سنة 728 هـ. يُنظر: ابن حجر، شهاب الدين أحمد: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.** ج4. ص335، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، ج1، ص289-311.

له[1] مشيراً إلى معاملة أحد الذين دخلوا في الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

(البسيط)

كــــذا مُخيريــــقُ[2] إذْ رام السِّــــدادَ وإذْ عَلَــى نبــيِّ الهُــدَى أموالَـــه وَقَفـــا

ويبدو إسلام مخيريق صادقاً، حاول من خلال تبرّعه بأمواله للإسلام وللمسلمين أنْ يكفّر عن ماضي كفره.

وكان الشاعر ابن دانيال[3] من الشعراء الذين تحدثوا عن اليهود وسخروا منهم، فقد قال ساخراً من إسلام يهودي يُدعى "الرشيد"، كان قد أعلن إسلامه[4]:

(الكامل)

قالوا: اليهــوديُّ الرشــيدُ قــدِ اهتــدى رَشَداً وعَن كُفــرِ اليَهــودِ قَــدِ انتقَــلْ
فـــأجبتُهمْ مـــا رامَ فـــي إســـلامِهِ إلّـــا احتمـــالَ مـــآثمٍ لا تُحتمـــلْ

يبدو الشاعر ساخراً متهكماً من إسلام اليهودي الرشيد، وغير مقتنع بإيمانه، فلم يؤمن إلّا لتحقيق مصالح، وتجنباً لشر قد يصيبه إنْ بقي على ديانة اليهود، فربما كان إسلامه حتى يتخلص من دفع الجزية التي كانت مفروضة عليهم، ويُعفى منها كلُّ من يدخل في الإسلام.

وفي المقابل، يفتخر الشاعر ابن نباتة[5] بإسلام شمعة اليهودي، فيقول[6]:

---

[1] بوصخرة، آدم صالح آدم: "**بشرى اللبيب بذكرى الحبيب**" لأبي الفتح فتح الدين محمد بن سيد النـــاس اليعمـــري(671-734ه)، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة عمر المختار، ليبيا.2008-2009م، ص215.

[2] هو النضري الإسرائيلي من بني النضير، أسلم واستشهد بأحد، كان عالماً، وقد أوصى بأمواله للنبـــي صـــلى الله عليـــه وسلم. يُنظر: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج6. ص57.

[3] هو محمد بن دانيال بن يوسف بن شمس الدين، الطبيب الكحّال، وُلد في سنة 648هـ، بالموصل، وتوفي في القـــاهرة سنة 710هـــ، وكان كثير المجون وله نوادر عجيبة، ألّف كتاب(طيف الخيال): يُنظر: المقريزي، تقي الدين أحمد: **كتـــاب المقفّى الكبير** ج5. ط1. تحقيق: محمد اليعلاوي، بيروت: دار المغرب الإسلامي. 1991م. ص639-640.

[4] **المصدر نفسه** ، ص93.

[5] هو الأديب المشهور جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي المصري، وُلد بمصـــر سنة 686هـــ، تفوق على أهل زمانه في النظم والنثر، مات في القاهرة سنة 768هـــ.

يُنظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان(ت911هـــ): **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقـــاهرة**. ص466.

[6] ابن نباتة، جمال الدين المصري الفاروقي(ت 768هـــ). : **ديوان ابن نباتة المصري**. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د.ت). ص239.

(المجتث)

آنَسْتَنا يَا أَخَانا فِي دِينِنا المَبْرُورِ
قَدْ كُنْتَ شَمْعَةَ نارٍ فَصِرْتَ شَمْعَةَ نُورٍ

ويخاطبه برابطة الإخوة الإسلامية، بعد دخوله الدين الحنيف الذي سيحميه من النار، ويهديه إلى طريق النور.

أمّا من ظلّوا على دينهم من أهل الذمّة، فقد تعذّروا بأنّ الله لم يهدهم إلى طريق الصواب، وقد كتب الله بضلالهم، وتظهر هذه المعاني في أبيات شاعت بالشام على صورة فُتيا جاءت على لسان بعض اليهود، وهي[1]:

(الطويل)

إذا ما قَضَى ربّي بِكُفري بِزَعْمِكُمْ وَلَمْ يَرضَهُ مِنّي فما وَجْهُ حيلتي
دَعاني وَسَدَّ البابَ عَنّي فَهَلْ إلى الـ دُخولِ سبيلٌ ؟ بيّنوا لي قِصتي
قَضى بِضَلالي ثمَّ قال ارْضَ بالقَضا فَها أَنا راضٍ بالذي فيه شَقوَتي
فَإنْ كُنْتُ بالمقْضيِّ يا قَومُ راضِياً فَرَبِّيَ لا يَرْضى لِشُؤْمِ بليّتي
إذا شاءَ ربّي الكُفْرَ مِنّي مشيئَةً فَهَا أنا راضٍ باتّباعِ المشيئةِ

حيث يرى هذا اليهودي أنّ الكفر مشيئة الله وإرادته، ولا حول له ولا قوة في ذلك ويعلن استسلامه لقضاء الله، فكتب الشيخ علاء الدين رحمه الله الجواب[2]:

(الطويل)

وحاوَلْتُ إِبلاغَ النَصيحةِ مُنْصِفاً لِمَنْ طلبَ الإيضاحَ في كلّ شُبهَةِ
صَدَقْتَ قَضى الرَّبُ العَظيمُ بكُلِّ ما يَكونُ وما قَدْ كانَ فَوْقَ المَشيئةِ
وَهَذا إِذا حَقَقْتَهُ مُتَأَمّلاً فَلَيسَ يُسدّ البابُ مِنْ بَعْدِ دعوَةِ
فَمِنْ جُمْلَةِ الأسبابِ ممّا رَفَضْتَهُ مَعَ الأَمرِ والإمكانِ لفظُ الشهادةِ

---

[1] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ): **أعيان العصر وأعوان النصر**. ج3. ص292.
[2] **المصدر نفسة**، ص293.

فَأَنْـــتَ كَمَـــنْ لا يأكـــلُ الـــدَّهْرَ قـــائلاً   أَموتُ بجوعٍ إذا قَضَـــى لـــي بِجَوعَـــةِ

فالشاعر يحاول إقناع اليهودي بأنّ الله لا يسدّ باب من يلجأ إليه طالبا الهداية، ولكنّ هذا اليهودي رفض أن يشهد أنّ لا إله إلا الله، فكان كالذي لا يأكل أبداً ويقول بأنَّ الله قضى بموته جوعاً.

ثم يطلب الشاعر من اليهودي أن يحسن التأمل في الإسلام، وأنْ يُقبل علـــى الله حتـــى تتحقق له الهداية، فيقول[1]:

(الطويل)

فَلَـــو أَنْـــتُمْ أَقْبَلْـــتُمْ بِضَـــراعَةٍ   إلـــى اللهِ وَ الـــدينِ القَـــويمِ الطَريقَـــةِ
وَوَفَيْـــتُمْ حُسْـــنَ التَأمّـــلِ حَقَّـــهُ   وَأَحْسَـــنْتُمُ الإمعـــانَ فـــي كُـــلِّ نَظْـــرَةِ
لَكانَ الذي قَـــدْ شـــاءَهُ اللهُ مِـــن هُـــدى   وَلَـــيسَ خُـــروجٌ مِـــنْ قَضـــاءٍ بِحالَـــةِ

ولم تقف معتقدات اليهود عند هذا الحد، فقد وقفوا من الأنبياء والمرسلين موقفاً معادياً، أفصحت عنه أشعار شعراء هذا العصر.

ب. موقف اليهود من الأنبياء

تعدّدت جرائم اليهود على مرّ العصور ضد الأنبياء والمرسلين، فقد حرّفـــوا قصصـــهم وافتروا عليهم باطلاً، وقتلوا سبعين نبياً في يومٍ واحدٍ[2]، يقول البوصيري[3]:

(الخفيف)

قتلـــــــوا الأنبيـــــــاءَ واتّخـــــــذوا   العجـــلَ ألا إنّهُـــمْ هُـــمُ الســـفهاءُ

وأمّا التوراة التي أُنزلت على موسى ،عليه السلام، لتكون كتابهم السماوي بعد أن أنزلها الله على موسى في ألواح تسلّمها في جبل الطور، فقد حرّفها أحبارهم تبعاً لمصالحهم وأهوائهم[4]،

[1] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ): **أعيان العصر وأعوان النصر**. ج3، ص294.

[2] يُنظر: الخولي، أحمد: **الإمام البوصيري بين البردة والهمزية**. ط2. القاهرة: مركز الكتاب للنشر، 2009م. ص169.

[3] **ديوان البوصيري**. ص16.

[4] يُنظر: الزوبي، ممدوح: **القتل عقيدة يهوه وأتباعه**. ط1. دمشق: الأهالي للتوزيع. 2000م. ص13.

ونعتهم الله بذلك حين قال في كتابه العزيز (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)[1]، حتى أصبحت تعُجّ بالمتناقضات، يقول البوصيري[2]:

(الكامل)

أخْلَوا كتابَ الله مِن أحكامِهِ عَدْواً وكانَ العامرَ المأهولا
جعلوا الحرامَ بِهِ حَلالاً والهدَى غيَّاً وموصولَ التُّقى مفصولاً
كتموا العبادةَ والمعادَ وما رعَوا للحقِّ تعجيلاً ولا تأجيلاً

ولم يتورعوا عن رشق الأنبياء بتُهم باطلة، فقد اتهموا سيدنا إبراهيم في قصة ضيوفه الذين جاؤوا لزيارته، يقول البوصيري في ذلك[3]:

(الكامل)

وَبأنَّ إبراهيمَ حاولَ أكلَهُ خُبْزاً ورامَ لرجلِهِ تغسيلاً

فقد ادّعوا أنه أطعم الله خبزا ليتقوى به، وماءً لِيغسلَ رجْلَيهِ به[4].

وقد ذُكرت القصةُ الحقيقية في القرآن الكريم، وكان ضيوفه ملائكة، وذلك في سورة الذاريات، وقد جاؤوا ليبشّروا إبراهيم بإسحق، ومن بعده يعقوب، وجاؤوا لهلاك قوم لوط[5].

أمّا **لوطٌ** ،عليه السلام، فقد رشقوه بأبشع التهم، وهي عدم غيرته على شرف بناته، يقول البوصيري[6]:

(الكامل)

لَم ينتهُوا عَنْ قَذفِ داوودٍ ولا لوطٍ فكيفَ بقذفهم رُوبيلا

---

[1] **سورة المائدة**، آية 13.
[2] **ديوان البوصيري**، ص140.
[3] **المصدر نفسه**، ص136.
[4] يُنظر: **سفر التكوين/ إصحاح 18**، ص24-25.
[5] يُنظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل: **تفسير ابن كثير**. ج6.ط1. بيروت: دار الأندلس. 1966م، ص422.
[6] **ديوان البوصيري**، ص137.

فقد جاء في توراتهم المحرّفة، أنّه بعد أن حضر الملكان إلى بيت لـــوط، جـــاء رجـــال المدينة يبحثون عنهما، فخرج لوط، وأغلق الباب، وقال لهم:"هوذا لي ابنتان لم تعرفــا رجـــلاً أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسنُ في عيونكم، وأمّا هذان الرجلان، فلا تفعلوا بهما شـــيئاً، لأنهما قد دخلا تحت ظلِّ سقفي[1]".

فقد وصل سوء ظنّهم إلى حد اتّهام الأنبياء بتحليل الزّنا، وذلك بعد تحريف ما جاء فـــي قصة لوط، عندما زارته الملائكة في بيته.

وقد ذُكرت القصة في القرآن الكريم،حيث قال تعالى على لسان لوط: (قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)[2]، يرشدهم في ذلك إلى الابتعاد عن فاحشة اللّواط وإلى غشـــيان نســـائهم، وهنّ بناته شرعاً، لأنّ النبي للأمة بمنزلة الوالد[3].

ولم يسلم **إســـماعيل،** عليه السلام من أذاهم، ورأوا أنّه لم يكن هو الذبيح وإنما إســـحق، وافتروا على أمه هَاجر أشد الافتراءات، يقول البوصيري[4]:

(الكامل)

ظنّـــوا بـــرَبِّهِمُ الظُّنـــونَ ورسْـــلهِ ورمُـــوا إناثـــاً بـــالأذى وفُحـــولاً

فقد زعموا في توراتهم أنّ سارة أمرت إبراهيم بطرد الجارية، فقبُح الكلام في وجهـــه، فقال الله له:" لا يَقبُحُ في عينيكَ من أجل الغُلام ومن أجل جارتيك، في كل ما تقول لـــك ســـارة اسمع قولها، لأنه بإسحق يُدعى لك نسلٌ"، ففكّر وأخذها إلى صحراء بئر السبع[5]. وهم لم يكتفوا بالكذب على الأنبياء، وإنّما كذبوا على الله عز وجل، واتّهموه أنّه هو من أمرَ إبـــراهيم بِأخـــذ هاجر، وذكروا أنّ المكان هو "بئر السّبع"، وفي القرآن الكريم أخذها إبراهيم إلى مكة، حيث لـــم

---

[1] **سفر التكوين/ إصحاح19.** ص26-27.

[2] **سورة هود،** آية78.

[3] يُنظر: ابن كثير القرشي الدمشقي، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل(ت 774هـ): **قَصص الانبياء،** ص177.

[4] **ديوان البوصيري،** ص144.

[5] يُنظر: **سفر التكوين/ إصحاح 21،** ص30.

يكن فيها زرعٌ ولا بشرٌ، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ [1]).

وهم بهذا التحريف والتزوير، يريدون أنْ تَظهر هاجر أم إسماعيل بصورة الجارية المنبوذة التي غضب عليها الرب، وغضب عليها زوجها، أمّا سارة، فهي الزوجة المرضية من ربّها وزوجها، كل ذلك ليثبتوا أنّهم مؤيدون من الله، وأنّ العرب مغضوبٌ عليهم.

ولم يسلم **يعقوب**، عليه السلام، ولا أبناؤه من ادعاءات اليهود، واتهاماتهم الباطلة وقد عبّر البوصيري عن ذلك قائلاً[2]:

(الكامل)

وَعَزَوا إلى يعقوبَ مِن أولادهِ ذكراً مِنَ الفِعلِ القَبيحِ مَهُولاً

واتهموه بأنه قد تصارع مع ربّه، وبأنّه خدع والده إسحق وأوهمه بأنّه"عيصو"، وقدّم له الطعام ليباركه، لأن إسحق كان كفيفاً، فلبس له جلد ماعز، ليوهمه بأنّه"عيصو" الذي كان كثيف شعر اليدين، وكانت هذه الحيلة من تخطيط أمّه"رفقة"[3]، على حد زعمهم، فما هذا النبي الذي يكذب على والده ويخدعه لكي يباركه، وينتحل شخصية أخيه، وكيف لإنسان خلقَ اللهُ له عقلاً يصدّقُ هذه المزاعم؟ ولم يكتفوا بذلك فقد اتّهموا يعقوب بأنه اغتصب ابنته[4]، واتّهموا ابنه "روبيل" بالزّنا، يقول البوصيري[5]:

(الكامل)

لم ينتهوا عَنْ قَذفِ داوودٍ ولا لوطٍ فكيفَ بقَذفِهم روبيلا

---

[1] **سورة إبراهيم**، آية 37.

[2] **ديوان البوصيري**، ص137.

[3] يُنظر: **سفر التكوين/ إصحاح27**، ص41.

[4] يُنظر: **المصدر نفسه / إصحاح34**، ص55.

[5] **ديوان البوصيري**، ص137.

فقد زعموا أنّ "روبيل" ابن يعقوب البكر اعتدى عَلى "بلهة" سَرية[1] يعقــوب واضــطجع معها، ولم يُحرّك يعقوبُ ساكنًا[2]، وقد اتهم اليهود داوود عليه السلام بسفك دمـــاء الفلســطينيين وقتلهم[3] واتهموه بأنه عصى ربه في آخر حياته، فطلب بأن يُحضروا له عذراء جميلــة[4]، فقــد سوّلت لهم أنفسهم السوء والحمق والجهالة.

وكان **موسى** عليه السلام من أكثر الأنبياء الذين لقوا العذاب من بني إسرائيل وبخاصة في قصة العجل التي كررها البوصيري غير مرّة في قصائده يقول[5]:

(الخفيف)

قتلــوا الأنبيــاءَ واتّخــذوا العِجْــلَ ألا إنّهــــمْ هُــــمُ السُّــــفهاءُ
وسفيهٌ مــن ســاءَهُ المــنُّ والسَّــلوى وأرضــــاهُ الفــــومُ والقثّــــاءُ

فقد اتخذوا العجل إلهاً معبوداً لهم من دون الله، و صنعه لهم السامريُّ من الحُليّ التــي استعارها من القِبط قبل غرقهم[6].

وفي رحلتهم مع موسى عليه السلام في صحراء سيناء طلبوا منه طعاماً، فدعا الله فأنزل عليهم "المن والسلوى"[7]، ولم يرتضوا بذلك لكفرهم وعنادهم، بل طلبوا إليه أن يُخرج لهم الفــوم

---

[1] زوجة شرعية حسب الناموس اليهودي، ولكنها في درجة أقل من درجة سيدة البيت، وكان هذا جائزا في نظــام تعــدد الزوجات حيث كانت السراري يؤخذن من العبيد ويُشترين بثمن، مثل هاجر وبلهة وقد يكنّ أحيانا من أســيرات الحــرب. يُنظر: نخبة من الأساتذة ذوي الإختصاص ومن اللاهوتيين: **قاموس الكتاب المقدس،** ص464.

[2] يُنظر: **سفر التكوين/ إصحاح21**/ 35، ص29–57.

[3] يُنظر: **سفر** أخبار الأيام الأولى/ **إصحاح 28**، ص649.

[4] يُنظر: **سفر** الملوك الأول/ **إصحاح28**، ص509–518.

[5] **ديوان البوصيري،** ص16.

[6] يُنظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل: **تفسير ابن كثير.** ج4. ص530–536.

[7] اختلفت عبارات المفسرين في المن، فقال ابن عباس: كان ينزل عليهم من الأشجار، وقال عكرمة: يشبه الــرُّب الغلــيظ وقال السدي: كان يسقط على شجرة الزنجبيل، وقال قتادة: هو أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، كان يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقال الربيع بن أنس: هو شراب مثل العسل كانوا يمزجونه بالماء ويشربونه، ومنهم مــن قال إنّه خبز رقاق مثل الذرة، وفي الحقيقة هو كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب مما ليس لهم فيه عملٌ ولا كدٌّ، أما السلوى، فهي طائر يشبه السمّاني، كانوا يأكلون منه. يُنظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل: **تفسير ابن كثير.** ج1. ص165–170.

والقثاء، مستبدلين الأدنى بالأعلى لحماقتهم وكفرهم، قال تعالى فيهم: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ......[1]).

وجعل البوصيري عبادتهم للعجل فتنة يقول[2]:

(الوافر)

فقومٌ منْهُمُ فُتنوا بعجلٍ وقوماً منْهُمُ فتنَ الصليبُ

ولم يكتفوا بذلك، بل عَبدوا الأوثان بعد وفاة موسى، يقول[3]:

(الكامل)

وصَبوْا إلى الأوثانِ بعدَ وفاتِهِ والرُّسْلُ من أسَفٍ عليهمْ تندبُ

وقد نُهوا في التوراة عن عبادة الحجارة والمنحوتات إلّا انّهم لم ينتهوا عن ذلك، وكانت هذه من ضمن الوصايا العشر في دينهم، والاقتصار على عبادة الله فقط، فقد جاء في توراتهم" لا تصنع تمثالاً منحوتاً صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض فأسفل، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهنّ ولا تعبدهن..........[4]"

وزعموا في توراتهم حصول أحداثٍ كثيرة وهم مع موسى في الصحراء، يقول البوصيري[5]:

(الكامل)

وبأنّهمْ رحلُوا في قبّةٍ إذْ أزْمَعُوا نحوَ الشآمِ رحيلاً

---

[1] **سورة البقرة**، آية61.

[2] **ديوان البوصيري**، ص36.

[3] **المصدر نفسه**، ص45.

[4] **سفر التثنية/ إصحاح5**، ص279.

[5] **ديوان البوصيري**، ص134-135.

وبأنهمْ سَمِعوا كلامَ إلهِهِمْ وسبيلُهم أنْ يسمعوا المنقولا
وبأنّهمْ ضَرَبوا ليسمعَ ربُّهمْ في الحربِ بوقاتٍ لهُ وطبولا

فقد ادعوا أنّ الله أمر موسى أنْ يصنع له قُبّةً فعملها، وسمّاها قبة العهد، ونزل اللهُ من عرشه، وسار معهم في داخلها، ينزل بنزولهم ويرحل برحيلهم[1].

وزعموا أيضاً أنّهم سمعوا كلام الله وهم في الصحراء، فقد جاء في توراتهم: "هو ذا الربُّ إلهنا قد أرانا مجده، وعظمته، وسمعنا صوته من وسط النار.........[2]".

ويكون اليهود بهذا الافتراء، قد جعلوا الله بشراً، ولم يكتفوا بذلك فقد ادّعوا أنّ الله أمرهم بضرب الطبول والأبواق، إذا ذهبوا إلى الحرب، وقد ورد ذلك في توراتهم: "وإذا ذهبتم إلى حربٍ في أرضكم على عدوٍ يضرّ بكم تهتفون بالأبواق، فتذكرون أمام الربِّ إلهكم، وتُخلّصون من أعدائكم[3]".

ولا تزال اتهاماتهم لموسى عليه السلام مستمرة، يقول البوصيري[4]:

(الكامل)

وبأنَّ أموالَ الطوائفِ حُلّلتْ لَهُمْ رباً وخيانةً وغُلولا

فقد زعموا أنّ موسى أَمرهم بأخذ أموال خزانتهم من أهل مصر على سبيل الفدية، وأمرهم أن يهربوا بها كأجرة على السِّحر الذي قاموا به مع فرعون على الرغم من نهي توراتهم عن السرقة[5].

ويورد البوصيري تُهماً أخرى رُشق بها موسى ،عليه السلام [6]:

---

[1] ديوان البوصيري، ص134.
[2] سفر التثنية/ إصحاح5– ص280.
[3] سفر العدد/ إصحاح10، ص221.
[4] ديوان البوصيري، ص136.
[5] المصدر نفسه، ص136.
[6] المصدر نفسه، ص136

(الكامل)

وبأنَّ موسى صوَّر الصُّورَ التي ما حَلّ فيها نهيهُ معقولا
ورضُوا له غضبَ الإلهِ فلا عدا غَضَبُ الإلهِ عدُوَّهُ الضّليلا
وبأنَّ سِحْرا ما استطاعَ لآيةٍ مِنْهُ وَلا اسطاعتْ لهُ تبْطيلا
وبأنّ ما أَبْدى لهُمْ مِنْ آيةٍ أبْدوا إليهِ مثلها تخييلا

لقد اتهم اليهود موسى عليه السلام بتصوير الصور التي نهى الله عنها، فغضب الله على موسى، وكأنّه غدا عدوّ الله، ومرَّ ذكر النَّصِّ الذي يُحَرِّمُ صنع التماثيل والتصوير في توراتهم، وأمعنوا في رشق موسى بالتُّهم الباطلة في قصة السّحرة مع فرعون، حيث لم يستطع إبطال سحر فرعون ومن معه، وإنّ ما أظهره لم يكن معجزة، وإنّما سحرٌ وتَخيّل.

ولم يكن هارون ،عليه السلام، بأفضل حظّاً، فقد رشقه بنو يهود بتهم باطلة، واتهموه بصناعة العجل الذي صنعه لهم السامري، يقول البوصيري[1]:

(الكامل)

وَجَنوا على هارونَ بالعِجْلِ الذي نَسَبُوا لهُ تصويرَه تَضْلِيلا

فقد جاء في توراتهم أنّ اليهود لمّا رأوا موسى أبطأ في النزول من الجبل، طلبوا من هارون أن يصنع لهم العجل، فأمرهم أن يجمعوا أقراط الذهب من نسائهم ففعلوا وصنعه لهم[2]،

ويمضي البوصيري متسائلاً عن عدم مخالفتهم رأي هارون بالذبح في يوم السبت يقول[3]:

(الكامل)

أوْ خالفوا هارونَ في ذبْحٍ وفي عَجْنٍ بهِ لمْ يُبْدَ عنهُ نكولا

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص138.
[2] يُنظر: **سفر الخروج/ إصحاح32**، ص137.
[3] **ديوان البوصيري**، ص143.

فقد زعموا أنّ هارون أمر بذبح كبشين ابني سنة في يوم السبت، ومكيال سميد يُعجنُ بالزيت، وقد أطاعوه في ذلك علماً بأنّ التوراة حرّمت فِعلَ ذلك في يوم السبت[1]، وقد كثُر وجود التناقض في توراتهم ما أضعف مواقفهم وعقيدتهم.

وأسهبوا في حديثهم عن **عيسى** ،عليه السلام، وحرّفوا قصته، وادّعوا صلْبه وقتْله، وقد قام البوصيري بالرّد عليهم، وبيان حقيقة صلبه، وأورد ادعاءاتهم في غير موضع يقول[2]:

(الكامل)

اجـــزوا اليهـــودَ بصَـــلْبِه خيـــراً ولا　　　تُخــــزوا يهـــودا الآخـــذَ البِـــرطيلا[3]
زعمـــوا الإلـــهَ فـــدى العبيـــدَ بنفسِـــه　　　وأراهُ كــــــانَ القاتـــــلَ المقتـــــولا
وأُجـــلُّ روحـــاً قامـــتِ المـــوتى بـــهِ　　　عـــنْ أن يُـــرى بِيَـــدِ اليهـــودِ قتـــيلا
فدعوا حديثَ الصَّـلبِ عنْـــهُ ودونكـــمْ　　　عـــنْ كُتْـــبِكمْ مـــا وافـــقَ التّنـــزيلا

ويشير البوصيري إلى الرجل الذي دلّ اليهود على عيسى، وهو يهودا الإســخريوطي[4] مقابل الرشوة وكانت ثلاثين درهماً، فأخذها ودلّهم عليه، وكان شُبِّه عليهم فأخــذوه، واســتوثقوا منه، وربطوه بالحبل[5]. ويدعو الشاعر اليهود إلى الكفّ عن ادعائهم بقتله، وأن يعودوا إلى كتبهم التي ساقت القصص الحقيقية دون تحريف أو تزوير.

ثم يسوق البوصيري قصة الصلب التي وردت في الإنجيل بتفاصيلها، يقول[6]:

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص143.

[2] **المصدر نفسه**، ص131-132.

[3] البِرطيل: الرشوة، **لسان العرب**، مادة بَرْطَلَ.

[4] هو يهودا الإسخريوطي بن سمعان الإسخريوطي، وهو التلميذ الذي خان سيده، اشتق اسمه من "ايش كريوت" أي رجل قريوت، أصبح اسمه يعبر عن الخيانة، وسمي بالإسخريوطي تمييزا له عن يهوذا الآخر الذي ظل مخلصاً للمسيح، دفعه حب المال والسلطة للخيانة، ولكنّ خيانته ما زالت غامضة على الرغم من كثرة النقد والتحليل الذي تعرضت له. يُنظر: نخبة من الأساتذة ذوي الإختصاص و اللاهوتيين: **قاموس الكتاب المقدس**. ط13، بيروت: مطبعة الحرية، 2000م. ص1089-1091.

[5] يُنظر: ابن كثير القرشي الدمشقي، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل: **قصص الأنبياء**. ص541.

[6] **ديوان البوصيري**، ص132.

(الكامل)

أوَ جلَّ مــن جعــلَ اليهــودَ بــزَعْمِكُمْ   شَــــوكَ القتـــــادِ لرأسِــــهِ إكلـــــيلا
ومَضــــى بِحمْــل صَــليبِهِ مستســـلماً   للمــــوتِ مكتـــوفَ اليــــدينِ ذَلـــيلا

فقد جاء في الإنجيل أنّهم ضفروا إكليلاً من شوك، ووضعوه عليه ظانّين بأنّـه عيسـى عليه السلام[1]، وقالوا بأنهم صلبوه في موقع يُقالُ لهُ"جُمجُمة"، وكانوا يقولون: "فليُخلّص نفسَه إنْ كان هو المسيحُ مختار الله"، وصلبوا معه اثنين آخرين حيث جعلوا واحداً عن يمينه، والآخر عن يساره[2].

أمّا خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا **محمد** صلى الله عليه وسلم، فقد آذاه اليهـود كثيـراً وأنكروا نبوته، ولكنَّ شعراء العصر المملوكي وقفوا منافحين مدافعين عنه، من خـلال قصـائد المديح النبوي التي اشتهرت في هذا العصر، وأصبحت فنّاً دينياً قائماً بذاته.

وقد كان الجدل الديني مع أهل الكتاب، والحروب الصليبية، من العوامل الأساسية التـي أسهمت في تطور المديح النبويّ[3]، حيث غدا عنصر المناظرة والمفاخرة عنصراً أصـيلاً فـي قصيدة المدح النبوي فلا غنى عنه عند بعض الشعراء، ذلك لأنَّ منـاظرة النصـارى واليهـود للمسلمين كانت حول رسول الإسلام بشارة به، ثم إنكاراً وتكذيباً[4]. فكان تعداد معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم صدى من أصداء الجدل الديني بعد أن حاول النصارى تعـداد معجـزات عيسى عليه السلام،وحاول اليهود تعداد معجزات موسى عليه السلام[5].

---

[1] يُنظر: **إنجيل مرقس/ إصحاح15**، ص87.

[2] يُنظر: **إنجيل لوقا/ إصحاح23**، ص116.

[3] يُنظر: بدوي، أحمد أحمد: **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصـليبية بمصـر والشـام**. ط2. القـاهرة: دار نهضـة مصر(د.ت) ص521.

[4] يُنظر: صالح، مخيمر: **المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري**.ط2. ص172.

[5] يُنظر: محمد أمين، فوزي: **المجتمع المصري في أدب العصر المملـوكي الأول**. (د.ط) الإسـكندرية: دار المعـارف. 1982م. ص236.

وقد جاءت معظم أشعارهم تثبت نبوة سيدنا محمد من خلال ما جاء في الكتب السماوية التي أُنزلت على أنبياء بني إسرائيل.ولا يمكن ألبتة أن يؤمن يهودي بنبوة موسى عليه السلام إن لم يؤمن بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم[1].يقول الصرصري[2] مخاطباً اليهود[3]:

(الطويل)

أما خُــطَّ فــي التَّــوراةِ اســمُ محمَّــدٍ فهاجَ لموسى وَصْــفُ أمّتِــه الرُّعــبْ
أمـــا أودعَ الإنجيــــلُ غُـــرَّ صـــفاتِهِ فأبدَتْ لَهـــا الرُّهبـــانُ تعظيمـــاً الرَّهَــبْ
أمَـــا قـــامَ أرْميـــا[4] وشـــعيا[5] بوصـــفِهِ وحزقيلُ[6] والأحبارُ فـــي ســـائرِ الحِقَـــبْ

فقد جاءت نبوءة محمد ،صلى الله عليه وسلم،كما يقول الصرصري في الكتب السماوية كلها التي أُنزلت على الأنبياء والمرسلين قبل مجيئه، بل قد كُتب اسمه على العــرش، وجــاءت علاماته بتوراة موسى، يقول الصرصري[7]:

(المتقارب)

نبـــيٌّ علـــى العـــرشِ خُـــطَّ اســـمُهُ وَأوْصـــافُهُ ثَبَتَـــتْ فـــي الطُّـــروسِ

---

[1] يُنظر: ابن قيم الجوزية، عبد الله : **إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان**. ج2. ص347.

[2] هو يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الأنصاري الصرصري، الضريرُ الفقيه، الأديب اللغوي الشاعر الزاهد، ولــد سنة 582هــ، قتله هولاكو عندما دخل بغداد فمات شهيدا سنة 656هــ.

يُنظر: ابن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي، عبد الرحمن شهاب الدين(ت795هــ): **كتاب الذيل على طبقــات الحنابلــة**. ج2.(د.ط)، بيروت: دار المعرفة، (د.ت). ص262-263.

[3] الصرصري، يحيى بن يوسف(ت656هــ): **ديوان الصرصري**، تحقيق: مخيمر صالح، (د.ط) (د.م). (د.ت). ص53.

[4] هو النبي الذي بعثه الله إلى بيت المقدس، فكفروا به فسلّط الله عليهم بخت نصَّر فخرج إلى مصر ثم رجــع إلـــى بيــت المقدس، وهو ابن حلقيا الكاهن من عناثوت في أرض بنيامين، وقد دُعي للنبوة في رؤيا رآها، وقد وقف الرجال ضد نبوته وقاوموه وهدّدوه ولكنّه ثابر على عمله. يُنظر: الحائري، محمد حسين الشيخ سليمان الأعمى المهرجاني: **مقتــبس الأثــر ومجدد ما دثر**. ط1، ج3ــ(د.م)، (د.ت)،1955م. ص187، **قاموس الكتاب المقدس**، ص52-53.

[5] شعيا أو إشعياء معناه "الرب الذي يخلّص" وهو النبي الذي تنبأ في يهوذا، عاش إلى أن جاوز الثمانين، امتدت مدة قيامه بالعمل النبوي إلى ما يزيد عن الستين عاماً، كان على ثقافة عالية ويُعدّ من أعظم أنبياء العهد القديم قاطبة. يُنظر: **قاموس الكتاب المقدس**، ص81-82.

[6] حَزقيال: اسم عبري معناه " الله يقوّي" وهو أحد الأنبياء الكبار، ولد وكبر ونشأ في فلسطين وربما في أورشــليم، امتــد نشاطه النبوي فترة تزيد عن 22 سنة، تناول ملاحظات إرميا التعليمية، يُنظر: **الكتاب المقدس**، ص301-302.

[7] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**. ج2. ص260.

بتــــــوراةِ مُوســـــــى علاماتُــــــــهُ   بيّنهــا لهــم كُـــلُّ حَبْـــرٍ رَئيـــسِ

فقد علِمَ الأحبارُ بنبوة محمّد عندما درسوا التوراة وتدبروها.

وركّز البوصيري في مدائحه للرسول ،صلّى الله عليه وسلّم، على تأكيد نبوته من خلال كتب اليهود والنصارى، وإقامة الحجة عليهم، والرد على افتراءاتهم، يقول: "لمّا رأيـت كتـب النصارى واليهود مشحونة بما ينكرونه من بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وما يدعونـه مـن ألوهية المسيح ومن صلبه.............، تعرضت إلى ذكر ما سَهُل نظمه[1]".

فقد بدأت خصومة اليهود للإسلام خصومة فكرية، حين رفضوا الإعتراف بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تحولت بعد ذلك إلى صراع ونزاع وقتال[2]، يقول البوصيري[3]:

(الكامل)

أَفَيَـــــأنفُ الكُفّـــــارُ أنْ يســـــتدركوا   قـــولاً علـــى خيـــرِ الـــوَرى مَنْحُـــولا
لا دَرَّ دَرُّهُـــــــمُ فـــــــإنَّ كلامَهـــــــمْ   يَـــذَرُ الثَّـــرى مِـــنْ أدْمُعـــي مَبْلُـــولا
إنْ يبخَسُـــــوهُ بكـــــلِّ زورٍ حقّـــــهُ   فلَأوسِـــــعنّهُمُ الجـــــزاءَ مَكـــــيلا

يتهم اليهود الرسول صلى الله عليه وسلم بالانتحال"الكذب"، فقد كان كلامهم عن النبـي، بُخساً، وزوراً، ويستقي الشاعر أدلته من التوراة يقول مخاطباً اليهود[4]:

(الكامل)

تُخبِـــرْكُمُ التـــوراةُ أنْ قـــدْ بَشّـــرتْ   قِـــــدَماً بأحْمَـــــدَ أمْ بإســــــماعيلا
وَدَعَتْـــهُ وَحْـــشَ النّـــاسِ كـــلُّ نديّـــةٍ   وعلى الجميــعِ لــهُ الأيــادي الطُّــولا
تجِدوا الصَّحيحَ مــنَ السَّــقيمِ فطالمــا   صَدَقَ الخبيثُ هــوى المُحــبِّ نُحــولا
مَـــن مِثـــلُ موســـى قَـــدْ أُقـــيمَ لأهلـــهِ   مِـــنْ بـــينِ إخـــوتِهِمْ سِـــواهُ رسُـــولا

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص128، ضيف، شوقي: **فصول في الشعر ونقده.** ط3. القاهرة: دار المعارف. 1988م. ص235.
[2] يُنظر: علي، جواد: **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام.** ج22. ط1. بيروت: دار العلـم للملايـين، بغـداد، مكتبـة النهضة. 1970م. ص545.
[3] **ديوان البوصيري**، ص144.
[4] **المصدر نفسه**، ص145-146.

طوبى لموسى حينَ بشّرَ باسمهِ ولِسامعٍ من فَضلِه ما قيلا
وجبالُ فارانَ الرواسي إنّها نالت على الدُّنيا بِهِ التَّفضيلا

فإذا أمعنوا في التوراة وجدوا فيها التبشير بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وليس بإسماعيل كما ادّعوا، فقد بشّر موسى في توراته بمجيء نبيٍّ من بعده، وورود "جبال فاران" في التوراة يؤكد ذلك ؛لأنها "اسم لجبال مكة، وقيل اسم لجبال الحجاز[1]".

ويستمر البوصيري في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، من خلال تنقله بين أسفار التوراة، فقد ذُكرت نبوّته في كتب حبقوق وحزقيال. وفي سفر دانيال يؤكد حلم "نبوخذ نصّر" نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، يقول البوصيري[2]:

(الكامل)

واسَمَعْ برؤيا بختنصّرَ والتَمِسْ منْ دانيالَ لها إذن تَأويلا
وسلوهُ كمْ تمتدُّ دعوةُ باطلٍ لتزيحَ عِلّةَ مُبطلٍ وتُزيلا

فقد رأى نبوخذ نصّر في منامه تمثالاً مصنوعاً أعلاه من ذهب ووسطه من فضة، وأسفله من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من فخّار، ثم أنزل الله حجراً من السماء، فحطّمه، وصهر المعادن، فيقوم دانيال بتفسير الحلم للملك على أنّ هذا الحجر هو دين نبيٍّ يأتي في آخر الزمان ويملأ الأرض كلها[3].

وقد أورد البوصيري الأدلة كلّها التي تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت من توراتهم ومن أناجيلهم، لذلك يمكن القول إنّه نجح في ذلك، وكشف سخف عقولهم وجهلهم وكبرهم وعنادهم، وقد قطع قوله تعالى كل شك بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حين قال في كتابه العزيز(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا [4]) فقد قطعت هذه الآية كل قول يدّعي غير ذلك.

---

[1] المقريزي، تقي الدين أحمد: **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار**. ج1، ص188.
[2] **ديوان البوصيري**، ص162.
[3] يُنظر: **سفر دانيال/ إصحاح2**. ص1206-1207.
[4] **سورة الأحزاب**، آية40.

وهذا الشّهابُ محمود[1]، يقف متحدياً اليهود مجادلاً إيّاهم، يخبرهم أنّ أحبارهم اعترفوا بنبوته يقول[2]:

(الطويل)

رَأَتْ نَعْتَهُ الأحْبارُ قَبْلُ فَبشّرَتْ بمبعَثِه كَهْلَ الوَرَى وَفَتَاهَا
وَأَبْدتْ لَهُم أوصافُه وَكأنّما نُشاهِدُها من نفسِهِ ونَراها

وحتى يزيد من غيظ اليهود وقهرهم يستعرض شهادة هرقل عظيم الروم الذي هو رأس الصليب، يقول[3]:

(الخفيف)

وَهِرقلٌ أضحى بما قال فيهِ مِنْ حُلَى الأنبياءِ في المُدَّاحِ
ثُمَّ أعماهُ مُلْكُهُ عن هُدىً لا حَ، فأصغَى إلى ضلالِ اللّواحي

فهرقلُ بعد أن عرف الحقّ، أيقن بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، إلّا أنه عمي وضلَّ وبقي على كفره.

ويقف أبو الحسن بن الجياب الأندلسي[4] منافحا عن الرسول مجادلاً اليهود، رادّاً عليهم بحججٍ من توراتهم، يقول[5]:

(الطويل)

وأَخْبَرَتِ التّوراةُ عَنْ عُظْمِ شأنِهِم بِنَصٍّ شَفى دَاءَ الشُّكُوكِ الدّخائِلِ

---

[1] هو علاّمة الأدب شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبي، كاتب السر بدمشق، توفي في سنة 725هـ وعمره81 سنة. يُنظر: الذهبي، الحافظ: **ذيول العبر في خبر من غَبر**. ج4، ص73.

[2] صياد، حسين خضر: **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح لشهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبي** (ت725هـ)، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الخليل، الخليل، فلسطين، 2002م. ص65.

[3] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص66.

[4] هو علي بن محمد بن سليمان بن حسن بن الجياب الأنصاري الغرناطي، عالم وأديب بليغ. ولد سنة 673هـ توفي سنة 749هـ. يُنظر: التنبكي، أحمد بن أحمد(ت1036هـ): **كتاب نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**.(د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية. (د.ت). ص204-205.

[5] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**. ج3. ص214.

وفـــي كُتْـــبِ شِـــعيا والنّبيـــين بَعْـــدَهُ　　بشـــائرُ صـــدّت إفْـــكَ كـــل مُناضِـــلِ[1]

فقد جاءت نصوص التوراة شافية دافعة الشكوك، وكذلك في الكتب السماوية التي أُنزلت على شعيا وعلى الأنبياء الذين أُرسلوا بعده، ففيها بشائر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، أبعدت كل من يحاول الافتراء والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ويؤكد صفيُّ الدين الحلِّي[2]، المعنى السابق بقوله[3]:

(البسيط)

وجاءَ في محكـمِ التـوراةِ ذِكْـرُكَ وال　　إنجيلُ والصُّحُفُ الأولـى عَلـى نَسَـقِ

وفي قصيدة أخرى يذكّر اليهود، بأنبيائهم الذين استبشروا بنبوة محمد صـلى الله عليـه وسلم، يقول[4]:

(الكامل)

وَعليـــك"إرْمِيـــا" و "شِـــعيا" أثنيـــا　　وهمـــا و "حزقيـــلُ" لِفَضْـــلِكَ دَانُـــوا

ويقف الشاعُر البُرعي[5]، في مدائحه للنبي صلى الله عليه وسلم، مـدافعاً عنـه مجـادلاً اليهود يقول[6]:

(البسيط)

آياتُـــه الغُـــرُّ فـــي التَّـــوراةِ بَيِّنَـــةٌ　　وفـــي زَبـــورٍ وَإنْجيـــلٍ وَفُرقـــانِ

---

[1] المناضَلة: المراماة بالسهام، **لسان العرب**،،مادة نضَلَ.

[2] هو عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم الطّائي الحلبي، صفي الدين، ولد في ربيع الآخر سنة 677هــ، مهر في فنون الشعر وفي علوم البلاغة، وكان في تنقله للتجارة يرحل إلى بلاد الشام ومصر ويمدح الملوك وله البديعية المشهورة. توفي سنة 752هــ، وبعضهم قال في سنة 750هــ ببغداد. يُنظر: الشوكاني، محمد بن علي(ت1250هــ): **البدر الطـالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. ج1. ص358-359.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**. ج2. ص420.

[4] صفي الدين الحلِّي، عبد العزيز بن سرايا(ت752هــ): **ديوان صفي الدين الحلّي**، (د.ط). بيروت: دار صادر. 1990م. ص79.

[5] هو الشيخ العالم الشاعر البليغ الشهير عبد الرحمن بن علي البرعي الهاجري اليمني، أخذ من النحـو والفقـه، واشـتهر بالعلم والشعر، له مدائح كثيرة في النبي صلى الله عليه وسلم، مات سنة803هــ، يُنظر: الشوكاني، محمد بن علي: **البـدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. ج2. ص120.

[6] البرعي، عبد الرحيم: **ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية**، (كتاب قديم). ص23.

كَـــمْ أَخْبَرَتْنَـــا مِـــنْ قبـــلِ مبعثِـــه   فينـــــا بَشَـــائِرُ أحْبَـــارٍ ورُهْبَـــانِ

فقد ذُكرت دلائل نبوته في جميع الكتب السماوية من توراة وزبور وإنجيل وقرآن، ومن قبل أن يُبعث بشّرت الأحبار والرّهبان بقدومه من خلال كتبهم.

فقد دارت أشعارهم كلّها حول مجادلة اليهود في نبوة محمد صـــلى الله عليـــه وســـلم، وإثباتها من خلال ما جاء في توراتهم، حتى تكون حجة عليهم، ولم يكتـــف شـــعراء العصـــر المملوكي بمجادلة اليهود من خلال قصائدهم، وإنّما أشاروا إلى كُنسهم وما حلّ بها.

ج. كُنُسُ اليهود

عاش اليهود حياة دينية هادئة تحت حكم الدولة المملوكية، فقد حفظت لهم الدولة حقوقهم، وحرية ممارسة شعائرهم الدينية في كنسهم على اعتبارهم من أهل الذمة لهم حقـــوق وعلـــيهم واجبات، إلاّ في بعض الأوقات التي كانت تثور فيها الفتن، فكانت الدولـــة تحـــرمهم مـــن دق نواقيسهم أو إظهار شعائر عبادتهم.

وقد سجّل لنا الشعر حادثة تحويل كنيس لليهود إلى مدرسة لتعليم الحـــديث علـــى يـــد القاضي كمال الدين الزملكاني في عام 727هـ.

فنظم ابن الوردي[1] قصيدة طويلة، يمدح فيهاابن الزملكاني، ويهنئ المسلمين بالإنجـــاز الذي حقّقوه ويسخر من اليهود واصفاً ما حلّ بهم من ألم وحزنٍ بعـــد تحويلهـــا إلـــى مدرســـة للحديث، يقول مخاطباً ابن الزملكاني[2]:

[1] هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد، القاضي والإمام الفقيه والأديب الشاعر، زين الـــدين ابـــن الـــوردي، المصّـــري الشافعي، أحد فقهاء العصر، من مصنفاته"البهجة الوردية في نظم الحاوي"، و"شرح ألفية ابن مالك"، "وتتمة المختصر"، و" منطق الطير"، توفي في الطاعون سنة 749ه. يُنظر: ابن شاكر، محمد بن شاكرالكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليهـــا**. مج3. ص157-160.

[2] ابن الوردي، عمر بن مظفر(ت749هـ): **ديوان ابن الوردي**.. تحقيق وتعليق: أحمد فوزي الهيـــب. ط1،الكويـــت: دار القلم، 1986م. ص297.

(الطويل)

عَلا لكَ ذِكرٌ لا يشابِهُهُ ذكْرُ   وحُزْتَ فخَاراً ليَس يُدرِكهُ الفخْرُ
وأحييتَها بالدرّسِ بعد اندراسِها   وصارَ لذكرِ اللهِ في ربعِها جهرُ

فلقد علا شأنُ القاضي الزملكاني بما فعله، وحاز مكرمات عظيمة، بعد أن أحيا المدرسة، وعلا فيها صوت ذكر الله جهراً دون خوفٍ.

ويبدو من خلال القصيدة أنّ الكنيسة بمبناها كانت ملكاً للمسلمين، ولكنّ اليهود اكتروها منهم بمبلغٍ معروف، وقد حان وقت استردادها يقول[1]:

(الطويل)

ونأخذُ منْهمْ أجرَ سُكناهمْ بها   وَقْد عُرفِ المبتاعُ وانفصلَ السّعْرُ

ويشير ابن الوردي إلى أثر هذه الحادثة في نفوس المسلمين، فقد فرحت المدرسة النُّورية التي تجاورها، وتهلّل طلابها بشراً وسعادةً بسماعهم الحديث فيها، فكم سمعوا الكفر حين كانت كنيس يهود، يقول[2]: (الطويل)

وقد أفرحَ "النوريّةَ" الآنَ ما جرى   لجارتِها والجارُ بالجارِ ينسرُّ
أصاخَتْ إلى دارِ الحديثِ وأنصتَتْ   وكانَ بها عَنْ سمْعِ كفرِهمْ وقْرُ

لقد غدت المدرسة النورية مصغية لتسمع كل ما يقال في مدرسة الحديث، وتفرح بذلك في حين كانت صمّاء عن كل ما يقال فيها،وما يردّده اليهود حين كانت كنيسة لهم.

وكشفت هذه الحادثة عمق إحساس ابن الوردي بالدين الإسلامي، وكشفت موقفه من ديانة الآخر"اليهودي"، ويبدو أنّه كان مترنّماً، فرحاً، يستحضر هذه الحادثة في غير قصيدة يقول[3]:

---

[1] **ديوان ابن الوردي**، ص295.
[2] **المصدر نفسه**، ص 295.
[3] **المصدر نفسه**، ص258.

(مجزوء الرجز)

كنيســـــــةُ اليهـــــودِ فـــــي إنقاذهِـــــــا مصـــــــالحُ
فكــــــلٌّ حـــــزّانٍ غـــــدا والقلــــــبُ منــــــهُ نــــــازحُ

فقد قارن الشاعر بين حال المسلمين بعد إنقاذها وحال اليهود، حيــث تحقــق الصــلاح والخير للمسلمين، أمّا اليهود، فكادَت قلوبهم أنْ تُفارِقهم من شدة الجزع والألم، حتى أنّ"حزّانَهم" لم يُطق ذلك، ولم يستطع تحمُّل وقع المصيبة.

ويقف شاعر آخر عند هذه الحادثة، يمدح الشاعُر ابن الزملكاني ويشيد بما فعلــه وهــو الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن عثمان العزّازي[1] يقول[2]:

(البسيط)

قاضي القضاةِ كمالُ الدينِ مَــنْ بِهَــدْيٍ أحكامِه عَلَــتِ الشَّــهبا عَلــى الشُّــهْبِ
مُؤَيَّدٌ مِــنْ بنــي الأنصــارِ لَــيْسَ لَــهُ فيما عــدا نصــرةِ الإســلامِ مــنْ أرَبِ

فقد أعلى حلبَ على الشُّهب بما فعلَ، وهو في ذلك مؤيدٌ من الله، لأنّه لا يبتغي الشــهرة ولا الرياء، وإنّما يريد نصرة الإسلام، وإرضاء الله عز وجل.

ثم يصف ذلّ اليهود بما حصل قائلاً[3]:

(البسيط)

أمْسَــت يهــودُ بِتُــرب الــذّلِ مصــغيةً لمّا رَمــاهمْ بِسَــهْمِ العــزِّ عــن كثَــبِ
ونُكّسوا عنْ جــدالِ الحــقِّ حــينَ رأَوْا بُــــروزَهُ وتجلّيــــهِ مِــــنَ الحُجُـــبِ

ويصف حال المسلمين وحال الكنيسة بعد تحويلها إلى مدرسة للحديث قائلاً[4]:

---

[1] لم أعثُر له على ترجمة.

[2] الحلبي الدمشقي، الحسن بن عمر بن حبيب، **المنتقى من درة الأسلاك في دولة ملك الأتراك في تاريخ حلب الشــهباء**، ص70.

[3] **المصدر نفسه**، ص70.

[4] **المصدر نفسه**، ص70.

(البسيط)

وأصــبحتْ لــذوي التقــوى كنيسَــتُهُمْ   تُتلــى بهــا أفْضَــلُ الآيــاتِ والكُتُــبِ
بُشراكُمُ يا أولــي الإيمــانِ قَــدْ طَلُعــتْ   عَلَــيْكُمُ أنجــمٌ للسّــعدِ لــمْ تَغــبِ

فقد عادت الكنيسة مسجداً لذوي التقوى، تُتلى بها الآيــات القرآنيــة ويبشــر الشــاعر المسلمين وأهل الايمان بإشراق نجوم الإسلام وأفول نجوم الشرك، ولم يعد يُسمع بها كلام اليهود الباطل.

ثانياً: الحياة الاجتماعية لليهود في شعر العصر المملوكي الأول

شكّل اليهود أقلية مهمة في المجتمع الإسلامي في دولة المماليك، فقد كوّنوا مع النصارى طائفة أهل الذمّة، الذين تعاملت معهم الدولة على أنّهم رعاياها، فلا يمكن إنكــار أثــرهم فــي المجتمع وعاداته وتقاليده، بسبب احتكاك المسلمين بهم، وحاجة الطرفين للتعامل معاً، وقد تمثّلت العلاقات الاجتماعية بين المسلمين واليهود في الآتي.

أ. العلاقات الإجتماعية بين المسلمين واليهود

عمل اليهود في مهن وحرف متعددة، ولكنّ شهرتهم في مهنة الطب فاقت شهرتهم فــي أي عمل آخر، ما جعل المسلمين يقبلون على التداوي عندهم، وكانوا في ذلك علــى مضــض، وظهر هذا من خلال هجاء الشعراء أطباءهم وسخريتهم منهم والحطّ من قدرهم، ويظهر ذلك في قول ابن دانيال في طبيب يهودي،يقول[1]:

(السريع)

مكــــارمٌ مــــا زالَ فــــي طبِّــــهِ   مكارِهــــاً واللفــــظُ فيــــهِ اشــــتباهْ
أعْنــــي بــــه الغــــارقَ فــــي ذقنــــهِ   ولسْــتُ أعْنــــي غارقــــاً فــــي خــــراهْ

وتبدو السخرية واضحة من اليهود ومن أطبــائهم الــذين أرادوا الــتحكم فــي أرواح المسلمين، فهو يسخر من الطبيب"مكارم".

---

[1] الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك: **المختار من شعر ابن دانيال**. ص191.

وهذا ابن الوردي، يكشف مشاعره الدفينة تجاه اليهود، فقد مرضت له أمَة، وأوشك أن يعرضها على طبيب يهودي، إلّا أنّه استعظم ذلك، فأبى وامتنع[1]، فقال[2]:

(الكامل)

هـذا اليهـوديُ الطَّبيـبُ إذا رأى   أَمَتـي الضَّـعيفةَ عنْـهُ طبعـي نـافرْ
أأصونُها عن أختِهـا شـمسِ الضّـحى   ويـرى محاسِـنَها العـدوُّ الكـافرْ

ولم يقتصر عمل اليهود في مهنة الطبّ، فقد عملوا في الوظائف الإدارية، وتحكّموا في رقاب المسلمين، وسرقوا أموالهم، ويظهر ذلك في قصيدة"نقد المستخدمين" للبوصيري، يقول[3]:

(الكامل)

أفْـدي بـهِ المسـتخدمينَ وَإنّمـا   أفـدي بتـيسٍ كـاليهودِ تيوسـاً
لَوْ كنتُ أمْلِـكُ امْـرَهُمْ مِـنْ غَيْرتـي   لـمْ أُبـقِ للمُسـتخدمينَ ضروسـاً
يرعـونَ أمـوالَ الرعيـةِ بـالأذى   لـو يُحلبـونَ لأشـبَهوا الجاموسـا
اللهُ أَرْسَـلَهُمْ علـى أقـواتِهم   سوساً وقـدْ أمِنـوا عليهـا السُّوسـا

فهو يشبه اليهود المستخدمين بالتيوس ساخراً منهم، وفي نقده لا تسلم بعض الطوائف من سخريته وهجائه، فالشاعر يتمنى لو بيده أمرهم، حتى يقتلع ضروسهم وهو يقصد بذلك قوتهم وجبروتهم فقد سرقوا أموال الرعية زوراً، ويمعن الشاعر في سخريته حين يصوّرهم بالبقر الذي يُحلب وهذا دلالة على كثرة ما سرقوا واختلسوا. ويصورهم أيضاً بالسوس ولا يُعقل ائتمان السوس على أقوات الناس[4].

---

[1] يُنظر: الهيب، أحمد فوزي: **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء**. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1986م. ص140.

[2] **ديوان ابن الوردي**، ص418.

[3] **ديوان البوصيري**، ص124.

[4] يُنظر: عمرو، نيفين محمد شاكر: **السخرية في الشعر في العصر المملوكي الأول** (648-784هـ). (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الخليل، الخليل، فلسطين، 2008-2009م. ص116.

ولم يكن نقد البوصيري للمستخدمين نقداً طائفياً، ينبعث من الجهل، والحقد، ويهدف إلى زعزعة المجتمع، ولكنّه نقدٌ موضوعي دقيق، شمل مظاهر الفساد الإداري، والموظفين جميعــاً من وزراء وولاة ونوّاب، وقضاة، وعمّال ومحتسبين، أراد كشف ألاعيبهم، وأكلهم السحت، بعد أن أفسدوا كل شيء[1].

وهذا التسلط على رقاب العباد، يثبت تسامح الحكام مع اليهود، وهناك دليل آخر علــى ذلك يظهر في قول عبد الله بن يوسف[2]، الذي ثار على السلاطين ورفض الإقامة في حلب بسبب اليهود، فقال[3]:

(الطويل)

أأرضى حِمَى الشهباءِ داراً وقَــدْ عَلَــتْ عَليْهــــا لأبنــــاءِ اليَهــــودِ سَــــناجِقُ
فــإنْ نُكِّســتْ أعلامُهــمْ أنــا راجِــعٌ إليْهـــا وإلاّ فَهْــــيَ مِنّــــيَ طـــالقُ

فالشاعر يرفض الذلّ ممن هم دون الإسلام، ولا يرضى أن يعيش تحت حكمهــم فــي وطنه وأرضه، لذلك يعلن خروجه منها، حتى تُنكّس أعلام اليهــودِ ويعــود الإســلام عزيــزاً منتصراً، ويعود اليهود مؤتمرين بأوامر المسلمين.

ويتشابه الشاعر مجد الدين بن مُكانس[4]، مع ابن أبي السّقاح حيث يرفض الإقامــة فــي مكان يقيم فيه اليهود، لاختلاف الملل، ويصف ابن مكانس اليهود بأنهم أولاد زنا، ويقرر الرحيل من أي مكان يوجدون فيه.[5]

---

[1] يُنظر: سبيناتي، هناء علي: **صورة المجتمع في الشعر المملوكي**. رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، دمشق، سوريا (د.ت). ص334.

[2] هو عبد الله بن يوسف بن السّقاح الحلبي، شمس الدين أبو محمد كاتب الإنشاء بحلب، ولد سنة بضع وســبعمائة، وكــان حسن الأخلاق، توفي بالقاهرة سنة 764هـــ. يُنظر: الحلبي، محمد راغب الطباخ: **إعلام النبلاء بتاريخ حلــب الشــهباء**. ج5. ص41.

[3] ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**.ج2، ص417.

[4] هو مجد الدين بن الوزير فخر الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد الرّزاق القبطي ابن مكانس، فضل الله ولد في شعبان سنة 769هـــ، مهر في الأدب، ومات بالطاعون في ربيع الآخر سنة822هــ: يُنظر: السيوطي، عبد الرحمن بن محمد بن عثمان: **حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**. ج1. ص467.

[5] ابن مكانس، مجد الدين(ت822هــ): **ديوان مجد الدين بن مكانس**، مخطوط(ميكرو فيلم) الجامعة الأردنية، ورقــة70. 638.

ورفض الشاعر جمال الدين بن نباته الانصياع لأية ملّة غير ملّة الإسلام، ودعا على بقية الملل بالهلاك، فيقول[1]:

(البسيط)

وكلُّ ملّةِ دينٍ غَيرِ ملّتهِ ... تَرْدى فللحَبْرِ والقسِّيس تنكيلُ
ولليَهوديّ مَعْ كحلِ العَمىَ نَظَرٌ ... على المجوسيِّ أيضاً فيهِ تكحيلُ

فهو يذم الحَبر والقسِّيس، ويرى فضلا لليهودي على المجوسي، وهذا لا يعني مدح اليهود، وإنما هو مدح مبطَّنٌ بالذم.

كان هذا جانبا من جوانب الشعر الاجتماعي الذي أظهر علاقة الكراهية بين المسلمين واليهود، ولكن ليس هذا كلّ ما قيل في علاقة المسلمين باليهود، فهناك جانبٌ آخر، بيَّن أنّ العلاقة بين المسلمين واليهود كانت ودّية، تثبت احتراماً متبادلاً ساد بين الطرفين.

ويبدو ذلك من خلال احترام أحبار اليهود، وتقدير علمهم ومكانتهم، وضرب الأمثال بهم، وفي ذلك يقول شهاب الدين بن الخيمي[2]، عندما كتب لجمال الدين الحافظ أبي المحاسن[3]:

(مجزوء الرجز)

يا أيُّها البحرُ الذي ... لو سائغٌ لهُ الشَّرابْ
والحَبرُ كعبٌ حين يذ ... سبُ في العلوم له كِعابْ
أبا المحاسِنِ أَنتَ حا ... لُها، فليْسَ له ذهابْ

ويُشَبّهُ أبا المحاسن بكعب الأحبار في علمه وفضله، وهذا دليل على إعجاب الشاعر بشخصية كعب الأحبار، وعقليته، وعبقريته، وذكائه.

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**.ج3. ص88.

[2] هو شهاب الدين أبو الفضل محمد بن عبد المنعم الأنصاري اليمني المصري، قدوة في الطريقة، وأسوة في علم الحقيقة، غلب عليه الشعر والأدب، وهو صوفي محسن، مات في رجب سنة 685هـ. يُنظر: السيوطي، عبد الرحمن محمد(ت911هـ): **حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة** ج1. ص463-464.

[3] عمرو، شادي إبراهيم حسن: **ديوان شهاب الدين بن الخيمي(602-685هـ)** دراسة وتحقيق، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الخليل، الخليل، فلسطين، 2005م، ص192.

ويقف الشاعر مجد الدين بن مكانس مادحاً لحبرٍ يُدعى"داوود" فيقول[1]:

(الوافر)

لــــداوودَ الــــرئيسِ الحبْــــرِ فَضْـــلٌ   وَجُــــودٌ عــــمَّ بنــــا لوُجــــودهِ
أَتانــــا منْــــهُ خيــــرٌ فانتَهَلنــــا   وقُلنــــا نِعــــمَ أحبــــارُ اليهــــودِ

ويقف البيتان السابقان دليلا واضحا على تبادل المعارف بين المسلمين واليهود، وعلـى وجود جوٍّ علمي ساده الود والاحترام بين الطرفين في فترة العصر المملوكي، فالشاعر يمـدح الحَبر داوود لفضله الذي عمّ كل من جالسه، وكأنه البحرُ الصافي العذبُ الذي انتهلَ منه كل من أراد مجالسته.

ويبدو من خلال الشعر أنّ المسلمين واليهود تبادلوا الهدايا فيما بينهم في الأعياد، وهـذا ما أشار إليه البوصيري،

وقد باشر الشرقية وعمل في ديوان الإنشاء في بلبيس[2]، وكان كُتّاب النصارى يداورونـه خشية لسانه، ويحملون إليه الهدايا في أعيادهم، ولكن حدث أن أهملوه مـرّة فهجـاهم، مادحـاً اليهود[3] حيث رآهم أفضل من النصارى، لأنّهم قدّموا له كعك العيد هدية منهم، فقال[4]:

(مخلّع البسيط)

يهــــودُ بلبــــيسَ كــــلَّ عيــــدٍ   أفضــــلُ عِنْــــدي مِــــن النَّصــــارى
أمَــــا تــــرى البَغْــــلَ وهــــو بغــــلٌ   فــــي فضْــــلِه يفضُــــلُ الحمــــارا

فاليهود في نظره بغالٌ، والنصارى حميرٌ، ويرى أنّ البغل يُفَضّلُ على الحمـار وفـي حقيقة الحال يبدو أنّ الشاعر ذمّ الطرفين.

---

[1] ابن مكانس، مجد الدين: **ديوان مجد الدين بن مكانس**، مخطوط (ميكرو فيلم) الجامعة الاردنية. ورقة14.

[2] ابن شاكر، محمد بن شاكر الكتبي(ت764هـ): **فوات الوفيات والذيل عليها**، مج3، ص362.

[3] يُنظر: **ديوان البوصيري**، ص9.

[4] **المصدر نفسه**،ص9.

ولكنَّ النصارى حين سمعوا بالبيتين هّددوه وتوعدوه[1]، فاضطر للقول[2]:

(مخلّع البسيط)

مــــا للنّصـــــارى إلــــيّ ذنــــبُ   وإنّمـــــا الــــــذنبُ لليهــــــودِ
وكيْــــــفَ تفضـــــيلُهم وفـــــيهِم   ســــــرُّ الخنـــــازِيرِ والقُـــــرودِ

فيعود البوصيري معّيراً اليهود بقصة مسخهم إلى قــرود وخنــازير، ومــذكّراً إيّــاهم بماضيهم الأسود، ومخالفتهم عقيدة دينهم، وينفي تفضيلهم على النصارى فهو في مدحه وهجائه لهم لا يراهم إلّا أصنافاً من أصناف الحيوان فمرة يراهم بغالاً، وأخرى يراهم قروداً وخنازير.

ومن الدلائل التي تثبت تأثر المسلمين باليهود وبعاداتهم الاجتماعية، ما جاء فــي شــعر البهاء زهير[3]، عندما صرّح بتشاؤمه من زيارة الآخرين في يوم السبت، وهي أثر مــن آثــار اليهودية في مصر، فقال[4]:

(الطويل)

أَأَحبابَنــــا حَاشـــاكُمُ مِـــنْ عيـــادةٍ   فــذلِكَ وهْــنٌ فــي القلــوبِ مَضــيضُ
وَما عَاقني عَنْكُمْ سِوى السّــبتِ عــائقٌ   ففي السّبتِ قــالوا مــا يُعــادُ مَــريضُ

ويعلن الشاعر التزامه بعادات قومه وأعرافه، حتى لا يكون بغيضاً بينهم، وعلى الرغم من أنّ هذه العادة من آثار الديانة اليهودية، إلّا أنّه يصرّ على تمسّكه بها، فيقول[5]:

(الطويل)

وللنّــاسِ عَــاداتٌ وقــد أَلفُــوا بهــا   لهــا سُــنَنٌ يَــدْعونها وفُــروضُ

---

[1] يُنظر: **ديوان البوصيري**، ص9.
[2] **المصدر نفسه**، ص9.
[3] هو البهاء زهير بن محمد بن علي بن يحيى المصري، وُلد بمكة، وقدم القاهرة، مات بمصر سنة 656هـ: يُنظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: **حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**..ج1، ص464.
[4] البهاء، زهير بن محمد(ت656هـ): **ديوان بهاء الدين زهير**. (د.ط) بيروت: دار صادر. 1982م. ص189.
[5] البهاء،زهير بن محمد: **ديوان بهاء الدين زهير**،ص189

فَمَنْ لمْ يعاشرْهُمْ عَلى العُـرفِ بيـنهُمْ   فـــذلِكَ ثقيـــلٌ بيـــنهُمْ وبَغــيضُ

ومن الفنون الشعرية الأخرى التي ظهرت فـي العصـر المملـوكي غـرض الغـزل باليهوديات والسامريات، ما يدل على الاحتكاك اليومي بين المسلمين واليهود، وتبادل العلاقـات والبيع والشراء، فهذا الشاعر الششتري[1] يتغزل بمحبوبته اليهودية في موشح يقول[2]:

يـا مَـنْ بـدا ظـاهرَ حـينَ اسـتترْ   واختفَـى بـاطنَ لمّـا ظَهَـرْ
أَنـا النّـديمُ أنـا السـاقي   أنـا الزجـاجُ أنـا الخمَـرْ
اسـمعْ كلامـاً ملـتقطْ   افْهَمْني قـطْ، افهَمْني قـطْ

محبـوبي قـدْ عَـمّ الوُجـود
وقـدْ ظهـرَ فـي بـيضٍ وسـودٍ
وفـي نصـارى وفـي يهـودٍ

وَفـي الحـروفِ وفـي الـنُقَط   افْهَمْني قـطّ افهمني قَـطّ

يبدو الشاعر متحرراً في عشقه، متصالحاً فيه مع فتيات الديانات الأخرى فلـم يقتصـر غزله على النساء المسلمات، وإنّما عمّ به الوجود، ولا يقيد عاطفته بلون محبوبه فهو محبـوب أكان أسود أم أبيض، لأن حبّه لا يعرف قيود اللون ولا قيود الديانة، فهـو يتغـزل بمحبوبتـه النصرانية واليهودية، وقد ملأ عليه حبّه الحياة سعادة وحرية مطلقة.

وهذا ابن الوردي يبدو معجباً بجمال النساء اليهوديات، ما دفعه للتغزل بهنّ على الرغم من وجود العداوة بين المسلمين واليهود، حيث قال في مليحة يهودية[3]:

(مجزوء الرجز)

عِبريـةٌ قالـتْ لِمَـنْ   قـدْ واصَـلَتْهُ مُنْعِمـهْ
بالكلمـاتِ العشـرِ لا   تَقُـلْ لِروحـي كَلِمَـهْ

[1] هو علي بن عبد الله النميري أبو الحسن الشهير بالششتري، هو من سادات الصوفية، تقدم في علم النظم والنثر، قدم إلى ساحل الشام في بلدة تُدعى الطينة، ومات فيها سنة 668هـ، يُنظر: التنبكي، أحمد بن أحمد : **نيـل الابتهـاج بتطريـز الديباج**. ص202-203.

[2] سلام، محمد زغلول: **الأدب في العصر المملوكي الدولة الأولى**.(د.ط)، الإسكندرية: منشأة المعـارف(د.ت) ص352-353.

[3] **ديوان ابن الوردي**، ص475.

ويظهر الحوار واضحاً في البيتين، حوار بين اليهودية، ومن أحبته ووصلته مُنعمة عليه بذلك الوَصل، وقد أقسمت عليه أنْ لا يَتَحدث بأية كلمة، وتستوقفنا عبارة"الكلمات العشر" التي أقسمت بها، وهذا يحيل إلى نصوص توراتهم التي اشتملت على الوصايا العشر التي أوصى بها الربُّ اليهود ومنها: لا تسرق، ولا تقتل، ولا تـزن، ولا تعبـد غيـر الله، ولا تشـهد شـهادة الزور..........[1].

ولا يقتصر الغزل على النساء اليهوديات، وإنّما ظهر التغزل بالغلمان اليهود، وقد تفشّت هذه الظاهرة في المجتمعات الإسلامية منذ منتصف القرن الثاني الهجري، و كثر النقـاد الـذين تناولوا هذه الظاهرة بالدراسة والتحليل، فقد عارض محمد مصطفى هدارة رأي محمد النـويهي الذي عدّ شذوذ أبي نواس موقفا حضارياً، ورأى أنّه يمثل قمة الفساد والانحطاط[2]. ويرى محمد زغلول أنّ سبب انتشار هذا اللون من القول هو سبي الحروب من غلمان الفرنج، وما جلبه تجار الرقيق من أطفال الأتراك الذين أصبحوا بملاحتهم موضع القربى من الناس[3].

وفي العصر المملوكي بلغت هذه الظاهرة ذروتها، من خلال الروافد التي غذّتها كأسواق النخاسة، وسبي الحروب، ما أدى إلى زهد المرأة في الرجل، وزهد الرجل في المرأة[4].

وكان الشاعر مجد الدين بن الظهير[5]، من أولئك الشعراء الذين تغنّوا بالغلمان الـذميين، فقد أحبّ صبيّاً ذمّياً، فحُبِس، فكتب إلى نواب إربل، وأنشد في محبوبه الذي يـدعى مسـعود[6]، وقال فيه[7]:

---

[1] يُنظر: **سفر الخروج من الإصحاح**20-35. ص117-144.

[2] يُنظر: هدارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثـاني الهجـري**. (د.ط) القـاهرة. دار المعـارف. 1963م.ص517-518.

[3] يُنظر: سلام، محمد زغلول: **الأدب في العصر الأيوبي**.(د.ط). القاهرة: دار المعارف. 1983م، ص238-239.

[4] يُنظر: أمين فوزي محمد: **المجتمع المصري في أدب العصر المملـوكي الأول**. الإسـكندرية: دار المعـارف1982م. ص358.

[5] هو الشيخ مجد الدين بن الظهير الحنفي محمد بن أحمد بن عمر، أبو عبد الله بن الظهير الأربلي، ولد سنة602هـ ببغداد توفي سنة 677هـ. يُنظر: الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك: **الوافي بالوفيات**. ج2 . ص123.

[6] يُنظر: الأربلي، الصاحب بهاء الدين المنشئ (ت692هـ): **التذكرة الفخرية**. تحقيق: حاكم صالح الظاهر، نوري محمود القيسي، (د.ط) ،(د.م). مطبعة المجمع العلمي العربي. 1984م. ص99.

[7] **المصدر نفسه**، ص99.

(السريع)

يـــا أُمنـــاءَ المَلـــكِ قَلْبـــي إلـــى لُقيـــاكُمُ مأســـورُ أشـــواقِهْ
مـــا فـــيكمُ إلّـــا امـــروٌ فاضـــلٌ يَزْهـــو علـــى الـــرَّوْضِ بِأخلاقِـــهْ
مســـعودُنا الـــذميُّ فـــي حَبْسِـــكُمْ وصـــــبرُه واهٍ كميثاقـــــهِ

تبدو عاطفة تفجُّع الشاعر واضحة، لفراقه من يحبّ، فلم يعد قادراً على احتمال الصبر في بعده عنه، فقد غدا الصبرُ قيداً يقيّده، كما قُيّد مسعود في سجنه، فأصبح قلبه أسيراً مكبّلاً بنار الشوق والحب والوجد.

ويتغزل ابن دانيال غزلاً حسّياً واضحاً في فتى يهودي، فيقول[1]:

(الطويل)

بروحـــي يهوديـــاً ســـباني تعمُّـــداً بِلفْـــظٍ بـــريءٍ أوْ بِلحـــظٍ مُريـــبْ

فالشاعر يفدي محبوبه بروحه، فقد أسر قلبه وعقله، عامداً متعمّداً فعشق ألفاظه وطريقة كلامه البريئة، وفُتن بنظراته القاتلة التي كانت كالسهام تُغرس في فؤاد الشاعر.

ويشارك ابن الوردي ابن دانيال في الغزل الحسيّ بغلام سامريٍّ، فيقول[2]:

(المجتث)

وســــامريٍّ ملــــيحٍ يفـــوقُ غُـــزلانَ رامَـــهْ[3]
يطـــوي اصـــطباري بشَـــعرٍ منشـــورٍ تحـــت العلامـــةْ

فالسامري برشاقته وجماله يشبه الغزال، ويعجب ابن الوردي بشَعره"المنثور" وتوحي الكلمة بطول شعره وانسداله فوق كتفيه، والشاعر لايطيق صبراً عن عشقه والهيام بجماله.

---

[1] الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك: **المختار من شعر ابن دانيال**. ص135.

[2] **ديوان ابن الوردي**، ص197.

[3] رامه: منزل في الطريق بين البصرة ومكة، يُنظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: **معجم البلدان**، ج3. ص18.

ب. لباس اليهود

تعددت مراسيم اللباس التي فُرضت على أهل الذمة في العصر المملوكي، ولكنَّها لم تكن تُفرض عليهم ظُلماً، وإنَّما كانت تأتي بعد تجاوزهم الحدّ، وتماديهم وتطاولهم وبذخهم.

ولكنّ إلزامهم لباساً خاصّاً بهم كان يُفرح المسلمين، فيشعرون بالبهجة، ويبدأ الشعراء بنظم الأشعار، ساخرين من لباس اليهود، حاطّين من قدرهم، مصوّرينهم بأبشع الصور، ومن هذا ما قاله الشاعر ابن دانيال في سرّار اليهودي، وقد تعمّم بالأصفر بعد إصدار المرسوم في 700هـ الذي فرضه المنصور قلاوون عليهم [1]:

(السريع)

رأيْتُ سَرّاراً على رأسِهِ عَمامةٌ دارَت عَلَى قَرْنِهِ
كَأنّها مِنْ صُفرةٍ خريةٌ وَرُبّما سَالَت عَلَى ذَقْنِهِ

وتبدو الصورة تثير الاشمئزاز، والسخرية والتّهكّم اللاذع من هذا اليهودي الذي يرتدي عمامة صفراء تغطي رأسه ووجهَهُ.

أمّا الشاعر علاء الدين الوداعي[2]، فقد عدّ هذا اللّباس ذلّاً وإهانةً وتحقيراً لليهود، بل هو لعنة عليهم، يقول[3]:

(الطويل)

لَقَدْ أُلْزِمَ الكفارُ شاشاتِ ذِلّةٍ تَزيدُهُمُ مِنْ لعنةِ الله تَشْوِيشاً

---

[1] الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك: **المختار من شعر ابن دانيال**.. ص173.

[2] هو علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن يزيد الوداعي الكندي الإسكندراني، الدمشقي، ولد سنة 640هـ كان هجّاءً فكان الناس يفرّون منه، ينسب إلى ابن وداعة وهو عز الدين عبد العزيز بن منصور بن وداعة الحلبي. مات في رجب سنة716هـ. يُنظر: ابن حجر، شهاب الدين أحمد: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. ج3. ص204-206.

[3] المقريزي، تقي الدين أحمد: **المواعظ والاعتبار**. ج2 ص499، ابن تغري، جمال الدين أبو المحاسن: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ج8. ص135، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد: **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**. ج1. ص255.

فَقُلْــتُ لهــم: مــا ألبســوكمْ عمائمــاً ولكـــنّهم قـــد ألبســوكمْ براطيشـــاً[1]

فقد تعددت الألوان التي ارتدوها إذلالاً لهم،وإثارة للسخرية من مظهرهم.

ثم يقول في قصيدة أخرى له[2]:

(الخفيف)

غيّـــروا زيّهـــمْ بمـــا غيّـــروهُ مـــن صـــفاتِ النبـــيِّ ربِّ المكـــارِمْ
فَعَلَـــيهِمْ كمـــا تَـــرونَ براطيـــــشُ ولكنّهـــا تُســـمّى عمـــائمْ

ويخبر الوداعي أهل الذمة أنْ تغيير زيّهم كان بسبب ما غيّروه من صفات النبي صلى الله عليه وسلم، وبما افتروا وكذبوا وتطاولوا على الأنبياء، وبذلك استحقوا الذلّ والإهانة فلم يكن فرض اللباس عليهم ظلماً، وإنّما كان لما ارتكبوه من آثام.لذلك كان تغيير لباسهم لعنة عليهم إلى يوم الدين، يقول[3]:

(الطويل)

فقلْـتُ لهـمْ مـا ألبَسُـوكُمْ عمائمـاً ولكـــنّهُمْ قَـــدْ ألبسُـــوكمْ لعائنـــاً

فقد ظلّ فرض لون خاص من اللباس على أهل الذمة لعنة تطاردهم أينما حلّوا.

أمّا ابن الوردي، فقد هجا اليهود، وأشار إلى لون عمائمهم، وحطّ من قدرهم فقال[4]:

(الطويل)

وضـاعفْتَ أمـراضَ اليهـودِ بنزعِهـا فـأوجُهُهُمْ ،تحكـي عمـائِمَهُم، صُـفرُ

---

[1] البرطوشة: "حذاء تراثي تقليدي، مصنوع من قطع الملابس، تلبسه النساء في البيوت" ويستعمل عموماً للتحقير، وبخاصة للحذاء القديم المتهالك أو الكبير، وعندما يوصف بها إنسان تعني تحقيراً وسبّاً، مجمع اللغة العربية الأردني: **معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن**، لبنان، بيروت: مكتبة لبنان. ناشرون. ط1. 2006م، ص1306، ويُنظر أيضاً: الجوهري، محمد: **معجم لغة الحياة اليومية**. شارك في التحرير إبراهيم عبد الحافظ، مصطفى جاد. ط1. القاهرة: المكتبة الأكاديمية. 2007م، ص190.

[2] الصفدي، خليل أيبك: **أعيان العصر وأعوان النصر**. ج5. ص83-84.

[3] **المصدر نفسه**، ج5. ص84.

[4] **ديوان ابن الوردي**، ص294.

فقد عبّر ابن الوردي عن الموقف بما يشفُّ عن حقد اليهود وألمهم لما حلّ بهم، فقد تضاعفت أمراضهم ومصائبهم، وكان لون عمائمهم الصفر قد انعكس على وجوههم، ولا شك أنّ اللون الأصفر يدل على المرض والتعب والهموم، ولم يكتف ابن الوردي بذكر عمائم اليهود، فقد أشار إلى لون عمائم السامريين حاطّاً من قيمتهم، فقال[1]:

(الطويل)

مقيماً بأرضِ الحرْثِ جاراً لمعْشرٍ وجُوهُهُمْ غُبْرٌ وأثوابُهُمْ حُمْرُ

فالشاعر يسكن جاراً للسامريين في أرض الريف[2]، وتحيلُ كلمة غُبر إلى صورتهم البشعة سواء أكان ذلك في شكلهم الظاهر أم في سلوكهم وتصرفاتهم، ومما زاد في بشاعة الصورة وقتامتها، أنّ الأثواب التي يرتدونها حُمْر، فيلتقي اللون المغبرُّ مع الأحمر، ليزيد من بشاعتهم، وهذه إشارة إلى ما جاء في المرسوم عام 700هـ، من فرض اللون الأحمر على السامرة.

وفي عام 754هـ، عندما يفرض السلطان الصالح مرسوماً، يجبر فيه اليهود والنصارى على ارتداء الأصفر والأزرق، ويأمرهم بتصغير عمائمهم، وتقصير ثيابهم، ويفرض زيّاً خاصاًعلى نسائهم، يفرح المسلمون بما فعله السلطان، ويكتب الشاعر النويري الإسكندراني[3]، قصيدة يمدح فيها السلطان الصالح على ما فعله بأهل الذمة، جاء فيها[4]:

(الكامل)

ملِكُ الزمانِ الصّالحُ بنُ محمدٍ الناصرُ بنُ قلاوونَ المنصورِ

---

[1] **ديوان ابن الوردي**، ص296.

[2] **المصدر نفسه**، ص196.

[3] هو محمد بن قاسم بن محمد النويري، صنّف تصنيفا في ثلاث مجلدات، تحدث فيها عن وقعة الفرنج في أول سنة 767هـ.يُنظر: ابن حجر، شهاب الدين أحمد:**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**.ج4.ص259. وقد ألف أيضا كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام، وجاء فيه أنّ وفاته كانت بعد سنة 775هـ.

[4] الإسكندراني، محمد بن قاسم بن محمد النويري(ت بعد 775هـ): **الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**. ج2،ص94.

أذْلَلـــتَ دِيـــنَ الكُفْــرِ ثـــمَّ قهرتَـــهُ   وَ جَعلتَـــــهُ فـــــي ذّلـــــةٍ وثُبـــــورِ

فقد أذلّ السلطان أهل الذمة الكفار بما فرضه عليهم، بعد أنْ تطاولوا وتجاوزوا حدودهم.

وسخر الشعراء من طب اليهود ومن معالجتهم، بعد أن فُرِضَ عليهمُ اللباس الأصـــفر، فجاء في قول أحد الشعراء يهجو طبيباً يهوديًا[1]:

(السريع)

قـــــالوا اليهــــوديُ أخـــو حكمـــةٍ   لا زالـــتِ الأمـــراضُ فـــي كأســـهْ

لـــوْ كـــانَ ذا الـــنّحْسِ أخـــا حكمـــةٍ   أزالَ دا الصَّـــــفراءِ مِـــــن رأسِـــــهْ

فالشاعر يسخر من قدرة الطبيب اليهودي على شفاء الناس ومـــداواتهم، ويســـخر مـــن حكمته وعلمه، فلو كان حكيما عليماً لأزال اللباس الأصفر الذي فُرض عليه أي _لاهتدى لـــدين الإسلام_ وابتعد عن الكفر.

ومع ذلك فإنّ الدولة الإسلامية لم تفرض على اليهود قوانين ظالمة بحقهم، وإنما صانت لهم حقوقهم وحفظتها، وخير دليل على ذلك ما ذكره المؤرخ الأمريكي الجنسية "مارك كـــوهين" حين اعترف بأنَّ الإسلام عامل اليهود أفضل معاملة، ووفَّر لهم بيئة آمنة في حين أنّ أوروبا قد احتقرت اليهود في العصور الوسطى واضطهدتهم، حيث تساءل عن السبب متعجباً من ذلك[2].

---

[1] الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي: **مطالع البدور في منازل السرور**. ج2. (د.ط). بور سعيد: مكتبة الثقافـــة الدينية، 2000م. ص423.

[2] Cohen. Mark R**: Under crescent and cross : The Jews in the middle ages.**America: Princeton university.1994. pg3.

الفصل الثالث

أخلاق اليهود وصفاتهم في شعر العصر المملوكي الأول (648 هـ – 784 هـ)

الفصل الثالث

أخلاق اليهود وصفاتهم في شعر العصر المملوكي الأول (648 هـ – 784 هـ)

1. أخلاق اليهود

لم يقتصر شعراء العصر المملوكي على الوقوف على حياة اليهود الدينية والاجتماعية في الشعر، وإنّما أفاضوا في تفصيل أخلاق اليهود وصفاتهم، وقد جاء ذلك في سياق الحديث عن جرائمهم ضد الأنبياء، وتعاملهم مع المسلمين في العصر المملوكي، وما قبله من عصور، وكانت على النحو الآتي:

أ. الكفرُ والعناد

كفر اليهود بالكتب السماوية، وبما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وأصرّوا على كفرهم وجحودهم، على الرغم من معرفتهم أنهم ضالون، إلّا أنهم أصروا على عنادهم، يقول الصرصري مشيراً إلى الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم[1] :

(الكامل)

رأَتِ اليَهودُ صفاتَه ثمّ امْتروا فيهِ وأمّتُهُ رأتْهُ فَما امترتْ

ويقول البوصيري في المعنى ذاته[2]:

(الخفيف)

عَرفوهُ وأنْكَروهُ وظُلماً كتَمتْهُ الشّهادةَ الشّهداءُ

فقد كتموا شهادة حقٍّ أيقنوا بصدقها، ولكنّ ألسنتهم أبت أن تنطق بذلك.

ثم يستنكر البوصيري تنكّرهم وعنادهم، ويسألهم إنْ استطاعوا نكران ما حلّ بهم على يد المسلمين عندما طحنتهم الحربُ، يقول[3]:

---

[1] **ديوان الصرصري**، ص75.

[2] **المصدر نفسه**، ص14

[3] **المصدر نفسه**، ص14.

(الخفيف)

أوَلا يُنكـــــرونَ مَــــنْ طَحنَـــــتْهُم   برَحاهـــا عـــنْ أمـــرهِ الهيجـــاءُ

فقد أهلك اللهُ أجدادهم، وآباءهم في حرب الرسولِ صلى الله عليه وسلم عليهم حين أجلى بني النضير إلى الشام، وقتل بني قريظة، فلذلك ظلّوا مصرِّين على كفرهم بالله وعنادهم للرسول صلى الله عليه وسلم[1]، حقداً ولؤماً، بعد شدة القتل الذي وقع عليهم.

ويصوّرهم البوصيري وقد حُرموا طيبات كثيرة، وابتُلوا بـــالأمراض، بســبب كفــرهم وعنادهم يقول[2]:

(الخفيف)

فَـــبِظُلمٍ مـــنهُمْ وكُفْــرٍ عَـــدَتْهمْ   طيّبـــاتٌ فـــي تـــركهنَّ ابـــتلاءُ

ويعجب البوصيري، من موقف اليهود من الرسول صلى الله عليه وسلم، فقــد أحبــوه، وصدّقوه ولقبوه بالأمين قبل بعثته، وحين بعثه الله كذّبوه، يقول[3]:

(الكامل)

عجَبـــاً لهُـــمْ شـــهِدوا لـــهُ بأمانـــةٍ   حتّـــى إذا أدّى الأمانـــةَ كـــذّبُوا

ولن تجدي النصيحة شيئاً مع اليهود، فقد زادتهم عناداً وقسوةً، يقول البوصيري[4]:

(الطويل)

وُعِظـــتُمْ فـــزدتُّمْ بـــالمواعظِ قســـوةً   وليسَ يفيدُ القـــدحُ إنْ أصـــلدَ الزّنـــدُ[5]

ويقف الشهاب محمود الحلبي مجادلاً اليهود في المعنى ذاته، فيقول[6]:

---

[1] يُنظر: المهدي، أبو العباس: **الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية للبوصيري**، ص250.

[2] **ديوان البوصيري**، ص17.

[3] **المصدر نفسه**، ص46.

[4] **المصدر نفسه**، ص64.

[5] أصلد: لم تخرج منه نار، مادة صلد/ **لسان العرب**، الزند: الحديدة التي يقدح بها. مادة زند/ **لسان العرب**.

[6] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص65.

(الطويل)

وصـــدّقهُ مــــنهُمْ نفـــوسٌ زكيّـــةٌ نَهاهـــا فلـــمْ تبـــغِ العنـــادَ نُهاهـــا
وعانَدهُ مــنهمْ -مَــعَ العِلــمِ- أنفُــسٌ مُحقّقـــةٌ غطّـــى اليقـــينُ هواهـــا

فقد آمن به بعض أحبارهم، لأنّهم بُشّروا بنبوته في الكتب القديمة، ولم يستطيعوا العناد، فعانده بعضهم وساروا على أهوائهم مع يقينهم بصدق رسالته.

ثمّ يهددهم الشاعر بنار جهنّم جزاء عنادهم وكفرهم، فيقول[1]:

(الخفيف)

ليسَ أشْــقى مِــنْ جاحــدٍ عاندالحقْـــ قَ، درَى أنَّ فـــي العِنـــاد النّـــارا

فاليهود أشقياءٌ بجحودهم وتكذيبهم، وإصرارهم على العناد، والحقّ واضحٌ أمام عيونهم، كما يبدو في قول الشهاب محمود[2]:

(الخفيف)

وضَـــحَ الحــــقُّ يـــا يهـــودُ لأبصـــارِكُمُ لـــوْ رُزِقـــتمُ استبْصـــارا
كُنـــتُمْ تَخبُرونـــهُ قبـــلُ عِلمـــاً أَفَصـــرتُمْ لمّـــا أتـــى أغمـــارا[3]

ويصرّ الشهاب الحلبي، في غير قصيدة من قصائده على مجادلة اليهود، وفي إنكـارهم نبوة محمد، صلى الله عليه وسلم، وعنادهم، وإصرارهم على الكفر، يقول[4]:

(الخفيف)

ولَكـــم عانـــدوا اليقـــينَ، ولكـــنْ مَـــنْ يبـــاهِي الشُّـــموسَ بالمصـــباحِ
عَرفـــوهُ وعوّلـــوا فـــي انْـــدفاعِ الـــ حـــقِّ عـــنهمْ علـــى الوُجـــوهِ الوِقـــاحِ
كـــمْ أقـــرُّوا بـــهِ، وصـــدّوا، فبـــاءوا بصـــــفاتٍ مِـــــنَ العنـــــادِ قبـــاحِ

[1] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص324.
[2] **المصدر نفسه**، ص324.
[3] أغمارا: جمع غمر وهو الجاهل الذي لم يجرب الأمور، **لسان العرب**، مادة (غمر).
[4] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص350.

فقد كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، شمساً ساطعة، لا يُنكرها ذو لبٍّ، ومع يقينهم بذلك إلّا أنّهم أصروا على كفرهم، فلم يجنوا من عنادهم إلّا شوكاً وخزياً، حتى ظلّت صفة العناد وصمة عارٍ في تاريخهم.

ويستحضر ابن سيد الناس اليعمري قصة من التاريخ القديم، تؤكد اتّصـافهم بالعنـاد، عندما حاول ابن الهيّبان[1]، إقناعهم ونصحهم بتصديق نبوة محمد، صلى الله عليه وسلم، ولكـنّهم أصروا على ما هم عليه، يقول[2]:

(البسيط)

ولَليهــودِ أتــى ابــنُ الهيّبــانِ بــهِ فخــالفوا نُصــحَهُ لا وُفّقــوا خَلَفــا
وما رَوَى منهُمُ منْ قــدْ وعَــى وأتــى نحوَ الهُـدى بـرداءِ الصِّـدقِ مُلتَحِفـا
كالحَبرِ نجـلِ سـلامٍ[3] وهــوَ ســيّدُهُم وأوّلُ القــومِ عــن إصــرارِهمْ عَرَفــا

فقد حاول نجل سلام إقناعهم بالكف عن عنادهم، بعد أن عرف إصرارهم على الكفـر ولكنّهم لم يستجيبوا وظلّوا على كفرهم، وتكذيبهم لرسول الله، صلى الله عليه وسلم.

أمّا ابن قيّم الجوزية، فإنّه يُشبّه محرِّفي النصوص باليهود، فقد عطّلوا دين الله ووصفوه بالنقص، ويقف منافحاً عن الدين، ويستحضر كفر اليهود وعنادهم، فيقول[4]:

---

[1] ابن الهيِّبان هو رجل من يهود الشام، قدم إلى مكة قبل الإسلام بسنتين، وكان يصلّي، ويدعو إلى الصدقة، أخبر اليهـود بأنَّ رسولاً سوف يُبعثُ ويسفك دماء من يخالفه، وعندما حاصر الرسول بني قريظة، قال لهم: هذا النبي الذي وصفته لكم، فأسلم بعضهم. يُنظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، السـيرة النبويـة،** ص123-124. النويري، شهاب الدين أحمد بـن عبـد الوهـاب: **نهايـة الأرب فـي فنـون الأدب**، السـفر السـادس عشر.ص144-145. ابن عبد الهادي، ابن سيد الناس: **عيون الأثر في فنون المغازي والشـمائل والسـير**.. ج1. ط2. بيروت: دار الجيل. 1974م. ص58-59

[2] **ديوان بشرى اللبيب بذكرى الحبيب**. ص215.

[3] نجل سلام هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري من ولد يوسف بن يعقوب، كان اسمه في الجاهليـة الحُصين، وعندما أسلم سمّاه رسول الله "عبد الله"، توفي سنة 43هـ. يُنظر: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علـي بـن محمد: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. مج3،تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد. .(د.ط). (د.م). (د.ت). ص264-265.

[4] ابن قيّم الجوزية: **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية)**. ص157.

(الكامل)

وكـــذلِكَ الجهمـــيُّ[1] عطّـــلَ وصْـــفَهُ وَيهـــودُ قـــد وصـــفُوهُ بالنُّقصــــانِ
فهُمــا إذاً فــي نفــيهمْ لِصــفاتِهِ الــــ عُليـــا كمـــا بيَّنتُــــهُ أَخَـــوانِ

فقد شبّه الشاعر الجهميَّ الذي يجادله في الإسلام باليهود الذين وصفوا ديـن الإسـلام بالنقص، فقد أوّلوا القرآن على أهوائهم، وفسّروه تفسيراتٍ تتوافق ومصالحهم، كما فعل اليهـود عندما حرّفوا التوراة وزوّروها، وافتروا على الأنبياء زوراً وبهتاناً.

ب. الجحود والتكذيب

كان البوصيري من أكثر الشعراء مجادلة لليهود، لذلك عجّ شعره بصفاتهم وأخلاقهـم، وإقامة الحجة على أهل الكتاب فلم يصدّق اليهود كتاباً سماوياً، وحرّفوا توراة موسى عليه السلام بما يتناسب وأهواءهم، يقول البوصيري[2]:

(الخفيف)

صَـــدّقوا كتْـــبَكُمْ وكـــذّبتم كُتْـــبَهُمُ إنّ ذا لبِـــــــئسَ البَـــــــواءُ[3]
لـــو جَحَـــدْنا جُحـــودَكُمْ لاســـتوينا أوَ للحـــقّ بالضَّـــلالِ اســـتواءُ
مـــا لكـــمْ إخـــوةَ الكتـــابِ أناســـاً لـــيسَ يُرعـــى للحـــقّ مـــنكمْ إخـــاءُ

يشير البوصيري إلى أنّ المسلمين صدّقوا كتب اليهود من توراة وزبور، ولكنّ اليهود لم يؤمنوا بكتب غيرهم التي أُنزلت على الأنبياء والرسل، فكانوا بذلك جاحدين، لا يتسـاوون مـع المسلمين في شيء، فأكثر النصارى واليهود لم يراعوا حقوق الله[4].

---

[1] هو جهم بن صفوان الترمذي مولى راسب، قُتل في آخر دولة بني أمية، تُنسب الجهمية له، وهو ينفي الصفات الإلهيـة، ويدّعي خلق القرآن، فكفّره السنّة بذلك، يُنظر: المقريزي، تقي الدين: أحمد بن علي: **المواعظ والإعتبار**، ج2. ص346.

[2] **ديوان البوصيري**، ص13-14.

[3] البواء: التكافؤ.**لسان العرب**،مادة بوأ

[4] يُنظر: المهدي، أبو العباس: **الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية للبوصيري**، ص242-243.

فقد جحد اليهود نبوة محمد، صلى الله عليه وسلم، وكان شـرفاؤهم يفتخـرون بـذلك ويعبدون الطاغوت، يقول البوصيري[1]:

(الخفيف)

جَحَـدوا المصـطفى وآمَـنَ بالطـا غـوتِ قـومٌ هـمْ عنـدهمْ شـرفاءُ

لذلك عاقبهم الله بغضبه، والطرد من رحمته، يقول البوصيري[2]:

(الكامل)

ما بـالُ مـن غضِـبَ الإلـهُ علـيهمُ حـادوا عـن الحـقِّ المبـينِ ونكّبـوا
هلّـا تمنّـى المـوتَ مـنهُمْ معْشـرٌ جحـدوهُ فـامتحنوا الـدواءَ وجرّبـوا

فحريٌّ بهم أن يتمنوا الموت لجحودهم، وبعدهم عن الطريق الصحيح وعن الإسلام الذي يداوي كل أمراضهم، وينقّي نفوسهم.

لذلك كانوا بحاجة إلى الرسل الذين يرشدونهم لطريق الهدى، يقول البوصيري[3]:

(الكامل)

لوْ يصـدقونَ لمـا أتَـتْ رُسُـلٌ لهـمْ أتَـرى الطبيـبَ غـداً يـزورُ علـيلاً
إنْ أنكـروا فضـلَ النبـيِّ فإنّمـا أرخَـوا علـى ضَـوء النّهـار سـدولاً

ويراهم البوصيري مصابين بأخبث الأمراض، فيرسل الله لهم الرسل أطباء يـداوونهم، ويزيلون الخبث والمكر من نفوسهم، وعلى الرغم من ذلك ظلّوا مصرّين على نكران نبوة محمد، صلى الله عليه وسلم، التي تبدو كضوء الشمس في وضح النهار، مهما حاولوا تغطيتها، فـإنهم سيفشلون في صنيعهم.

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص16.
[2] **المصدر نفسه**، ص45.
[3] **المصدر نفسه**، ص145.

ولا يستغرب البوصيري جحود أكثر اليهود والنصارى، فقد كذّبوا كل الدلائل التي تثبت نبوة محمد، صلى الله عليه وسلم، التي جاءت في توراتهم وإنجيلهم، يقول[1]:

(البسيط)

إنْ أنكرَتْهُ النّصارى واليهودُ على ما بيّنَتْ منهُ توراةٌ وإنجيلُ
فقد تكرَّر منهمْ في جحودِهمُ للكفرِ كفرٌ وللتجهيلِ تجهيلُ

ويخاطب البوصيري النصارى، ويرى أنّهم تعلموا الجحود من اليهود، يقول[2]:

(البسيط)

منَ اليهودِ استفدتُم ذا الجحودِ كما مِنَ الغرابِ استفادَ الدفنَ قابيلُ

وهو بذلك يضرب مثلاً من قصص القرآن الكريم، عندما قَتل قابيلُ هابيلَ ثم جاء غرابٌ وقتل غراباً آخر ودفنه[3]، وفي ذلك دلالة على جهل النصارى وتقليدهم اليهود في أفعالهم دون تفكير أو تعقُّل.

ج. الغيّ والضّلال

أما الغيّ والضّلال فهو مظهٌر آخر من مظاهر كفر اليهود وعنادهم **كما رأى أكثر الشعراء** فقد عاشوا منذ تاريخهم، في ضلال، وظلام دامس، حيث ختم الله على قلوبهم، وأضلّهم، وأعمى بصيرتهم، يقول البوصيري[4]:

(الطويل)

وأعْشى ضياءُ الحقّ ضعفَ عُقولِكُمْ وشمسُ الضُّحى تعشى بها الأعينُ الرَّمْدُ

فلو كان لهم عقولٌ يفكرون بها، كما يقول البوصيري لما استمروا في غيهم وضلالهم، فكأنّ عيونهم أُصيبت بداءِ" الرّمد"، الذي أفقدهم بصرهم، فتاهوا في ضلالهم، فكأنّ نور الإسلام كالشمس الساطعة منعتهم من تركيز النظر.

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص178.
[2] **المصدر نفسه**، ص178.
[3] يُنظر: ابن كثير،،أبو الفدا إسماعيل: **تفسير القرآن العظيم**. ج2. ص550.
[4] **ديوان البوصيري**، ص64.

والشاعر يئس من هداية اليهود والنصارى، فقد جحدوا الحق، وأصرّوا علـــى عنـــادهم وكفرهم، يقول[1]:

(الكامل)

ضـــلَّ النصـــارى واليهـــودُ فـــلا تكـــنْ بهـــمْ علـــى سُـــبُلِ الهُـــدى مـــدلولاً

ويشير الشهاب محمود إلى المعنى نفسه، فيقول[2]:

(الخفيف)

ولَقَـــدْ أنكـــروا الـــذي علمـــوا مِنـــــــــه يقينـــــا، وكـــذّبوا الأخبـــارا
وعُمـــوا، والهـــدى(مضـــيءٌ) وأخفُـــوا مـــا تلـــوْهُ، ووافقـــوا الكفّـــارا

فاليهود _من وجهة نظر الشاعر_علموا يقيناً أنّ محمداً، صلى الله عليه وسلم، رســول الله، ولكنّهم كذّبوه، وعميت أبصارهم عن قبول الحقِّ، على الرغم مـن أنّ الإســلام واضــح مضيءٌ.

ثم يصرّ الشهاب محمود على هجائهم، وتذكيرهم بضلالهم وعماهم، فيقول[3]:

(الخفيف)

ولقـــدْ عـــارضَ اليهـــودُ هُـــداهُ، بعمـــــاهُمْ، ودافعـــــوا بـــــالرّاحِ
ثـــمَّ كـــانوا أصْـــلاً لكـــلّ نفـــاقٍ مِـــن عِـــداهُ ورأسَ كـــلِّ اجتـــراحِ[4]
بعـــدَ مـــا أوضـــحوهُ عنْـــهُ، وقـــالو هـــ، وكـــانوا بِـــهِ ذوي اســـتفتاحِ
وأبـــــانوا زمانَـــــهُ ذاكَ حتَّـــــى رقبُـــوهُ مثـــلَ ارتقـــابِ الصّـــباحِ
ثـــمَّ لمّـــا أتـــاهُمُ أدْبـــروا عـــنْ هُـــ، فضـــلّوا مـــع علمهـــمْ بـــالفلاحِ

[1] **ديوان البوصيري**، ص134.

[2] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص324.

[3] **المصدر نفسه**، ص349.

[4] الاجتراح: النقصان والعيب والعناد، **لسان العرب**، مادة جرح.

فاليهودُ هم أصل كل نفاق وشرٍّ، وهم أصل السيئات، فقد كانوا يحبّون الرسول ويصدّقونه قبل بعثته، وكانوا يرتقبون رؤيته في كل وقت، ولمّا جعله الله رسول العالمين، تنكروا له، وأصرّوا على ضلالهم وكفرهم. وعلى الرغم من يقينهم بأنّ طريق الإسلام هي طريق الهدى والفلاح، فقد تنكروا للرسول صلى الله عليه وسلم وجحدوا الحق، وما ذلك إلّا لأنّ الله غضب عليهم، وطردهم من رحمته.

ويقف ابن فضل الله العمري[1] على خلق الغيِّ والضلال الذي اتّصف به اليهود، عندما يُظهر جدال ابن تيمية لليهود والنصارى في الدفاع عن الإسلام، وقد أعاد الضّال إلى رشده[2]، فيقول في قصيدة رثاه فيها[3] :

(البسيط)

يا قامعَ البِدَعِ اللاتي تجنّبها أهلُ الزمانِ، وهذا البدوُ والحَضَرُ

ومُرشدَ الفرقةِ الضُّلالَ نَهجُهُمُ منَ الطريقِ فما حاروا ولا سهروا

ألمْ تكنْ للنّصارى واليهودِ معاً مجادلاً، وهُمْ في البحثِ قدْ حصَروا

فالشاعر يفتخر بشخصية ابن تيمية، فقد حارب البدع، وأرشدَ الضّلال من اليهود والنّصارى، ورعاهم إلى الطريق الصحيح وجادلهم في ادعاءاتهم الباطلة، وفي افتراءاتهم على الأنبياء والمرسلين.

يرى الشعراء أنّ صفة الضلال غدت ثابتة ملازمة لليهود في جميع العصور، ما جعل الشعراء يضربون المثل دائماً بضلالهم، فهذا ابن قيّم الجوزية، عندما يجادل محرّفي النصوص

---

[1] هو أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المجلي دعجان بن خلف بن أبي الفضل، نصر بن منصور بن عُبيد الله بن عدي، ينتهي نسبه إلى عمر بن الخطاب، وهو الإمام الفاضل البليغ المفوّه الحافظ حجة الكتاب، إمام أهل الآداب، يمتاز بالذكاء، ولد بدمشق سنة 700 هـ، وتوفي يوم عرفة سنة 749هـ، كتب مصنفات ومؤلفات كثيرة أشهرها"مسالك الأبصار". يُنظر: الصفدي، خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات.** ج8، ص252-255.

[2] يُنظر: غريب، علي محمد علي: **شعر ابن فضل الله العمري** (749هـ)، جمع وتوثيق ودراسة(رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الخليل، الخليل، فلسطين، 2008م. ص69.

[3] **المصدر نفسه،** ص69.

القرآنية، يقارنهم باليهود في ضلالهم، بل يراهم أضلّ لأنهم علموا اليقــين، وعُــدّوا مســلمين، وتنكّروا لدينهم، يقول[1]:

(الكامل)

حــذّرْ صِــحابَكَ مِــنْهُمُ فهُــمُ أضلْــــ ــلُ مِــنَ اليهــودِ وعابــدي الصُّــلبانِ

د. التحريف والتزوير

وهو مظهر آخر من مظاهر كفر اليهود وعنادهم.

حيث عُرف اليهود بكذبهم وتحريفهم التوراة وتزويرها، فلم تبق التوراة تلك التي نزلت على موسى عليه السلام، وقد أجمع المؤرخون من غير اليهود أنّ الأسفار الخمسة الأولى منها: "التكوين والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية" وضعها أحبار اليهود في القرن الخــامس قبــل الميلاد، على وجه التقريب، ثم كتبوا بقية الأسفار، لذلك فقدت صفتها القدسية، وأصبحت أشــبه بفصول في كتاب تعكس أفكار جماعة من الناس، ومواقفهم تجاه آخرين[2].

وفي العام 701هــ،، وأُلزم يهود خيبر بأداء الجزية أُسوة بأمثالهم من اليهود، فعقــدوا مجلسا وأحضروا فيه كتاباً يزعمون فيه أنّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قد وضع الجزية عنهم، وعندما وقف الفقهاءُ عليه بيّنوا أنّه كذب، لما فيه من الألفاظ الركيكة والتواريخ الخاطئة، واللحن، فحاججهم الشيخ ابن تيمية، وتبيّن له كذبهم، فأنابوا إلى أداء الجزية، وخــافوا مــن أن يُستعاد عليهم بالسنين الماضية[3].

وهذا ليس أمراً غريباً عنهم، فمن يجرؤْ على تحريف كتاب الله، يستهنْ بأيِّ كتاب آخر، وقد وقف الشعراء عند هذا الخلق وهجوا اليهود والنصارى، وكان البوصيري واحداً من أشــهر من تعرّض لهم وهجاهم، حين قال[4]:

---

[1] ابن قيم الجوزية، **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية(القصيدة النونية)**، ص55.

[2] يُنظر: البحرة، نصر الدين: **نفسية اليهودي في التاريخ**.ط1، دمشق: مطبعة دار عكرمة. 2000م، ص233.

[3] يُنظر: العيني، بدر الدين محمود (ت855هــ): **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**. ج4،(د.ط) مصر: الهيئة المصــرية العامة للكتب.1992م. ص190-191، الشرقاوي، عبد الرحمن: **ابن تيمية الفقيه المعذّب**، ص118-119.

[4] **ديوان البوصيري**، ص189.

(الكامل)

إنّ النصـــارى واليهـــودَ معاشـــرٌ جُبلـــوا علـــى التَّحريـــفِ والتّبـــديلِ
لـــوْ أنّ فـــيهمْ عُـــوَّرٌ عـــنْ باطـــلٍ أَبقَـــوا علـــى التـــوراةِ والإنجيـــلِ

فكان التحريف في جبلّتهم الأولى، فُطروا عليه، وعلى قول الباطـل فحرّفـوا الكتـب السماوية، ولم يتركوا فيها من الأحكام التي أنزلها الله عز وجل، يقول البوصيري[1]:

(البسيط)

أخْلَـــوا كتـــابَ اللهِ مـــن أحكامِـــهِ عَـــدْواً وكـــانَ العـــامرَ المـــأهولا
جعَلُـــوا الحـــرامَ بـــهِ حـــلالاً والهُـــدى غيّـــاً وَموصـــولَ التُّقـــى مفْصـــولا
وَدعـــاهُمُ مـــا ضـــيّعوا مـــنْ فضـــلِهِ أنْ يملـــؤوهُ مِـــنَ الكـــلامِ فُضـــولا
كتمُوا العبــادةَ والمعــادَ ومــا رَعــوْا للحـــــقِّ تعجـــــيلاً ولا تـــــأجيلا

ولم يكتف اليهود بما حرّفوا وزوّروا، ولكنّهم لم يألوا جهداً في قـول شـهادة الـزّور، وبخاصة على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين اجتمعت الأحزاب ضدّه، وكـان اليهـود أساس الشرّ والحقد في تحالفهم ضدّهُ، واتهامهم إياه اتهاماً باطلاً، ولذا يتمنى البوصيري لو أنّـه كان في ذلك الزمان حتى يكذّب ادعاءاتهم عن الرسول، صلى الله عليه وسلم يقول[2]:

(المديد)

ليتنـــــي كنـــــتُ فـــــيمنْ رآهُ أتّقـــــي عنـــــهُ الأذى والسِّـــــبابا
يـــــومَ نالتْـــــهُ بإفـــــكٍ يهـــــودٌ مثلمـــــا اســـــتنبحَ بـــــدرٌ كلابَـــــا

وماذا ستؤثر الكلابُ بنباحها في بدر منير في السّماءِ؟ فتبقى الكلاب كلابا، ويظلُّ البدر متربّعاً في سمائه يهب نور الحق وضياء الهدى، لينير درب الظلام للسالكين.

وفي محاججة ابن قيّم الجوزية للفِرق الضالّة التي حرّفت كتاب الله، يكثر من ذكر اليهود ولزومهم التحريف والتبديل، ويشبههم بهم، فيقول[3]:

[1] **ديوان البوصيري**، ص140.
[2] **المصدر نفسه**، ص33.
[3] ابن قيم الجوزية: **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية)**، ص156.

(الكامل)

ورِثَ المحرِّفُ مِنْ يهودَ وهُمْ أولو التْـ تَحريـــــفِ والتبـــــديلِ والكتمـــــانِ

فاليهود منبعُ كل تزوير و تحوير وتحريف، وهم القدوة الأولى لمن أراد هذا.

ثم يقارن بين اليهود والجهميّ، في تلاعبه بالنصوص، وتحريفهم وتبديلهم، فيقول[1]:

(الكامل)

أُمِـــرَ اليهـــودُ بـــأنْ يقولـــوا حِطّـــةٌ فـــأَبَوْا وقـــالُوا حنطـــةٌ لهـــوانِ
وكـــذلكَ الجهمـــيُّ قيـــلَ لـــهُ استوى فـــأبى وزادَ الحـــرفَ للنّقصـــانِ
قال استوى اســتولى وذا مِـنْ جهلِـه لُغـــةً وعقـــلاً مـــا هُمـــا سِـــيّانِ

فالشاعر يجادل الجهمية الذين يرون أنّ الإيمان عقد بالقلب، حتـى وإنْ أعلـن الكفـر بلسانه، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية، ومات على ذلك فهو مؤمنٌ، ويرون أنّ علم الله محـدثٌ مخلوقٌ، وأنّ الجنة والنار تفنيان ويفنى كل من فيهما[2]. وهذا محض كفر وتزوير وتحريف لمـا جاء في القرآن الكريم.

فلقد عاند اليهود ورفضوا أن يدعوا الله أنْ يحطّ عنهم سيئاتهم، وقالوا "حنطة"، وكـذلك الجهمي، رفض أن يقول عن الله عز وجل "استوى"، وقال "استولى"، وذلك جهلٌ محضٌ، سـواءً أكان في اللغة أم في العقل. فالله عندهم قد استولى على العرش ولم يسـتوِ، وبهـذا التلاعـب بالحروف، يتشابهون مع اليهود الذين حرّفوا وزوّروا. ثم يتابع ابن قـيم الجوزيـة مجـادلتهم، فيقول[3]:

(الكامل)

نـــونُ اليهـــودِ ولامُ جهمـــيٍّ همـــا فـــي وحـــيِ ربِّ العـــرش زائـــدتانِ

---

[1] ابن قيم الجوزية: **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية(القصيدة النونية)**، ص157.

[2] يُنظر: ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد(ت456هـ): **الفصل في المِلل والأهواء والنِّحل**. ج5. تحقيق: عبـد الـرحمن عمر، محمد إبراهيم نصر،(د.ط). بيروت: دار الجيل. 1929م .ص73.

[3] ابن قيم الجوزية: **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية(القصيدة النونية)**، ص157.

وكـــذلكَ الجهمـــيُّ عطّـــلَ وصـــفَهُ ويهـــودُ قـــدْ وصـــفوهُ بالنُّقصـــانِ
فَهُمـــا إذاً فـــي نفـــيِهِمْ لصـــفاتِهِ الـــ عُليـــا كمَـــا بيَّنتُـــهُ أخَـــوانِ

فقد زاد اليهودُ النون لـــ "حطّة" فغدت "حِنطـــة" وزاد الجهمـــي"الـــلام" لـــ "اســـتوى" فأصبحت"استولى" ولكنّهما في حكم الله عزّ وجل باطلتان، والجهميّ عطّل صفات الله عز وجل، وتشابه مع اليهود الذين وصفوا الله عز وجل بالنّقص،وجعلوه بشراً يمشـــي ويـــتكّلم، وينـــدم، واعتقدوا"بالبداء".

وبذلك تكون الفِرقة الجهمية المعطّلة قد تآخت مع اليهود في الكفر والتحريف والتزوير، وكأنّ اليهود قد غَدوا ملهِمين لهم في الكفر والتبديل، وهتك أستار الدين.

ثم يعجب ابن قيم الجوزية من هذه الفرق الضّالة، التي أوّلت كثيرا من معاني القـــرآن، وخرجت عن الإسلام في كلامها، فيقول[1]:

(الكامل)

إذْ كانَ لفظُ النصِّ محفوظاً فمـــا التْـــ تَبـــديلُ والكتمـــانُ فـــي الإمكـــانِ
فـــأرادَ تبـــديلَ المعـــاني اذْ هـــي الـــ مقصـــودُ مـــنْ تعبيـــرِ كـــلِّ لســـانِ
فأتى إليهـــا وهـــي بـــارزةٌ مِـــنَ الـــ ألفـــاظِ ظـــاهرةً بـــلا كتمـــانِ
فنفـــى حقائقَهـــا وأعْطـــى لفظَهـــا معنـــىً سِـــوى موضـــوعِهِ الحقّـــانِ
فجنـــى عَلـــى المعنـــى جِنايـــةَ جاحـــدٍ وجنـــى عَلـــى الألفـــاظِ بالعُـــدوانِ
وأتـــى إلـــى حـــزبِ الهـــدى أعطـــاهُمُ شـــبه اليهـــودِ وذا مـــن البهتـــانِ

وعلى الرغم من أنّ الألفاظ واضحة دالّة على المعنى المقصود، فقد تلاعـــب"الجهميـــة" بمعاني القرآن، وفسّروه حسب أهوائهم ومصالحهم، فقد قال في اليهود: (يُحَرِّفُونَ الْكَلِـمَ عَـنْ مَوَاضِعِهِ)[2]، وقد اتهموا "حزب الهدى" السُّنيين بأنّهم هم من حرّفوا وزوّروا في تفســير القـــرآن الكريم، وشبهوهم باليهود، وهذا بهتانٌ وافتراء.

---

[1] ابن قيم الجوزية: **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية(القصيدة النونية)**، ص156.

[2] **سورة النساء**، آية 46.

2. صفات اليهود

أ. السرقة والفساد الإداري

ويقف البوصيري موقف الهاجي الساخط الذّامِّ للمستخدمين في زمانه، يقرّعهم، ويعيب عليهم ما سرقوه من العامّة، ويحطُّ من شأنهم ومنزلتهم بعد أن تعاملوا بالرشوة والسرقة والغش، والتزوير، وهو في ذلك يهجو لصوص المسلمين والنّصارى واليهود، ولكنّه يبدو ناقماً بشدّة على مستخدمي اليهود، فيقول[1]:

(الكامل)

أفدي به المستخدمينَ وإنّما أفدي بتيسٍ كاليهودِ تُيوساً

لوْ كنتُ أملكُ أمرَهم من غيرتي لمْ أبقِ للمستخدمينَ ضروساً

يرْعَونَ أموالَ الرّعيةِ بالأذى لو يُحلبونَ لأشبهوا الجاموسا

فقد سرقوا أموال الرعية، ولم يراعوا في ذلك حقاً، وخانوا الأمانة، ويخصّص ذمه لليهود عندما ينعتهم بالتيوس، ويتمنى الشاعر لو ملك أمرهم وتدبيرهم بيده لاقتلع أضراسهم من جذورها، ونهاهم عمّا فعلوه، ولا يسلمُ من نقده أيةُ طائفة من المستخدمين سواءً أكانوا يهوداً أم نصارى أم مسلمين لأنهم سرقوا أموال الناس بالباطل فقد أصبحوا كالجاموسة التي امتلأ ضرعها باللبن. ثم ينتقل ليقارن بين حاله عندما كان مستخدماً، وبين أولئك المستخدمين، فيقول[2]:

(الكامل)

مَلَأتْ بيوتَهُمُ الغِلالُ فلا ترى منْها كَبيتيَ فارغاً مكنوساً

فقد نهبوا أموال الرّعية، ومعاشهم، وتقاسموه، وأخذوه إلى بيوتهم زوراً وبهتاناً، في حين يعاني البوصيري فقراً شديداً، ولم تمتدَّ يده لتسْرق شيئاً من مال الرعية.

[1] **ديوان البوصيري**، ص124.

[2] **المصدر نفسه**، ص124.

لقد اختص اليهود بالسرقة، واغتصاب أموال الناس، تحت ذريعة حفظ السبت وتطبيق ما أمرهم الله به، فسرقوا وأدّوا شهادة الزور، فهجاهم البوصيري قائلاً[1]:

(الوافر)

وحلّلــــتِ اليهــــودُ ،بحِفْـــظ ســـبتٍ　　لهُـــمْ ،مـــالَ الطوائـــفِ أجمعينـــاً
وفـــــي دارِ الوكالــــةِ أيّ نهــــبٍ　　فليْتَـــكَ لـــوْ نهَبْـــتَ الناهبينـــا
فقـــام بهـــا يهـــوديٌّ خبيـــثٌ　　يســـومُ المســـلمينَ أذى وهونـــا
وشـــاهِدُهم إذا اتُّهمـــوا يـــؤدي　　عـــنِ الكـــلِّ الشـــهادةَ واليمينـــا

فالبوصيري يذكر صفة الخبث التي امتاز بها اليهــود، فهــم يوقعــون الأذى والهــون بالمسلمين، ويسرقون أموالهم، ولا يتورعون عن قول الزور إذا اتُهموا.

وقد ظلّت هذه الأبيات وثيقة تاريخية شاهدة على اختلاف الطوائف في مصر في عصر المماليك، وعلى ما كان يجري من اليهود من سرقة وفساد إدارة[2].

ويقف شاعرٌ مجهولٌ الموقف نفسه من اليهود، وقد سرقوا أمــوال النــاس، وســحروا عيونهم، فيقول[3]:

(الكامل)

لُعــنَ النّصـــارى واليهـــودُ لأنّهـــم　　ســـحروا الملـــوكَ وغيّـــروا الأحـــوالا
وغَـــدَوا أطبّـــاءً وحسّـــاباً لهـــمْ　　فتقاسَـــــمُوا الأرواحَ وَالأمْـــــوالا

فقد تسلطوا على رقاب الناس، وسرقوا أموالهم، بسبب ما نالوه من حظوة عند الملــوك والسلاطين، وما ذلك، إلّا لمكرهم ودهائهم.

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص222–223.

[2] يُنظر: مبارك، زكي: **المدائح النبوية في الأدب العربي**(د.ط) القاهرة: دار الشعب، 1900م، ص189.

[3] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان(ت902هـ): **التبر المسبوك في ذيل السلوك**. ص39.

وقد استأثروا بغالبية "مال الدولة" وضرائبها المقررة لأنفسهم أولاً، وتفنّنوا في استخراجها من الناس دون أن يراجعهم السلاطين، وتحكّموا في أرواح العامة.[1]

وبما أنّ اليهود حرّفوا وبدّلوا وزوّروا في توراتهم، وفي معاملاتهم، فقد سمحت لهم أنفسهم بأن يخونوا العهود والمواثيق، فلم يلتزموا بعهدٍ ولا وثيقة، وهذا ما ظهر في الشعر.

ب. خيانة العهود والمواثيق

عُرِفَ اليهود أنّهم لا يحترمون عهداً ولا ميثاقاً، لأنّ العهدَ عندهم وسيلةٌ مؤقتةٌ للحصول على مكسبٍ آخر[2].

ويقف التاريخ خير شاهد على خيانتهم لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، في غزوة الأحزاب حين تآمرت قريشٌ وغطفانُ واليهودُ ومن معهم، وقد خرج نفرٌ من يهود حتى قدموا على قريش في مكة، وقالوا إنّا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله، ثم خرجوا وجاؤوا غطفان فدعوهم لحربه، حتى وصل عدد المشركين عشرة آلاف، فيما كان عدد المسلمين ثلاثة آلافٍ، وكان بنو قريظة على عهد وعقدٍ مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فلم يزل حُييٌّ بن أخطب[3]، يرئيسهم كعب بن أسد[4]، حتى نقض هو وقومه العهد مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصاروا مع الأحزاب، فاشتد البلاء على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهجم النّصارى على صفوف المسلمين، وبثّوا الأراجيف والشائعات، و أخذوا يتطاولون على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويسخرون من وعده لهم بكنوز كسرى وقيصر، ولكنّ الله غالبُ أمره يفي عبده

---

[1] النجار، محمد رجب: **الشعر الشعبي الساخر**، مجلة عالم الفكر، ع3 ،مج13، ، 1982م، ص841.

[2] يُنظر: الخولي، محمد علي: **اليهود من كتابهم**، ط1. عمان: دار الفلاح للنشر والتوزيع، 1998م، ص153.

[3] هو حيي بن أخطب النضري، جاهلي من الأشداء العتاة، كان من اليهود الذين عادوا الرسول، صلى الله عليه وسلم، وحقدوا عليه ونزل فيهم القرآن، وكان ممّن دعا إلى البخل، وحزّب الأحزاب، وحرّض كعب بن أسد القرظي على رسول الله. يُنظر: **سيرة ابن هشام**. ج2، ص190،188،136، ج3 ص229، 235-236.

[4] هو كعب بن سليم بن أسد، ويُقال له كعب بن حبّان القرظي، كان من سبي قريظة، وكان له مع قيس ابن الخطيم في يوم بُعاث مناقضات. يُنظر: المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران(ت384هـ): **معجم الشعراء**،ص343، ابن حجر، شهاب الدين أحمد: **الإصابة في تمييز الصحابة**. مج5. ص597.

ما وعده، فيرسل الله الريح على الأحزاب وينتصر المسلمون[1]، وقد سطّر البوصيري كل هـذه الأحداث في قصيدته الهمزية، فقال[2]:

(الخفيف)

خُـدِعوا بالمنـافقينَ وهـل يُنفـقُ | إلّـا علـى السّـفيهِ الشـقاءُ
واطمـأنوا بقـولِ الأحـزابِ إخـوا | نِهِـمُ إنّنـا لكـم أوليـاءُ
حـالفوهُم وخـالفوهُمْ ولـم أد | رِ لمـاذا تخـالف الحُلفـاءُ
أسـلموهمْ لأولِ الحشـرِ لا | ميعـادُهمْ صـادِقٌ ولا الإيـلاءُ

فكان من نتيجة نقضهم العهد الهلاك والدمار، لأنّهم انخـدعوا بالمنـافقين مـن الأوس والخزرج، ولكنّ المنافقين أسلموهم في أول الحشر عندما أجلوهم من جزيرة العرب إلى الشام[3].

ثم يواصل البوصيري التعبير عن فرحه بِما حلَّ باليهود في يوم الأحزاب، فيقول[4]:

(الخفيف)

وبيـومِ الأحـزابِ إذْ زاغَـتِ الأبصـارُ | فـيهمْ وضُـلّت الآراءُ
وتعـدّوا إلـى النبـيّ حـدوداً | كـان فيهـا علـيْهِمُ العـدواءُ
ونَهـتْهُمْ ومـا انتهـتْ عنـهُ قـومٌ | فأُبيـدَ الأمَّـار والنّهّـاءُ

فكان جلاؤهم نتيجة مكرهم وغدرهم، ونقضهم العهد مع الرسول، صلى الله عليه وسلم، فقد استحقوا ما حلّ بهم، فلم يستمعوا النصيحة مذ نهاهم عن نقض العهد، فكان مصيرهم القتـل والإبادة. وينتقل البوصيري ليتغنى بمعجزة الرسول، صلى الله عليه وسلم، بالأحزاب، وكيـف نصره الله بالرعب حتى غدا الأحزاب ذباباً، يقول[5]:

---

[1] يُنظر: أبو الفدا: إسماعيل: **المختصر في أخبار البشر**، ج1 ص134-135، النبهاني، يوسف بـن إسـماعيل: **غـزوات الرسول صلى الله عليه وسلم**، ص33-34.

[2] **ديوان البوصيري**، ص17.

[3] **المصدر نفسه**، ص17.

[4] **المصدر نفسه**، ص17.

[5] **المصدر نفسه**، ص32.

(المديد)

وَهُــوَ المنصــورُ بالرُّعــبِ لــو شــا ءَ لأغنـــى الرُّعـــبُ عنْهـــا ونابـــا
لــوْ تــرى الأحــزابَ طــاروا فــراراً خلـــتُهُمْ بـــينَ يديـــهِ ذبابـــا
أوَ لَـــمْ تعجـــبْ لـــهُ وهْـــوَ بحـــرٌ كيـــفَ يســـتقي نـــداهُ السَّـــحابا

وقد أوهم اليهود الرسول صلى الله عليه سلم، ببقائهم على عهدهم، مكراً وخديعة ولكنّهم خرقوا العهد وتآمروا على قتله، ويصورهم البوصيري بالأفاعي حين يقول[1]:

(الكامل)

أبنـــاءُ حيّـــاتٍ ألـــمْ تـــرَ أنَهـــم يجِـــدونَ دريـــاقَ السّـــموم قَتُـــولا

فهم كالأفاعي تظهر الملمس الناعم، وتنفث سمّها في الضحيّة، فما يظهرونه من خيـر وحسن لا يكون إلّا سماً لا شفاء منه، يقتلون به كل مسلمٍ.

وما اتّصاف اليهود بهذه الصفة إلّا لأنّهم جبناء كما يبدو في قول البوصيري[2]:

(الخفيف)

ســـكنَ الرّعـــبُ والخـــرابُ قلوبـــاً وبيوتـــاً مـــنهُمْ نعاهـــا الجـــلاءُ

ويشير الشاعر هنا إلى غزوة بني النضير، حيث خرج صلى الله عليه وسلم يستعين بهما في دية قتيلين قتلهما بعض حلفائِه، فأظهروا له الإجابة، ولكنّهم توعدوه بالقتل بإلقـاء صـخرة عليه، فأخبره جبريل عليه السلام بالمكيدة، فخرج ورجع إلى المدينة، وجهز نفسه وسار لحربهم، وظلّوا في حصونهم، فقطع نخلهم وحرقها، وبعد حصارهم خمساً وعشرين ليلة، أمرهم بالخروج من بيوتهم، فكانوا يخربونها بأيديهم قبل خروجهم فقد صدق فيهم قوله تعالى: (يُخْرِبُونَ بُيُـوتَهُمْ

[1] **ديوان البوصيري**، ص140.
[2] **المصدر نفسه**، ص17.

بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ)[1]، ثم أُجلوا إلى خيبر ثمّ إلى الشام والحيرة، وقد قُهروا خوفاً وجُبناً من الرسول صلى الله عليه وسلم، أمّا أموالهم الباقية، فقد قسّمها الرسول على المهاجرين[2].

فهذه هي أخلاق اليهود التي تجانب أي دين سماويٍّ، وتخالف شرائعه السماوية ظلّت ملازمة لهم، حتى عُرفوا بها على مرّ عصور التاريخ.

ج. الغدر

لا يكاد يُذكر اليهود، إلّا وتُذكر صفة الغدر ملازمة لهم، فكانت من أكثر الصفات التي أفاض الشعراء في الحديث عنها، والبرهنة على ذلك من تاريخهم.

وكانت قصة زينب الخيبرية اليهودية [3]من أكثر قصص الغدر التي وقف عندها غير شاعر من شعراء العصر المملوكي، حيث ذكرت المصادر أنّه بعد أن فتح صلى الله عليه وسلم خيبر[4] اطمأنّ، فأهدت له زينب شاة مشوية، مسمومة الذراع وذلك بعد أن علمت أنّ الرسول يُفضّله على سائر الأعضاء، ثم جاءت به ووضعته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابُه، فلاك منها مضغة ولم يستسغها، ولكنّ بشر بن البراء بن معرور[5] أكل منها فمات، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إنّ هذا العظم ليخبرني أنّه مسمومٌ"،ثم دعا بها فاعترفت، وسألها عن السبب الذي حملها على ذلك فأخبرته أنّها كانت تريد امتحان صدق نبوته، فإن لم

---

[1] **سورة الحشر**، آية2

[2] يُنظر: المهدي، أبو العباس: **الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية للبوصيري**، ص218-272. النبهاني، يوسف ابن إسماعيل: **غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم**، ص30-31.

[3] هي زينب بنت الحارث زوج سلام بن مشكم الخيبرية. يُنظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: **سيرة ابن هشام**، ص389، ابن سعد،أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري(ت 320ه):**كتاب الطبقات الكبير**. ق1، في ذكر مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه. (د.ط) طهران: مؤسسة النصر. 1904ه ص7.

[4] خيبر هي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، على ثمانية بُرُد من المدينة إلى جهة الشام، فتحها صلى الله عليه وسلم سنة 7ه بعد أن حاصرها بضع عشرة ليلة. يُنظر: الحموي، ياقوت: **معجم البلدان . ج5**.ص**468**.

[5] هو بشر بن البراء بن معرور الأنصاري الخزرجي، من بني سَلَمَة، شهد العقبة وبدراً وأحداً، مات بخيبرعند فتحها سنة 7هـ من الأكلة التي أكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: إنه لم يبرح من مكانه الذي أكل فيه حتى مات. يُنظر: ابن الأثير، عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد: (ت630هـ). **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**. مج1 ، ص218.

يكن نبياً، تكون قد استراحت منه، وإن كان نبياً فسيخبَر، فتجاوز عنها الرسول، ومات بشر من أكلته، أمّا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فظلّ يتألم من أثر السمّ، ما جعله يقول في مرض موته:(إنّ أكلة خيبر لم تزل تعاودني، وهذا زمان انقطاع أبهري)، وذلك حتى تُكتب له الشهادة مع النبّوة[1].

وكان الصرصري واحداً من الشعراء الذين سطّروا هذه الحادثة بأقلامهم في غير بيت وغير قصيدة في شعره، يقول[2]:

(الطويل)

أمَا فــي ذراعِ الشّــاةِ والسُّــمِّ عِبــرةٌ ففيهــا ثــلاثٌ تسْــتبينُ لــذي أَدَبْ
توكُّلُــــهُ فــــي أكلِهـــا وكلامُهـــا لهُ معجزٌ والحِلمُ عن مــا جنــا السَّــبّْ

فقد كان في هذه الحادثة عِظةٌ لكل سامع، وفيها انكشفت أمورٌ ثلاثة وهي توكّل الرسول صلى الله عليه وسلم، حين قبل هدية من يهودية يعلم أنّها ربما تغدر به، وكانت معجــزة كــلام الذراع من معجزات المصطفى التي بُهت بها كلّ كافر أثيم، ثمّ توّج القصة بحِلمه وعفوه عمّــن حاولت قتله، وتسببت في قتل الصحابي بشر بن البراء بن معرور.

ويستحضر البوصيري قصة سُمِّ الرسول، صلى الله عليه وسلم، في قصائده، فيقول[3]:

(الخفيف)

ثـــمَّ ســـمّت لـــه اليهوديـــةُ الشـــا ةَ وكـــمْ ســـامَ الشـــقوةَ الأشـــقياءُ
فـــأذاعَ الـــذراعُ مـــا فيـــه مـــن شـــرْ رٍ بنُطـــــقٍ إخفـــــاؤُه إبْــــــداءُ
وبِخُلْـــقٍ مِـــــنَ النّبـــــيِ كـــــريمٍ لَـــمْ تُقاصَـــصْ بُجرحِهـــا العجمـــاءُ[4]

---

[1] يُنظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: **سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.** ج3. ص389-390، ابن سعد،أبو عبــد الله محمد بن سعيد الزهري: **كتاب الطبقات الكبير**، ق1. ص7-8، أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل: **المختصر في أخبار البشر.** ج1. ص140-141، النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم.** ص48-50.

[2] **ديوان الصرصري**، ص55.

[3] **المصدر نفسه**، ص8-9.

[4] العجماء: البهيمة، **لسان العرب**، مادة (عجم).

فاليهود أشقياء بغدرهم، ولكنّ الله يفضح تخطيطهم ومكرهم، حين يُنطق عضــواً حيّــاً ليكشف غدرهم، وعلى الرغم من هذا إلّا أنّ النبي يبرهن على رسالته وصـــدق نبوتـــه وكـــرم أخلاقه، حين يترك المذنبة دون عِقاب أو قصاص.

ويكثر الحديث عن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم في قصيدة المدائح النبويـــة، فيتباهى الشعراء برسولهم ونبيهم محمد، صلى الله عليه وسلم، وبما أعطاه الله من مزايا، لم تُعط لنبي ولا بشرٍ من قبل، فيذكر البوصيري هذه القصة مرة أخرى ويسوقها مع بعــض الكثيــرة معجزاته الأخرى، فيقول[1]:

(الكامل)

وَ بـــأَنْ يُكلِّمَـــهُ الـــذّراعُ وَكيـــفَ لا يُفضـــي إليْـــه بســـرّه وَيَبـــوحُ

فكان كلام الذراع للرسول معجزة أخرى أضيفت إلى سجل معجزاته الخالدة. فيصـــدق قوله عز وجل فيهم: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)[2].

ويعرّض الشهاب محمود الحلبي باليهود الذين دسّوا السم بخداعهم وغدرهم للنبي صلى الله عليه وسلم، بعد فتح خيبر[3]، ويشير إلى هذه الحادثة في غير موضع، منها[4]:

(الوافر)

وخبّـــرهُ الـــذّراعُ وَقَـــدْ أعَـــدّتْ بِـــهِ بنـــتُ اليهـــودِ لَـــهُ سِـــمَامَهْ

ويتطرق ابن سيد الناس إلى الحادثة نفسها في غير موضع من ديوانه، منها ما قاله[5]:

(البسيط)

وشـــاةُ خيبـــرَ ســـمّتها اليهـــودُ فمـــا نالوا المرامَ ولـــولا العفـــوَ قـــد نيلُـــوا

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص56.

[2] **سورة الأنفال**، آية 30.

[3] يُنظر: **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**. ص66.

[4] **المصدر نفسه**، ص66.

[5] **ديوان بشرى اللبيب بذكرى الحبيب** . ص246.

وأخْبَرَتْهُ بمـا قَـدْ كـانَ مِـنْ حَـدَثٍ مِـنَ اليهـودِ وَهُـمْ قـومٌ مراذيـلُ

فقد عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع مقدرته عمّن حاولت قتله، ولكنّ الذراع فضحها، وكشف عن أرذل خلق وأذلهم.

وفي الحادثة نفسها، يقول أبو الحسن علي بن الجياب الأنصاري[1]:

(الكامل)

ووقـاكَ مِـنْ سُـمِّ الـذِّراع بِلُطفِـهِ كيْمـا يُغـاظَ بِـكَ العـدا والحُسَّـدُ

فكان حفظ الله عزّ وجل للنبي من شرهم وغدرهم، غيظاً وألماً وقهراً يعتمل في صدورهم، ويبقى حسَدُهم للنبي، صلى الله عليه وسلم، فهو مرض اشتهروا به فقد عُرف عنهم حَسدهم للنبي وللإسلام والمسلمين، وتمنيهم زوال النعمة عن غيرهم.

أمّا ابن الوردي، فإنّه لا ينسى طَرقَ قصة السحر وغدر اليهود، فيذكرها في قصيدته التي قالها في تحويل كنيسة اليهود إلى دار للحديث على يد القاضي ابن الزملكاني، فيقول فيها[2]:

(الطويل)

أيُنسـى أذاهُـمْ للنبـيِّ وبغضُـهمْ وتكذيبُهمْ والسمُّ فـي الشـاةِ والسِّـحرُ
كـأنّهُمْ فـي التّيـهِ بعـدُ فمـنهمُ تحقـقَّ سـلواهُمْ وَقَـدْ عظُـمَ المَكـرُ
وحقّكَ ما هـذا الـذي تسـتحقّهُ الـ يهـودُ ولا العُشـرانِ كـلاّ ولا العَشـرُ

فقد غدر اليهود بالنبي، صلى الله عليه وسلم بغير طريقة، حين حاولوا سمّه عن طريق ذراع الشاة، وحين حاول يهوديٌّ سحره. ثم يعيّرهم ابن الوردي بتيههم في الصحراء وهم مع موسى عليه السلام، يطلبون منه أن يُنزل لهم مائدة من السماء، فهم يستحقون أكثر مما فعله ابن الزملكاني بكنيستهم، نِكايةً بهم وبما فعلوه من غدرٍ مع الرسول، صلى الله عليه وسلم.

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**. ج2. ص120.
[2] **ديوان ابن الوردي**، ص295.

ويقف صفي الدين الحلّي في غير قصيدة على قصة الخيبرية ،قال[1]:

(الكامل)

وحكـــى ذراعُ الشّـــاةِ مُـــودَعَ سُـــمِّهِ حتّـــى كـــأنَّ العُضـــوَ منـــهُ لســـانُ

فقد نطق ذراع شاة الخيبرية اسمها، وأفصح عن غدرها وفعلتها الشـنعاء، حتـى بـدا العضو لساناً ينطق بالحقّ، وما ذلك إلّا لفضح حقد اليهود وغدرهم بنبي الإسلام سيدنا محمـد، صلى الله عليه وسلم.

ويقف الشاعر أبو الحجاج يوسف الرندي[2]،عند معجزة نطق الذراع قائلاً[3]:

(الكامل)

وَكـــذا ذِراعُ الشـــاةِ قَـــدْ نَطَقَـــتْ لَـــهُ نُطـــقَ اللّســـانِ فصـــيحهِ وذليقِـــهِ

فقد تحدّثت الذراع عن غدر اليهود بلسان فصيحٍ، وأظهرت خبثهم، ومكرهم، وخداعهم، حتى تظلّ معجزته على مرّ العصور.

ولم يكن الشاعر البرعي لينسى الوقوف على قصة الخيبرية، فقد ذكرها في غير موضع ، ومذكّراً اليهود بأفعالهم الشنعاء يقول[4]:

(الطويل)

وإخبـــارُ عضـــوِ الشـــاةِ أنّـــي مُسَـــمَّمٌ فتبّـــاً لأفعـــالِ اليهـــودِ الأصـــاغِرِ

---

[1] **ديوان صفي الدين الحلّي**، ص81.

[2] هو أبو الحجاج يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن محمد بن أحمد الجذامي الرّندي، صنّف الحقائق النبوية، وله ديوان شعر، وخمّس البردة، وله "أرج الأرجاء في مسرح الخوف والرجاء"، فكان حسن اللقاء والخلق والعشرة، ولي القضاء ببلده وغيرها، وأسنّ وفيه بقية ظرف مات سنة 782هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية**. ج5، ص300.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج2. ص340.

[4] البرعي، عبد الرحيم بن أحمد بن علي: **ديوان البرعي**، إعداد: عاصم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقادي. (د.ط)، (د.م)، (د.ت)، ص104.

ولم يقتصر غدر اليهود على هذه الحادثة، فقد صنعوا سحراً للرسول صـــلى الله عليـــه وسلم، ووضعوه في بئرٍ، ولكنّ الله عز وجل حماه من مكرهم وكيدهم، يقول الصرصري[1]:

(الكامل)

ورمـــى اليَهــوديُّ الخَبيــثُ خبيئَـــهُ[2] مِـــن سِـــحْرِهِ فـــي بِئْـــرِ ذي أوْرانِ[3]

ليكيـــدَه فكفـــاهُ ربٌّ لـــمْ يَـــزلْ يَحْميـــهِ كيـــدُ السّـــاحِرِ الخَزيـــانِ

ولم يترك اليهود وسيلة تعذيب إلّا مارسوها ضد النبي صلى الله عليه وسلم مـــن ســـحر وسمّ وأذىً، ولكنّ ذلك لم يزده إلّا ثباتاً.

وتبقى صفة الغدر تلازم اليهود ، فقد غدروا بالشيخ الإمام الحسن بن علي[4]؛ لأنّ جماعة منهم أسلموا على يده ، فدعوه في يوم إلى بيت أحدهم وقدّموا له الكوارع التي يحبهـــا، فأكـــل وغاب ذهولاً، ثم أحضروا له الخمر فلم ينكر حضورها، وأداروها، ثـــم نـــاولوه منهـــا قـــدحاً فاستعمله تشبهاً بهم، فلما سكر أخرجوه على تلك الحالة، فسمع والـــي الشـــام بـــذلك، فـــذهب وأحضره، وظلّت الناس تعيّره بهذه الحادثة[5]، ومنه ما جاء في قول علاء الدين الوداعي[6]:

(مجزوء الرجز)

قـــالوا ابْـــنُ هـــودٍ قـــدْ غـــدا ســـكرانَ مـــنْ خمْـــرِ المعـــازفْ

وأُعيـــــــــــذُه لكنّـــــــــــهُ ســـكرانَ مـــنْ خمـــرِ المَعـــارفْ

وتظلُّ تلك القصة شاهدة على غدر اليهود، ومكرهم، وحِقدهم، فهم لا يحبون مسلما، وإنْ أظهروا ذلك.

---

[1] **ديوان الصرصري**، ص577.

[2] خبيئه: ما كان مخبوءاً من النبات، **لسان العرب**، مادة خبأ

[3] أصلها الأوار وهي شدة حرّ الشمس، يوم ذو أوار: ذو سموم وحرّ، **لسان العرب**، مادة أور.

[4] هو الإمام الفاضل بدر الدين، أبو علي بن عضد الدولة الحسن أخو المتوكل على الله، ملك الأندلس، أبو عبيد الله محمد أبو يوسف بن هود، كان شيخاً زاهدا، من كبار المتصوفين على طريقة الوَحدة، توفي سنة 699هـ، ودُفن بسفح قاسيون. يُنظر: الصفدي، خليل أيبك، **أعيان العصر**. ج2. ص200-202.

[5] يُنظر: الصفدي، خليل أيبك، **أعيان العصر**. ج2، ص202-203.

[6] **المصدر نفسه**، ص203.

ويكشف الشاعر غدر اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم في موضع آخر، حين يذكر تحذير الراهب بحيرا لأبي طالب ، فيقول[1]:

(الكامل)

وأسَرّ للعمِّ الشقيقِ بأنّ لابن أخيكَ شأناً في الوجودِ جليلا
فاحذر عليهِ منَ اليهودِ فإنّهُم إنْ يقدروا يوماً عليهِ اغتيلا

لقد كان تحذير الراهب لعمِّ الرسول عن قناعة وعلمٍ بأنّ الرسول، صلى الله عليه وسلم سيتعرض لغدرهم وأذاهُم، فلم يحذره من جماعة أخرى، ولم يرَ غير اليهود أهلاً للغدر والمكر والخداع.

ثم ينتقل ليشير إلى قصة غدر أخرى ، فيشير إلى غدرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق، فيكون جلاؤهم عن المدينة وعن خيبر جزاء لهم يقول[2]:

(الخفيف)

وَغدرتُمْ فقَد لبستُمْ بنقض العَهْد قبلَ ذلكَ الأوزارا
وجزاكمْ بغدرِكُمْ ناصِرُ الرُّسلِ، ولم يُبقِ منكُمُ ديّارا

ففي كل محاولة لإيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم، ينقلب غدرهم وبالاً، ونكالاً، بما يخطّطونه، وبما يريدونه،من فتك بالرسول، وبالمسلمين، وهذا ما حلّ بهم في غزوة الخندق.

والشاعر لا يشعر بالراحة والطمأنينة لبني يهود حين يدخلون حلب فهو يرى إضمارهم الشرّ والخبث لكل من يتعاملون معه، يقول[3]:

(الطويل)

متى دَخلَ الشّهباءَ منهمْ جماعةٌ لأشغالِهمْ يخلو بخاطريَ الفكرُ

---

[1] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص167.

[2] **المصدر نفسه**، ص324.

[3] **ديوان ابن الوردي**، ص296.

أقولُ عســاهُمْ أضــمروا لــي مكيــدةً   لعــلّ انحرافــاً أو بــدا لَهُــمُ غــدرُ

وابن الوردي يعلم أنّ اليهود سيغدرون به لا لخطأ أخطأه، وإنّما لعلمه بغدرهم، وبسبب أفعالهم الشنعاء، لا يثق ابن الوردي بهم فهو يخشى الذهاب لأطبائهم، يقول[1]:

(السريع)

هــذا اليهــوديُّ الطبيــبُ الــذي   لا طــوّلَ اللهُ لنــا فــي عمْــرِهْ

قــد أخــذَ الثــأرَ لآبائِــه   يــا قوَمنــا لا تُهملــوا أمــرَهْ

تخــافُ عليــه الشــمسُ مــن كحْلِــه   قائلــةً ربِّ اكفنــي شــرَّهْ

فعلى الرغم ممّا قيل عن براعة بعض أطباء اليهود وشهرتهم في مداواة الناس، إلّا أنّ ذلك لم يغيّر وجهة نظر الشاعر، فهو لا يزال خائفاً من غدرهم، وشرِّهم وهذا ما بدر من أحد أطبائهم وهو سعد الدولة اليهودي،حين ذهب يعالج أحد الولاة، فقد وضع سعد السم في الدواء لأرغون بن أبغا سنة 690هـ.

د. البخل

عُرف عن اليهود اتّصافهم بالبخل، وكان من أقذع ما قيل في الهجاء أبيات قالها ابن أبي الإصبع المصري[2] في رجل يهودي، وقد كان موقف أبي الأصبع من اليهود دائما موقف عداء، حيث امتاز بكراهيته لهم، وسخطه عليهم، فقد رماهم بالبخل، وقال هذه الأبيات هجاءً في يهودي فلّاح[3]، يقول[4]:

---

[1] **ديوان ابن الوردي**، ص264-265.

[2] هو الإمام العلّامة عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر البغدادي ثم المصري، المعروف بابن الإصبع، له تصانيف حسنة في الأدب، وشعره رائق، وُلِدَ بمصر سنة 589هـ، وتوفي بها سنة 654هـ. يُنظر: ابن شاكر، محمد بن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليها**. مج2. ص363-364، ابن تغري بردي الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ج7، ص37.

[3] يُنظر: ابن أبي الإصبع المصري، عبد العظيم بن عبد الواحد(ت654ه): **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**. ج2، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف.(د.ط). القاهرة، الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي. 1963م، ص34.

[4] **المصدر نفسه**، ص34.

(الطويل)

رأيــــتُ أبـــا الخيـــرِ ممســـكاً بقـــارورةٍ كـــالوَرْسِ[1] راقَ حليبُهـــا
وقدْ رشَّ منها فـوقَ صـفحةِ وجهِـه وقـالَ لقـدْ أحيـا فـؤاديَ طيبُهـا
فَقُلْـتُ لـهُ مـا هـذهِ قـالَ بوْلـةٌ لأسودَ يشـفي الـداءَ منّـي قضـيبُها
قريبـةُ عهـدٍ بالحبيـبِ وإنّمـا هوى كلِّ نفـسٍ حيـثُ حـلَّ حبيبُهـا

فاليهودي هنا شديد البخل، فهو يتعامل مع قارورة الحليب وكأنها طيب، فبـدلاً مـن أن يشرب منها، فإنه يرش على وجهه فقط حتى لا ينفد ما فيها، وإمعاناً من الشاعر في هجاء أبـي الخير اليهودي، فقد مرَّ به وسأله ما بها، وقد مال لونها للصفرة فأجابه أنّ ما بها بولٌ يستشـفى منه.

ويقف الشاعر ابن دانيال الموقف نفسه، فيجعل اليهود من أشدّ طبقات المجتمع بخلاً، لا يجودون لمتسولٍ بفلس واحدٍ، فقد قال على لسان أحد المتسولين في فرقة المشاعلية[2] التي ظهرت في العصر المملوكي[3]، يقول[4]:

(مجزوء الكامل)

هـاتِ اعطِنـي يـا سـيّدي يـا سـندي لا زلـتَ لـي
وإذا أتـى مـنَ اليهـو دِ ريسـاً ذا جَـذَلِ

---

[1] الوَرْس: نبات أصفر، مادة (ورس)، **لسان العرب**.

[2] المشاعلية هم الذين يحملون مشعلاً يوقد بالنار بين أيدي الأمراء لَيلاً، وقد اختلفت مهامهم ووظائفهم من عصر لعصـر، وكان من أهمها المناداة، والترهيب، وتنفيذ أحكام الإعدام، وتقدم المواكب السلطانية، وكسح الأفنية، وسلخ الماشية، وهداية التائهين في الليل، وتجارة الحشيش، وقد يكون المشاعلي مسلماً أو إفرنجياً أو يهودياً، وقد مارسوا التوسل، وكانـت لهـم طرقٌ عديدةٌ في التوسل من المسلم والنصراني واليهودي، وكانوا مهمشين في المجتمع المصري في العصر المملوكي على الرغم من امتهانهم العديد من الوظائف. يُنظر: كيرة، نجوى كمال: **المشاعلية وأثرهم في المجتمع المصري في العصـر المملوكي**، المجتمع المصري في العصرين المملوكي والعثماني، ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية تكريماً للعالم الكبير أندريه ريمون. تحرير: عبادة كحيلة. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. 2007م، ص87-112.

[3] **المرجع نفسه**، ص87.

[4] ابن دانيال، شمس الدين محمد: **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال. البابة الثانية(عجيب غريب)**. دراسة وتحقيق: إبراهيم حمادة. (د.ط). مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعـة والنشـر. (د.ت). ص226.

يقـــــولُ يــــا زيـــــنَ اليهـــــودِ فــــــــــي اليهـــــــــودِ الأُولِ
يـــــا نــــورَ شــــبونَ الكبـــــيسِ[1] بالقــــــــــديمِ الأزلـــــــــــي

ويبدو المتسول يستعطف اليهودي الغني، وينعته بأفضل صفات الإحترام والمودة حتـــى يجود له، ثم يستحلفه بعد ذلك بعيسى عليه السلام وبالوصايا العشر التي جاءت فـــي التـــوراة، وبيعقوب عليه السلام، فيقول[2]:

(مجزوء الكامل)

بنجـــــلِ عمـــــرانَ كلـــــيمِ اللّـــــــــهِ ربِّ الملَـــــــــلِ
بالعَشْــــــر كلمـــــاتِ التــــــي نـــــوجيَ بهـــا فـــي الجَبَـــلِ
أو بالأنـــــــاطيرِ[3] التـــــــي تفضـــــيلُها لـــــمْ يُجهَـــــلِ
مــــالِ يعقــــوبَ وإســـــرا ئيـــــلَ فـــــي التوسُـــــلِ

فلم يترك هذا المتسول وسيلة ولا دُعاء إلّا ودعا به هذا اليهودي المترف فقد حـــاول أنْ يضغط عليه من خلال استخدام العاطفة الدينية حتى يثير مشاعره ويجعله يتألم لتسوله، ثم يعطيه ما يريد، وفي نهاية المطاف يبدو أنّه قد يئس منه، واقتنع ببخله، فيقول[4]:

(مجزوء الكامل)

جُـــدْ لـــي بفلـــسٍ أحمـــرٍ كجمـــــرةٍ فـــــي مشـــــعلِ
ولا تُهملنـــــــي ولا تمطــــــلْ مطــــــــالَ البخـــــــلِ

وحين يشبّه الفلس الأحمر بجمرة في مشعل، يكشف حرفته التي يمضي مـــن خلالهـــا متسولاً مع فرقة المشاعلية، وفي نهاية استعطافه، ينعت هذا اليهودي بصفة المماطلة والوعـــود والأماني، وهذا يثبت بخله، في وقت لم تجدِ فيه كلّ التوسلات السابقة شيئاً.

[1] لم أعثر له على ترجمة.

[2] ابن دانيال، شمس الدين محمد:**خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، البابة الثانية (عجيب غريب)**. ص227.

[3] الكلمة لم توضع في المعاجم ولم يُشتق منها جذر.

[4] ابن دانيال، شمس الدين محمد :**خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، البابة الثانية (عجيب غريب)**، ص227.

وليس البخل غريباً عن اليهود فقد عُرفوا به منذ القدم، فقد كانوا يأمرون الأنصار من صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم بالبخل، وينهونهم عن أن ينفقوا أموالهم بحجة أنّهم يخشون عليهم الفقر[1]، فأنزل الله عز وجل فيهم: "الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، ويكتمون ما آتاهم الله من فضله"[2].

هـ. اللؤم والشماتة

إنّ كلّ أعمال اليهود البشعة وادعاءاتهم، وموقفهم من الأنبياء، تثبت أنّ حقداً ولؤماً تمكّن من قلوبهم، وأعمى بصيرتهم عن الحق،كما يقول البوصيري[3]:

(الخفيف)

لا تكذّبْ إنّ اليهودَ وقد زا   غوا عن الحقِّ معْشَرٌ لؤماءُ

فالشاعر ينهى أي قارئ لقصيدته عن تكذيب رأيه بأنّ اليهود لؤماء، ضلّوا عن طريق الحق، وعاندوه بعد أنْ عرفوه.

وفي سنة 654هـ، يحترق المسجد النبوي في المدينة المنورة، ويبدأ الحريق في زاويته الغربية من الشمال، بسبب دخول أحد القائمين عليه ومعه نار، فعلقت بالأبواب، واتصلت بالسقف، وأخذت قبلةً، فأعجلت الناس عن قطعها، فاحترقت كل سقوف المسجد[4]، فأخذ اليهود والنصارى يبثون الشائعات، وقد شمتوا لما حلَّ بالمسلمين، فانبرى البوصيري يدافع عن الإسلام من خلال قصيدته التي سمّاها"تقديس الحرم من تدنيس الضرم"، وكنّاها ب " أم النّارْين"[5]، وأخذ ينافح عن الرسول، ويبطل مزاعم اليهود والنصارى ويعيّرهم بماضيهم الأسود الذي مسخهم الله فيه إلى قردة وخنازير، يقول[6]:

---

[1] يُنظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: **سيرة ابن هشام**، ج2، ص188.

[2] **سورة النساء**، آية37.

[3] **ديوان البوصيري**، ص36.

[4] يُنظر: ابن كثير، أبو الفدا الحافظ الدمشقي: **البداية والنهاية**. ج13. ص192-193.

[5] يُنظر: **ديوان البوصيري**، ص63.

[6] **المصدر نفسه**، ص64.

(الطويل)

فَلَــوْ أنّكُــمْ خلــقٌ كــريمٌ مُسِــختُمُ بقــولِكُمُ لكــنْ بمــنْ يُمسَــخُ القــردُ؟
أتانـــا حـــديثٌ مـــا كرهنـــا بمثلِـــهِ لكُـــمْ فتنــــةً لمـــثلكُمُ حصْـــدُ
غُنيــتمْ فيــهِ عــن التّأويــلِ بظــاهرٍ ومنْ تركَ الصَّمصامَ لــم يُغنِــه الغِمْــدُ

ثم يشير إلى حقدهم ولؤمهم وقسوة قلوبهم، فيقول[1]:

(الطويل)

ومـــا ليّنــتْ نــارُ الحجــازِ قلــوبَكم وقدْ ذابَ منْ حرٍّ بهــا الحجَــرُ الصّــلْدُ

وقد فرح اليهود، وشمتوا بكل مصيبة كانت تقع على المسلمين في دنياهم وفي دينهم، فقد شمتوا بالمسلمين عندما تولى القضاء القاضي الرياحي المالكي[2]، على حلب عام 748هـ، لِمـا فعله من أفعال تخالف الدين الإسلامي، فقد أسقط في يوم مشهود تسعة من أعيان الشهود في عام 749هـ، فاستهجن منه ذلك ثم أعيدوا إلى عدالتهم ووظائفهم[3]. فردّ ابن الوردي عليه برسـالة طويلة، أثبتت في ديوانه اشتملت على الشعر والنثر، وقال يخاطبه[4]:

(الوافر)

لقـــدْ آذى الشـــهودَ بغيـــرِ حـــقٍّ فـــأيَّ النّـــاسِ مـــا رحِـــمَ الشُّـــهودا
أيرضـــى المســـلمونَ لهـــمْ بهـــذا وقـــدْ ســـرَّ النّصـــارى واليهـــودا

فكل ما يغضب المسلمين، يُفرح اليهود، فيشمتون بالمسلمين، ويتمنوْن لهم الشر والشقاء، والتفكك، والبعد عن الدين.

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص64.

[2] القاضي الرياحي المالكي هو شهاب الدين بن أحمد بن الرياحي، أول قاضٍ مالكي استقضى بحلب عام 748ه، يُنظر: ابن الوردي، عمر بن مظفر: **تتمة المختصر في أخبار البشر**. ج2، ص490.

[3] يُنظر: ابن الوردي ، عمر بن مظفر : **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج2. ص500.

[4] **ديوان ابن الوردي**، ص160.

وفي سنة 728هـ، عندما توفي ابن تيمية مسجوناً بقلعة دمشق حزن المسلمون أشدّ الحزن، وبكاه الجميع[1]، ولكنّ اليهود فرحوا بذلك لأنّهم عجزوا عن أن ينالوا منه، ولم يتجرؤوا الرد عليه حين حاججهم وردّ على معتقداتهم الباطلة ، فكتب ابن الوردي قصيدة يرثي بها الشيخ ابن تيمية، ويلوم الحاكم المملوكي ويصف شماتة اليهود قائلاً[2]:

(الوافر)

ويا فرحَ اليهودِ بما فَعَلتُمْ فإنّ الضدَّ يُعْجبُهُ الخُباطُ[3]

لذلك يعلنُ الشاعر بغضه لليهود في السرّ والعلن، لأنّهم لا ينوون إلّا الشر لكل مسلم حيث تمتلئ قلوبهم لؤماً وحقداً على الإسلام والمسلمين، فيقول[4]:

(الكامل)

أمّا النّصارى واليهودُ فخُصَّهُمْ بالمقتِ في الإعلانِ والإسْرارِ
أفيُضمرونَ لمسلمٍ حبّاً وقدْ شرقُوا ببغْضِ محمَّدِ المختارِ

فلو أراد اليهود الخير للمسلمين، لأحبوا رسولهم محمداً، صلى الله عليه وسلم، ولما أنكروا نبوته، ورشقوه والأنبياءَ بتهمٍ باطلة.

و. الحسد

إنّ استقراء التاريخ يثبت أنّ اليهود لا يريدون لأحد الخير ولا المال ولا الجاه، وإنّما يريدونه لأنفسهم فقط، وهذا دليل أنانية، وتعالٍ وغرورٍ، فمن شدة حبّهم للدنيا يعبدون الماس والذهب والفضة[5]، ويتمنون زوال النعمة عن غيرهم، ويحرصون على حياة،أي حياة حتى لو كانت حياة ذلّوإهانة ، لذلك قال عزّ وجلّ فيهم:(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ [6]).

---

[1] يُنظر: ابن الوردي، عمر بن مظفر: **تتمة المختصر في أخبار البشر**.ج2. ص406، **ديوان ابن الوردي**، ص266.
[2] **المصدر نفسه**، ص267.
[3] الخباط، داء كالجنون، **لسان العرب**، مادة خبط.
[4] **ديوان ابن الوردي**، ص314.
[5] يُنظر: الخولي، محمد علي: **اليهود من كتابهم**، ص154.
[6] **سورة البقرة**، آية 96.

وخير دليلٍ على حسدهم، أنّهم كانوا قبل بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إذا استنصروا به على مشركي العرب يقولون: "اللّهم ابعث هذا النّبي الذي نجده مكتوباً عندنا حتى نغلب المشركين ونقتلهم"، ولمّا بعث الله محمداً، ورأوا أنّه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب، وهم يعلمون أنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، فأنزل الله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)[2].وهذا ما خاطبهم به الشاعر الصرصري، عندما قال[3]:

(الكامل)

علِمَ اليهودُ الحقَّ ثمَّتْ أنكروا   حسَداً فأفسدَ علمَهُم إنكارُهُ

فقد أيقنوا بالحق، وأنكروه، وما ذلك إلّا لحسدهم، ففسد علمُهم لإنكارِ شيءٍ واضحٍ، أيقنوا به.

وهذا البوصيري يخاطبهم مستنكراً حسدهم، فيقول[4]:

(الخفيف)

ما لكمْ إخوةَ الكتابِ أناساً   ليسَ يُرعى للحقِّ منكُمْ إخاءُ
يحسُدُ الأولُ الأخيرَ وما زا   لَ، كذا المحدثونَ والقُدماءُ

فلم يراعِ اليهود والنصارى حقوق المسلمين، وإنما يحسدونهم، فالحسد قائم منذ الخليقة، اتّصف به القدماءُ والمحدثون، ولكنّ اليهودَ تميزوا به عن غيرهم، فقد حسدوا عيسى ،عليه السلام ولم يؤمنوا، بنبوته وقتلوه على حد زعمهم، ثمَّ حسدوا الرسول صلى الله عليه وسلم[5].

---

[1] يُنظر: ابن تيمية، تقي الدين أحمد: **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، مج1 ، جمع وترتيب عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم العاصي النجدي الحنبلي. . ط1، الرياض: مطابع الرياض 1961م، ص297.

[2] **سورة البقرة**، آية89.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج2. ص104.

[4] **ديوان البوصيري**، ص14.

[5] يُنظر: الهيتمي، أحمد بن محمد: **المنح المكية في شرح الهمزية**، ج2. ص833.

وهذا طبعهم وَخلقهم، لا يحيدون عنه انفكاكاً، لأنّ قلوبهم مفرغة من الإيمـــان؛ ولأنهـــم متكالبون على الحياة الدنيا، ولا يُفكرون بموت ولا بحساب.

فقد عرفوا رسول الله، واختاروا الهلاك على النجاة والإيمان، يقول الشهاب محمود[1]:

(الخفيف)

عرفـــــوهُ اليهـــــودُ، واســـــتبقوهُ   واســـتخاروا علـــى النِّجـــاةِ البـــوارا
حســـداً مـــنهُمُ، وقـــد علِـــمَ الأعـــــ   لامُ مـــــنهُمْ أنّ الهُـــدى لا يُـــوارى

فقد علموا أنّ دين الإسلام هو دين الحق، وعلى الرغم من ذلك، ضلّوا وحادوا عن الحق حسداً للعرب والمسلمين.

فكان نتيجة ذلك غضب الله، وسخطه عليهم حتى يوم الدين، يقول الشهاب محمود[2]:

(الخفيف)

حسَـــداً مـــنهمْ وبغيـــاً، فراحُـــوا   تحْـــتَ سُـــخْطِ الإلــــهِ شـــرَّ رَواحِ

وعلى الرغم من نصيحة أحبارهم لهم بضرورة الإيمان بمحمدٍ صلى الله عليـــه وســـلم، بعدما وجدوه في كتبهم، إلّا أنّهم أصرّوا على الكفر حسداً، يقول الشاعر ابن جابر الأندلسي فـــي ذلك[3]:

(الطويل)

لأحبارِهمْ فـــي حسْـــنِ أخبـــارهِمْ نَبَـــا   نبـــا عنـــهُ حـــدُّ الحاسِـــدِ المتـــأوِّلِ

وكان من نتيجة اتصافهم بالصفات السلبية السابقة، أنْ ضرب الله عليهم الذلة والمســـكنة بعدما غضب عليهم، وهذه صفة أخرى ظهرت في شعر شعراء العصر المملوكي الأول.

---

[1] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**،ص324.

[2] **المصدر نفسه**، ص350.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**. ج3. ص353.

ز. الذُّل والهوان

لقد ضرب الله على اليهود الذلّ والهوان أينما وُجدوا، فلم ينتصروا لا على العــرب ولا غيرهم، وإنّما قاتلوا مع حلفائهم قبل الإسلام، وقد أذلهم الله من وقت أن بعث الله المسيح عليــه السلام فكذبّوه[1].

فقد أذلهم الله في مواطن كثيرة، وأكبر ذل لحق بهم على أيدي المسلمين فــي معركــة الأحزاب، بعد غدرهم بالرسول ،صلى الله عليه وسلم، فكان نتيجة ذلك قتلهم وتشريدهم، وتدمير بيوتهم، وجلاؤهم، يقول البوصيري واصفاً حالهم[2]:

(الخفيف)

وكســاهُمْ ثــوبَ الصَّــغارِوَقَدْ طُلْــــ لَــتْ دِمــاً مــنهُمْ وصــينتْ دمــاءُ

فقد أذلهم الله، بعد أن قُتلَ منهم من قُتِل، وهرب منهم كثيرون خبثاً ورعباً وحبّاً في حياة الذلِّ، وحرصاً على أرواحهم، فأعلنوا استسلامهم وهربوا.

وقد كُتب عليهم الذلُّ في جميع العصور منذ أن خلقهم الله، وحتى قيام الســاعة، حيــث أصبح الشعراء لا يترددون عن ضرب الأمثال بذلهم وانكسارهم، إذا أرادوا الحديث عن موقف ذل أو إهانة، وهذا ما ظهر في قول الشاعر ابن دانيال يصف فقره، وأثرَ ذلــك فــي صــغاره، فيقول[3]:

(الخفيف)

وصِــغاري مثــلُ اليهــودِ بــذلٍّ تشــتهي لَــوْ أتيــتُهُمْ بعلامَــهْ
لوْ رأَوا حَــرْفَ كِسْــرةٍ مِــنْ رغيــفٍ جعلــوهُ لَــدَيْهِمُ شــمَّامهْ

[1] يُنظر: ابن تيمية، تقي الدين أحمد: **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**. ج2. ص301.

[2] **ديوان البوصيري**، ص14.

[3] **المختار من شعر ابن دانيال**، ص252.

فالشاعر عندما أراد أن يصور ذلّ أطفاله، وجوعهم وبحثهم عن كسرة خبز لم يحضر في ذهنه إلّا صورة انكسار اليهود وذلّهم، فقد نزع الله العزة من نفوسهم، وقلوبهم، واختص بها عبادهُ المؤمنين.

ويقف الشهاب محمود الحلبي، عند إجلاء بني النضير عن المدينة المنورة بعد محاولتهم الغدر بالرسول صلى الله عليه وسلم، ويصف ذلّهم وهوانهم، قائلاً[1]:

(الخفيف)

وجُليتُمْ عنْ أرضِكُمْ قبلَ ذاكَ الـ يومِ هُوناً وذلّةً وصَغارا

فكان ذلك بما كسبت أيديهم من غدر وخديعة، ومحاولة للفتك بالرسول صلى الله عليه وسلم.

ووقف أيضاً الشاعر ابن سيد الناس اليعمري، عند هذه الحادثة، وقد خذل الله الكفار في معركة الأحزاب، ونصر المسلمين، يقول[2]:

(البسيط)

وحزّبوا بعدَها للحرب وانْصَرَفوا مِنْ غيرِ حَربٍ وحزبُ الكفرِ مخذولُ
مِنْ بعدِ ريحٍ وجُنْدٍ لا تُرى وبِهِمْ وباليهودِ تباريحٌ وتخذيلُ

فقد اشتعلت النار في قلوبهم[3]، وخذلوا وذلّوا بعدما تحزّبوا ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل الله الريح تقتلع حصونهم وبيوتهم وأشجارهم، وتذري الرماد في وجوههم، وأنزل الله معجزاته لجنوده الذين قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتصروا على المشركين.

فلقد استحق اليهود الهوان والصَّغار بما فعلوا، فصدق تعالى عندما قال فيهم: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ[4]).

---

[1] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص324.
[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل، **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**. ج3، ص66.
[3] **المصدر نفسه**، ص66.
[4] **سورة البقرة**، آية61.

بناء على ماسبق، يمكن القول إنّ الشعراء لم يقفوا على أيّة صفة إيجابية لليهـــود، ولـــم ينعتوهم بأيٍ من الأخلاق الفاضلة، بل صوّروهم بأبشع الصور، وكانوا يستمدون صورهم، من حوادث تاريخية أساء فيها اليهود لأنفسهم، قبل أن يسيئوا للمسلمين، حتى أصبحوا مضرباً للمثل في الأخلاق السيئة، والصفات السلبية،بسبب ما اتهموا الأنبياء به زوراً، وبما قتلـــوا متعمّـــدين، وبما كسبت أيديهم.

الفصل الرابـع

الدراسة الفنيـة

الفصل الرابع

الدراسة الفنية

أ. بنية القصيدة

اهتم النقاد ببنية القصيدة، واعتنوا بعناصرها وهي: المطلع، والمقدمة، وحُسن التخلص، والمضمون، والخاتمة[1].

أمّا المطلع، فقد عني الشعراءُ بمطالع قصائدهم منذ القديم، وعني بها النقاد، فاستحسنوا وأشادوا، أو استقبحوا وذمُّوا، وكانوا يعدّون المطالع من أهم مواطن الإجادة في القصيدة، فالمطلع ذو صلة وثيقة بمضمون القصيدة[2]، فلا بد للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله مما يُتطير به من الكلام والمخاطبات، كذكر البكاء ووصف إقفار الديار، لا سيما في قصائد المديح والتهنئة، و يمكن أن تُستعمل هذه المعاني في المراثي والخطوب[3]،"فإنّ حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح، والشعر قفل أوله مفتاحُه"، لذلك ينبغي للشاعر أن يجوّد ابتداء شعره؛ فهو أول ما يقرع الأسماع[4]. ويسمى المطلع أيضاً براعة الإستهلال، وحسن الابتداءات، وهو أن يكون مطلع الكلام دالّاً على المقصود من حسن الإبتداء[5]، فإن كانت القصيدة مديحاً صرفاً لا يختص بحادثة معينة فهو يخير بين افتتاحها بالغزل، أو ارتجال المديح من أولها، فإذا

---

[1] يُنظر: عبد الرحيم، رائد: **فنّ الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي الأول**. ط1. عمان: دار الرازي، 2003م، ص303.

[2] يُنظر: عبد المهدي، عبد الجليل حسن: **بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية**. ط2. عمان: دار البشير، 1995م، ص241.

[3] يُنظر: العلوي، محمد أحمد بن طباطبا(322ه): **عيار الشعر**.. تحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعة: نعيم زرزور، ط1،لبنان: دار الكتب العلمية، 1982م، ص126، ابن الأثير الحلبي، نجم الدين أحمد بن إسماعيل(ت737هـ): **جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة)**، تحقيق: محمد زغلول سلام. (د.ط) الإسكندرية: المعارف. (د.ت)،ص218.

[4] يُنظر: ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن(ت456هـ): **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**. ج1، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط3. مصر: السعادة. (د.ت). ص217.

[5] يُنظر: ابن الأثير الحلبي، نجم الدين أحمد بن إسماعيل: **جوهر الكنز**، ص218.

كان الإبتداء لائقاً بالمعنى الوارد توفرت الدواعي إلى استماعه[1]، وقد اتفق علماء البديع على أنّ براعة المطلع تعني أن يستهلّ الشاعر قصيدته بالمعاني الواضحة وأنْ يَجتنب الحشو فيها، ولا بدّ أن يجتهد الناظمُ في تناسب قسميه، بحيث لا يكون شطره الأول أجنبياً عن الثاني[2].

وقد بلغت درجة عناية النقاد بمطالع القصائد مبلغا جعلهم يضعون أسساً وشروطاً لا بد أن يقوم المطلع على أساسها، فلا بدّ أن يكون حسناً بديعاً، وفيه تنبّهٌ وإيقاظٌ لنفس السامع، وأن يكون مطابقاً لمقتضى الحال، بعيداً عن التعقيد، وأن ينفرد الشاعر باختراعه بحيث يكون نادراً، ولا بد أن يكون خاليامن المآخذ النحوية، وأن تراعى فيه جودة اللفظ والمعنى معاً[3]، وأن يكون المعنى تام الموسيقى بالتصريع، بحيث يستوي آخر جزء في صدر البيت، وآخر جزء في عجزه وزناً ورويّاً[4].

وفي قصائد الشعراء المملوكيين الذين تحدثوا عن اليهود، تنوعت المطالع حسب مضمون القصائد، فقد جاء الحديث عن اليهود، وحياتهم، وصفاتهم في سياق قصائد المديح النبوي.

يقول البوصيري في قصيدة له يفتتحها بالاشتياق واللوعة لزيارة الديار الحجازية، قبل البدء بمديح المصطفى صلى الله عليه وسلم[5]:

(البسيط)

رَكْبَ الحجازِ ومنكَ الخيرُ مأمولُ　　　هلْ عندكَ اليومَ للمشتاقِ تنويلُ؟

---

[1] يُنظر: ابن الأثير الموصلي، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم(ت 637هـ): **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. ج2. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ط). (د.م). (د.ت)، ص236-237.

[2] يُنظر: الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن حجة(837ه): **خزانة الأدب وغاية الأرب**. مج1. طبعة أخيرة. شرح: عصام شعيتو. (د.م): دار مكتبة الهلال، دار البحار. 2004م، ص19.

[3] يُنظر: بكّار، يوسف حسين: **بناء القصيدة العربية**: (د.ط). القاهرة: دار الثقافة، 1979م، ص269-275.

[4] يُنظر: بدوي، أحمد أحمد: **أسس النقد الأدبي عند العرب**. (د.ط). (د.م): نهضة مصر. (د.ت). ص307.

[5] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**. ج3. ص32.

وقد زاد التصريع" مأمول، وتنويل" من جمال المطلع، وممّا أضفى جمالاً آخر استخدام الشاعر أسلوب النداء" ركبَ" مع حذف الأداة، وأسلوب الاستفهام في عجز البيت، فهذه الأساليب كما يقول ابن الأثير توقظ السامعين وتشد انتباههم[1].

وما يدل على أنّ الشعراء نوّعوا في مطالع قصائدهم، واهتموا بها أنّ البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمُها، يغاير في مطالع قصائده المدحية وينوع فيها، ففي همزيته المشهورة، يأتي المطلع متناسباً مع غرض القصيدة، حيث يخاطب فيه الشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، ويميّزه عن بقية الأنبياء، يقول[2]:

(الخفيف)

كيفَ ترقى رُقيَّك الأنبياءُ　　　يا سماءً ما طاولتْها سماءُ؟

فالشاعر يجعل من الرسول صلى الله عليه وسلم سماءً شامخةً، لا تطالها أي سماء أخرى،وقد أراد بذلك أن منزلته لن تصل إليها أي منزلة من منازل الأنبياء، والمطلع شائقٌ، يشدُّ انتباه السامع، باستخدام الشاعر أسلوبي الاستفهام والنداء فهما يدلّان على عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكرار كلمة" سماء"، ويبدو الحسّ الموسيقي واضحاً من خلال أسلوب التصريع، والبعد عن الغموض والتعقيد.

أمّا في ردّه على النصارى واليهود، فإنّه يختار المطلع الملائم لحالته النفسية الغاضبة، التي تريد أن تشفي غلّها بمجادلة النصارى واليهود، فيفتتح قصيدته "المخرج والمردود، على النصارى واليهود"، بنقض ادّعاءاتهم الباطلة، ممهداً لمضمون القصيدة وغرضها، يقول[3]:

(الكامل)

جاءَ المسيحُ مِنَ الإلهِ رَسولا　　　فأبى أقلُّ العالمينَ عُقولاً

---

[1] يُنظر: ابن الأثير الموصلي، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. ج2. ص224.

[2] **ديوان البوصيري**، ص1.

[3] **المصدر نفسه**، ص127.

فقد بعث الله عيسى عليه السلام رسولاً، ولكنّ قومه رفضوا أن يصدّقوه، وقـالوا فيـه بهتاناً عظيماً، والشاعر يسخر من جهلهم ومن عقولهم.

وكان الشهاب محمود الحلبي من شعراء المديح النبوي الذين أفردوا قسماً لا بأس به من أشعارهم لمجادلة اليهود ومخاطبتهم، وقد اهتم الشاعر بمطالع قصائده ومقدماتها ونوّع فيها، فقد افتتح قصيدة له في مدحه الرسول صلى الله عليه وسلم، قائلاً[1]:

(الخفيف)

هل لعيني في ظلِّ رامةَ هَجعهْ، أمْ لعيشي بأرضِ طيبةَ رجعهْ؟

فقد استخدم الشاعر أسلوب الاستفهام الذي خرج إلى التمني في مطلع قصيدته، واعتنى بموسيقاه من خلال التصريع، والألفاظ المتشابهة في الأصوات مثل كلمتي" رامة، وطيبة"، فالجوّ الموسيقي يضفي على نفس السامع شعوراً يجعله يعايش الشاعر بتجربته، ورغبته في العيش في أرض مكة ليمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يرى الأرض التي أقام فيها.

أمّا ابن الوردي، فقد رثى ابن تيمية عندما توفي مسجونا في قلعة دمشق في سنة ثمـان وعشرين وسبعمائة، وكشف عن خبث اليهود وشماتتهم بموته، فقد آذاهـم فـي حياتـه بعلمـه ومنطقه، وقوة جداله ومحاجته لهم، وكان ابن الوردي ممّن خط قصيدة تمتلئ بمعاني التفجـع والأسى، وقد جاء مطلعها موافقاً في معناه لمضمون قصيدة الرثاء، فلم يقدّم بغزل، ولم يبتعد عن الموضوع الرئيس، ولكنه صبّ جام غضبه على أعداء العلّامة ابن تيمية، فنعتهم بنعوت تكشف قسوتهم في التعامل مع الشيخ، يقول[2]:

(الوافر)

عثا في عَرْضِهِ قومٌ سِلاطٌ لهُمْ مِنْ نثرِ جوْهَرِهِ التقاطٌ

---

[1] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص363.

[2] **ديوان ابن الوردي**، ص266.

فالشاعر يهجوهم وينعتهم بالتسلط، وقد عاثوا فساداً، وقد زادت الصورة الفنية من جمال المطلع عندما صوّر الشاعر ابن تيمية بالجواهر التي كانوا يستفيدون منها في صناعة عجلهم الذي عمله لهم السامري.

ورثى ابن فضل الله العمري ابن تيمية بقصيدة طويلة، يتخللها شتمٌ لليهود ولصفاتهم، ويتأنّق الشاعر في اختيار مطلعها، لا سيما الصور الحزينة، التي تقطع نياط القلب، حزناً وألماً لموت علم وعلّامة،كان له أثر بارزٌ في مجادلة اليهود والحطّ من قدرهم، يقول[1]:

(البسيط)

أهكذا بالدّياجي يُحجَبُ القمرُ ويُحبَسُ النّوءُ حتّى يذهبَ المطرُ؟

فقد استخدم الشاعر أسلوب الاستفهام الذي خرج إلى التفجع والحسرة على ما حلَّ بسبب وفاة ابن تيمية، حتى بدت مظاهر الطبيعة متأثرة بذلك، فقد تحول اللّيل إلى ظلام دامس بغياب القمر، وحُبست الأمطارُ، وكأنّ الخيرَ قد رُفع عن الناس لأجل وفاة شيخ الإسلام، فقد جاء الكلام مطابقاً لمقتضى الحال من الألم والحسرة والفاجعة، وأسهمت الصورة الفنية المستمدة من الطبيعة في زيادة جمال المطلع.

ولم يقتصر شعراء العصر المملوكي الذين تحدثوا عن اليهود في شعرهم على افتتاح قصائدهم بالمطالع، وإنّما افتتحوا بعضها بمقدّمات غزلية وخمرية جرياً على عادة الشعراء الجاهليين. لذلك فإنّ النقاد عندما تناولوا مقدمة القصيدة، نظروا إليها من خلال القصيدة الجاهلية، واستمدوا منها قواعدهم، وبنوا عليها أصولهم، ولم تخرج تفسيراتهم لها عن إطار القصيدة القديمة وحدودها[2].

---

[1] المقريزي، تقي الدين أحمد(**ت 845هـ**): **المقفّى الكبير**، ج1. تحقيق: محمّد البعلاوي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1991م، ص475. غريب، علي محمد علي: **شعر ابن فضل الله العمري**، ص67.

[2] يُنظر: بكّار، يوسف حسين: **بناء القصيدة العربية**، ص279.

وعدّ ابن رشيق الشعر الذي لا يُفتتح بالنسيب، وثباً وقطعاً وبتراً، واقتضاباً، وجعل القصيدة كالخطبة البتراء والقطعاء، وهي التي لا يُبتدأ فيها بحمد الله عز وجل[1].

أمّا المقدمات التي ستتناولها الدراسة، فإنّها جاءت مقدمات لقصائد قيلت في المديح النبوي، وقد دعا ابن حجة الحموي هؤلاء الشعراء أن يكون غزلهم هذا محتشماً متأدباً، يتضاءل فيه التشبيبُ[2].

وقد ظهرت مقدمات غزلية يُظهر الشاعر فيها شوقه للديار المقدسة[3]، وهذا ما ظهر في قصيدة الصرصري التي يمدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد تكونت من ثلاثة عشر بيتاً، تخلّص فيها الشاعر إلى مدح الرسول عليه السلام، وليؤكد أنه تجشّم الأهوال واحتمل المصاعب فقط لرؤية رسول الله عليه السلام، يقول[4]:

(الكامل)

ما بالُ أنفاسِ النّسيم إذا سَرَتْ	**سَحَراً على ميْتِ الصَّبابةِ أنْشَرَتْ**
ما ذاك إلاّ أنّها مرّت على	**رنْدِ[5] الحجازِ وبانِه فتعطّرتْ**
حَملتْ إلى المشتاقِ منهُ رسالةً	**عَنْ عَرْفِ من يهوى بصدقٍ أخبَرْتْ**
نفَتِ الأسى عنهُ فيا لكِ نفحةً	**رَدّت ثقيلَ الخطبِ عنهُ وما دَرتْ**

يتغزل الشاعر بالأماكن المقدسة، ويصف شوقه لها، وولعه بها، ويذكر ما يعتريه من هياج المشاعر عند ذكرها، وقد جاءت على صيغة أسلوب الإستفهام[6]، فالشاعر يكابد العشق والشوق وقت السحر، فتهب نسائم الحجاز لتوصل إليه رسالة عن حبيبه الذي اشتاق له، فتكون رسالة النسائم علاجاً له من كلّ داءٍ، وتردّ عنه الخطوب والمصائب.

---

[1] يُنظر: ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن: **العمدة**. ج1. ص231.

[2] يُنظر: الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن حجة: **خزانة الأدب وغاية الأرب**، مج1. ص36.

[3] يُنظر، شبيب، غازي: **فنّ المديح النبوي في العصر المملوكي**، مراجعة ياسين الأيوبي، ط1، بيروت: المكتبة العربية، 1998م، ص61.

[4] النبهاني، يوسف بن إسماعيل : **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**. ج1، ص504.

[5] الرَّند: شجر طيب الرائحة. **لسان العرب**، مادة (رَنَدَ).

[6] يُنظر: صالح، مخيمر: **المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري**، ص213،212.

فقد تعلّق المتصوفة بالأماكن المقدسة، فهي التي شهدت البعثة والوحي، واتصال الأرض بالسماء، فقد كان الشعراء يرسلون أشواقهم وحنينهم إلى الأرض المقدسة، عندما يكونون بعيدين عنها، فيحملون أشواقهم للراحلين إليها، أو للبرق والنسيم، وعندما اتسع المديح النبوي ورسخ فنا مستقلاً، صار ذكر الأماكن المقدسة أصلاً من أصول هذا الفن، ومن لوازمه، يقدم به الشعراء لقصائدهم[1].

ويظهر النسيب بشكل آخر في مقدمة القصيده النونية لابن قيم الجوزية، فقد قدّم لها بتسعة وثلاثين بيْتاً من النسيب جرياً على عادة الشعراء في ذلك، ولم يعنِ الشاعر بالمحبة إلّا ما يتعلق بالمطالب العالية، والمعاني الشريفة التي تحبّها القلوب، وتسهر اللّيالي لأجلها، وحكم طلبها وطيد الأركان ثابت الدعائم[2]، يقول فيها[3]:

(الكامل)

حُكْمُ المَحَبَّةِ ثَابتُ الأركَانِ ... مَا للصُّدُودِ بِفَسْخِ ذَاكَ يَدَانِ
أنّى وَقَاضِي الحُسنِ نفّذ حُكمَها ... فَلِذَا أَقَرَّ بِذَلِكَ الخَصمانِ
وَأَتَت شُهُودُ الوَصلِ تَشهَدُ أنّه ... حَقًّا جَرَى فِي مَجلِسِ الإحسانِ
فتأكّدَ الحُكمُ العزيزُ فَلَم تَجِد ... فَسخُ الوُشَاةِ إلَيهِ مِن سُلطَانِ

ثم ينتقل بعد أن ينتهي من مقدمته، إلى موضوع القصيدة وهو الردُّ على الفرق الضّالة من الجهمية، والمعتزلة، ومن شاكلهم، ويصوّرهم باليهود في جحودهم وتعطيلهم دين الله، والقصيدة طويلة.

وكان ابن سيد الناس اليعمري من الشعراء الذين تحدثوا عن اليهود في قصائد المديح النبوي ولكنّه قدّم لقصيدته بمقدمة طللية حاكى فيها أسلوب الجاهليين، يقول[4]:

---

[1] يُنظر: محمد، محمود سالم: **المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي**، ، ط1. لبنان: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، 1996م. ص174، 179، 181.

[2] يُنظر: هراس، محمد خليل: **شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيم الجوزية**، ج1. (د.ط)، القاهرة: مكتبة ابن تيمية. 1986م، ص20-21.

[3] ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، ص31.

[4] **ديوان بشرى اللبيب بذكرى الحبيب**، ص214.

(البسيط)

كَفَى مِنَ الدَّمْعِ يَـوْمَ البـيْنِ مـا وَكَفَـا فما عَلى سـائِقِ الأظْعـانِ لـو وَقَفَـا
بـانوا فَـلا طَمَـعٌ يُجْـدي وَلا جَـزَعٌ يُخشى وما نِلْتُ إلّـا النَّـوْحَ والأسَـفا
ناديْتُ صَـبْري فَلبّـاني الغـرامُ بِهِـمْ ربْـعُ التَّصـبُّرِ بعْـدَ الظّـاعِنينَ عَفـا

وقد وصلت مقدمته إلى ثلاثة عشر بيتاً، فالشاعر يطلب من سائق الإبل أن يقف على أطلال محبوبته الراحلة، ويريد أن يتوقف عن البكاء، فقد ذرف الكثير من العبرات، بعد أن فارقته المحبوبة، وهو مؤمنٌ أنّ الدموع لن تجدي نفعاً بعد رحيلها، فليس له إلّا الصبر والتجلّد، ولكنّ غرامه وهيامه بمن رحلت يمنعانه من الصبر.

وقدّم الشعراء لقصائدهم بالحديث عن الخمر، يقول الشهاب محمود الحلبي[1]:

(الخفيف)

طالَ ليلُ النّـوى، فهـل مِـن بـراحِ، لِـدُجى طـالَ عهـدُه بالصـباحِ؟
ركـدتْ أنجـمُ البعـادِ بـه عِنـ دي، كـأنْ لـم يُـؤذَنْ لهـا بـالرَّواحِ
بـتُّ فيـهِ أعـاقِرُ الوجـدَ، نـدما ني أنينـي، وكـأسُ شـكوايَ راحـي
أرتجـي والـدجى بهـيمٌ، سـناً يبـ دو لفجـرِ التواصـلِ الوضّـاحِ
أسـرتني غياهـبُ البُعـدِ والصّـ دِّ، فَهَـلْ لـي مبشّـرٌ بسـراحي؟

يظهر الشاعر عاشقاً يشكو البعاد، ويشعر بطول الليل، ويتمنى أن يأتي الصباحُ، ولكنّ نجومه ثابتة، لا تزول، والشاعر يعاقر الخمر، ولكنّ خمره من نوع مختلف، فالشكوى خمره الذي يخفّف عنه، أمّا نديماه، فهما ليسا بشراً، وإنّما صوته أنينه، وتأوّهاته التي تخرج زفرات قتّالة بسبب نار العشق التي تضطرم في داخله، فالشاعر أسير البعد مسجون العشق والغرام، فكلّ هذه الشكوى تقدم بها ليصل إلى غرضه في المديح النبوي.

ويظهر من خلال ما سبق أنّ الشعراء قد التزموا الألفاظ المحتشمة المؤدبة في مقدماتهم الغزلية التي قدّموا بها لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم لم يجدوا وسيلة أفضل من ألفاظ

---

[1] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص346.

الحب والتغزّل، لتعبر عن شوقهم للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وجاءت ألفاظهم شبيهة بألفاظ الغزل العذري العفيف، فبدت عاطفتهم جياشة صادقة تظهر تعطشهم لزيارة المدينة المنورة والرسول محمد صلى الله عليه وسلم[1].

أمّا التخلص، فقد اهتم به النقاد العرب، وكان اهتمامهم به نابعٌ من حرصهم على وحدة القصيدة وتلاحم أجزائها[2]،وسمّاه ابن رشيق الخروج وهو" أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيّل، ثم تتمادى فيما خرجت إليه"، والأوْلى عنده في الشعر أن يُسمى تخلصاً[3].ويكون التخلص في النظم والنثر بحيث يخلص الأديب من معنى إلى آخر مخلصاً سهلاً، حتى لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلّا وقد وقع في الثاني، فقد يتخلص من نسيب، أو فخر، أو وصف طلل إلى مدح أو هجاء أو وصف[4]، ولا بد أن تأخذ المعاني برقاب بعض، من غير أن ينقطع الكلامُ، وهذا يدل على حذق الشاعر، وقوة تصرّفه[5].

وقد دعا النقاد إلى ضرورة مراعاة غير أمر في التخلص، مثل التحرز من انقطاع الكلام ومن التضمين، والحشو[6].

وقد أحس شعراء العصر المملوكي في قصائدهم التي تحدثوا فيها عن اليهود بعد أن قدّموا لذلك بمقدمات غزلية وخمرية، حيث أجاد ابن سيد الناس التخلص في قصيدته التي افتتحها

---

[1] يُنظر: الهيب، أحمد فوزي: **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء**. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1986م، ص117.

[2] يُنظر: أبو هلال،الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(ت395ه): **الصناعتين الكتابة والشعر**، تحقيق : علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط1 ،القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، 1952م ،ص442.

[3] يُنظر: ابن رشيق القيرواني: **العمدة**، ج1، ص234-237.

[4] يُنظر: الغرناطي، أبو جعفر شهاب الدين أحمد يوسف الغرناطي (ت 779هـ): **طراز الحلّة في شفاء الغلّة، شرح الحلة السيرا في مدح خير الورى**، بديعية نظمها الإمام ابن جابر الأندلسي، تحقيق: رجاء السيد جوهري(د.ط) (د.م) (د.ت)، ص248.

[5] يُنظر: ابن الأثير: **المثل السائر**، ج2، ص258-259.

[6] يُنظر: قلقيلة، عبده عبد العزيز: **النقد الأدبي في العصر المملوكي**. ط1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. 1972م، ص405.

بمقدمة غزلية، وانتقل بعد أن قدّم بثمانية وعشرين بيتاً إلى موضوع القصيدة وهو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومما جاء في مقدمته الغزلية[1]:

(البسيط)

قَلبـــي يـــا أُهَيْـــلَ الحـــيِّ مـــأهولٌ وحَبْلُـــهُ بأمـــاني الوصْـــلِ موصـــولُ
ولستُ ألـــوي علـــى عُـــذرٍ ولا عَـــذَلٍ ففـــي المحبِّـــة مَغْـــدورٌ ومعـــذولُ
يا خاليَ القلـــبِ قلبـــي فـــي مَحَبَّـــتِهِمْ لـــكَ السّـــلامةُ مَشـــغوفٌ ومَشْـــغولُ

ثم يُحسنُ الشاعر التخلص من معاني الشوق والاشتياق، وسفح العبرات، ليؤكد فرحتـــه برؤية أعلام النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة الكعبة المشرفة، فيقول[2]:

(البسيط)

وكلّما ضَـــنَنْتُ مـــن دمـــعٍ يُضَـــنُّ بـــهِ علـــى العقيـــقِ تـــراهُ وهْـــو مَبـــذولُ
إذا بـــدتْ لـــكَ أعـــلامُ النبـــيِّ بهـــا وشـــملُها بـــرداءِ المجْـــد مشـــمولُ

فالشاعر يبذل دموعه ورعاً وخشيةً من الله عز وجل، وهو يمدح المصطفى صـــلى الله عليه وسلم ويرى أعلامه قد بدت، ملتحفة بإزار المجد والعزّ.

ثم يسهب الشاعر في موضوع قصيدته فيفصّل القول في معجزاته صلى الله عليه وسلم.

أمّا ابن نباته، فقد أحسن التخلص بعد أن قدّم لقصيدته المدحية بمقدمة غزلية، جاء فيهـــا قوله[3]:

(البسيط)

مـــا الطّـــرْفُ بَعْـــدَكُمُ بـــالنّوم مَكحـــولُ هـــذا وكـــمْ بيْننـــا مـــن رَبْعِكُـــمْ ميْـــلُ
يا باعثينَ سُـــهاداً لـــي وفـــيْضَ بكـــىً مَهْما بَعَثْـــتُمْ علـــى العَيْـــنينِ مَحْمـــولُ

---

[1] **ديوان بشرى اللبيب بذكرى الحبيب**، ص242.

[2] **المصدر نفسه**، ص242.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج3. ص85،83.

وَرُبَّ عاذِلــــــةٍ فيمـــــــا أُكابِــــــدُهُ وَقَلَّمـــــا قَبِـــــلَ التَّحــــذيرَ مَعْــــذولُ
وَهَلْ أُرى حامِلَ الرّجْــوى كــأَنّي مِــنْ شَوْقي وَمِنْ ولَهــي بــالقُرْبِ محمــولُ

ثم يُحسن تخلّصه من معاني الشوق والمعاناة ليقول[1]:

(البسيط)

إنْ لم أنلْ عَمَــلاً أرْجــو النّجــاةَ فَلــي مـــنَ الرســـولِ بـــإذن اللهِ تنويـــلُ

فكأن بكاءه واشتياقه وشكواه، كانت لأجل ارضاء الرسول صلى الله عليه وسلم، بمدحه وذكر صفاته ومعجزاته، فالشاعر يهرب من همومه وآلامه، ويعزّي نفسه بمدح الرسول الــذي سيخفف عنه المتاعب والمصاعب، فيقول[2]:

(البسيط)

حسبي مــديحُ رســولِ اللهِ بــابَ نجــاً يُرجــى إذا اعْترضَــتْ تِلــكَ الأهاويــلُ

أما ابن جابر الأندلسي، فقد تخلص من مقدمته بطريقة أخرى، فالشاعر يتخيل نفسه في مقدمته مسافراً يقطع البوادي والقفار، ويسعى لرؤية محبوبته بعد أن يصــفها وصــفاً حســيّاً، ويسرع في مشيه وهو يركب حصاناً سريعا، يريد أن يصل إلى هدفه. ويصف رحلته وقد تكبد فيها مشقة السفر، فيطلب إليه أصحابه أن يرتاح قليلاً، ولكنّه يرفض، يقول[3]:

(البسيط)

بانَــتْ سُــعادُ فَعَقْــدُ الصّــبرِ مَحْلــولُ والدمعُ فــي صَــفَحاتِ الخــدِّ مبــذولُ
لم يخفَ حُبّيَ عنْ صحبي وكيْــفَ بــأَنْ يَخفى وســائلُ دمعــيْ عنْــهُ مســؤولُ
أَرْســـلتُها ولَهيـــبُ القَـــيْظِ مُتّقِـــدٌ وَقُلْــتُ مَـــنْ جَـــدَّ لا يثنيـــهِ تَقْبيـــلُ
وقالَ صَــحبي أَرِحْ شــيئاً فَقُلْــتُ لهُــمْ هَيْهـــاتَ إنّـــيَ عَـــنْ هـــذا لَمَشْـــغولُ

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج3، ص85.
[2] **المصدر نفسه**، ج3. ص85.
[3] **المصدر نفسه**، ج3. ص89،93.

ثم يتخلّص من هذه المقدمة ليصل إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أظهر الصعوبات التي تكبّدها في سبيل الوصول إلى بلده صلى الله عليه وسلم، يقول[1]:

(البسيط)

لا أتـركُ السَّـيْرَ إلّـا أنْ أرى بلـداً فيـهِ الـذي جـاءهُ بـالحقِّ جبريـلُ

فالشعراء كانوا يرون في مدحهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم تخلصاً لهم من هموم تقضُّ مضاجعهم، فكان المدح بلسماً يداوي جراحهم وآلامهم.

أمّا خاتمة القصيدة، فقد أولاها النقاد العرب عنايةً فائقةً، فهي قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، ولا بد أن يكون محكماً، لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، فإذا كان أول الشعر مفتاحاً له، وجب أن يكون الآخر قُفلاً عليه[2]. ولا بد أن يتوخى المتكلم ختم كلامه بما يُشعر بالنجاح والتمام لغرضه، وهذا ما يتميز به القرآن، فإنّ الله تعالى ختم سورة البقرة بالدعاء والإيمان بالله تعالى[3]، ومن الضرورة أن يجيد الشاعر خاتمته؛ لأنّها ربما حُفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال[4].

وإذا ذيّلت أواخر الفصول بالأبيات الحكيمة والاستدلالية، يكون ذلك بمنزلة التحجيل، ولا بد أن تُخْتَم القصيدة بما يتوافق وموضوعها، فاستحسنوا أن تُختم قصائد المدح بالتيمن للممدوح والدعاء له بالسعادة، ودوام النعمة، والظهور على الأعداء، وأن يكون الختام بمعانٍ سارة في قصائد التهاني والمديح، وبمعانٍ مؤسية في التعازي والرثاء[5]، وقد كره النقاد أنْ تُختم القصيدة بالدعاء إلا للملوك الذين يحبونه، لأنّ الدعاء من عمل أهل الضعف[6]، ولكنهم لم يتطرقوا للحديث

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**،ج3. ص93.

[2] يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة**، ج1، ص239.

[3] يُنظر: إبراهيم، يحيى بن حمزة بن علي: **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ج3. (د.ط)، طهران: مؤسسة الشعر. (د.ت). ص366.

[4] يُنظر: ابن أبي الإصبع: **تحرير التحبير في صناعة الشعر**، ج2، ص616.

[5] يُنظر: القرطاجني، أبو الحسن حازم (ت684هـ): **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**. تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة. (د.ط) (د.م): دار الغرب الإسلامي. (د.ت): ص300، 305، 306.

[6] يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة**. ج1، ص241.

عن ختم قصيدة المديح النبوي بالدعاء فلم يستحسنوا ذلك ولم يستقبحوه. واشترط النقاد في لفـظ الخاتمة أن يكون عذبا متناسباً؛ لأنه آخر الكلام، وأن تكون القافية متمكنة[1]، حتى تبقى لذّته فـي الأسماع[2]. واشترطوا أن تشمل الخاتمة على مثل سائر؛ لقرب المثل إلى النفوس،والحاجة إليـه عند المحاضرة، أو أن تكون الخاتمة تشبيهاً مليحاً[3].

وإذا اشتملت الخاتمة على تورية كان ذلك أبلغ وأكثر علوقاً بالنفس[4]، فالاختتام فنٌّ بديعيٌّ متعلقٌ بالفصاحة المعنوية واللفظية، حَريٌّ بالشاعر أن يُحرز فيه الإتقان[5]، وهو من شروط نقاد العصر المملوكي.

وقد جاءت خواتيم قصائد المديح النبوي في غالبها تدور حول الدعاء للرسول صلّى الله عليه وسلّم والسلام عليه، يقول الصرصري في قصيدته المدحية[6]:

(الخفيف)

واصَـــــلَ اللهُ بالمواهـــــبِ مغنـــــا كَ ودامَـــــتْ بربْعِـــــكَ النّعمـــــاءُ
وأحاطـــتْ بـــكَ اللّطـــائفُ والأُنـــسُ وروحُ المزيــــــــــــــــــدِ والآلاءُ

فالشاعر يدعو للرسول صلى الله عليه وسلم بدوام النّعمة، واللطف والأنس، وأن يرزقه الله النّعم بجميع أشكالها في قبره.

ولا تختلف خاتمة همزية البوصيري عن همزية الصرصري السابقة، يقول البوصيري[7]:

---

[1] يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة**، ص301.
[2] يُنظر: الحلبي، شهاب الدين محمود بن سليمان(ت 725هـ): **حسن التوسل إلى صناعة الترسُل**. (د.ط). مصر: المطبعة الوهبية، 1880م ، ص67.
[3] يُنظر: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل: **الصناعتين**، ص444.
[4] يُنظر: الحموي، ابن حجّة: **خزانة الأدب وغاية الأرب**، مج2، ص504.
[5] يُنظر: المؤيد، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم: **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز**، ج3، ص188.
[6] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**. ج1. ص119.
[7] **ديوان البوصيري**، ص29.

(الخفيف)

وَسَلامٌ على ضريحِكَ تَخَضلُّ ... بِهِ منهُ تُربةٌ وعساءُ[1]

وثناءٌ قَدّمتُ بينَ يدي نجوايَ ... إذْ لم يكُنْ لديَّ ثراءُ

ما أقامَ الصّلاةَ منْ عَبَدَ اللهَ ... وقامَتْ بربِّها الأشياءُ

فالبوصيري يدعو بالسلام لقبر رسول الله على مرِّ الزمان الذي تقام فيه الصلوات ويعبد الله فيه العابدون، وتسبِّح فيه الأشياء ربّها صباحَ مساءَ.

أمّا خاتمة قصيدة ابن الوردي التي قالها في مدح كمال الدين ابن الزملكاني عندما أنقذ كنيسة اليهود، وحوّلها إلى دارٍ للحديث، فإنّها لم تختلف عن خواتيم قصائد المديح النبوي، فقد ختمت بالدعاء للزملكاني، يقول[2]:

(الطويل)

بقيتَ بقاءَ المَكَرُماتِ ونِلْتَ ما ... تُؤَمِّلُهُ ما لاحَ في الظُّلْمِ البدرُ

فالشاعر يدعو الله أن يبقى ابن الزملكاني بمكرماته، وأفعاله العظيمة، ويدعو له أن يحقق كل ما يتمنّاه.

ب. اللغة والأسلوب

-اللغة

اهتمّ النقاد بلغة قصائدهم، وربطوا بين الموضوع واللغة، فكلُّ موضوع تناسبه لغة معينة، فالغزل تناسبه الألفاظ الرقيقة السهلة، والمدح تناسبه اللغة الجزلة[3]. ودعوا إلى ضرورة التلاؤم بين اللفظ والمعنى، فهما مرتبطان ارتباط الروح بالجسم[4]، واهتم النّقاد بفصاحة اللفظة[5].

---

[1] الوعساء: الرملة اللّينة، ، **لسان العرب**، مادة وعس.

[2] **ديوان ابن الوردي**، ص298.

[3] يُنظر: ابن الأثير، أبو الفضل إبراهيم: **المثل السائر**، م2، ص167.

[4] يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة**، ج1، ص124.

[5] يُنظر: المؤيد، يحيي بن حمزة بن علي: **الطراز**، ج3، ص351.

واشترط النقاد شروطاً عديدة في الألفاظ التي يستخدمها الشاعر في مقدمته حتى تكون فصيحة فلا بد أن تكون دقيقة، تتقارب الكلمات مع المعاني، وأن توحي الكلمة بمعناها من خلال إثارتها في النفس معاني كثيرة، ولا بد أن تبتعد اللفظة عن تنافر الحروف التي تجعل نطقها صعباً، ولكي تكون استجابة السامع سريعة لا بدّ أن تكون الكلمة مألوفة، وأن تبتعد عن الوحشية والسوقية، فلا تكون ممتهنة بكثرة الاستعمال، وأنْ تؤدي معنىً جديداً، وتكون ذات قيمةٍ في نقل الصورة للقاريء[1].

وقد سار شعراءُ العصر المملوكي على مذهب السهولة في انتقاء الألفاظ،وامتدح نقاد العصر الأديب الذي يستعمل الألفاظ السهلة[2].

وقد جاءت القصائد التي تحدثت عن اليهود سهلةً واضحة من أجل إيصال المعنى، والرّدّ عليهم بالحجج والأدلة، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة "المخرج والمردود،على النصارى واليهود" للبوصيري، حيث قال[3]:

(الكامل)

وأُجِلُّ روحاً قامت الموتى به	**عنْ أنْ يُرى بيد اليهودِ قتيلاً**
فدعوا حديثَ الصّلب عنْهُ وَدونَكُمْ	**منْ كُتْبكمْ ما وافقَ التّنْزيلا**
شهِدَ الزبورُ بحفظه ونجاته	**أفتجعلونَ دَليلَه مدخُولا؟**
أيكونُ مَن حفظَ الإلهُ مُضَيَّعاً	**أوْ مَنْ أُشيدَ بنصْره مخذولا؟**
أيجوزُ قولُ منزِّهٍ لإلهِه	**سبحانَ قاتِل نفسِهِ فأقولا**

وكانت ألفاظ القصيدة سهلة واضحة لا تحتاج الرجوع إلى معاجم اللغة، وألفاظها تنتمي إلى معجم الرد على اليهود، مثل: "الصّلب، وكتبكم، والزبور.وعلاوة على السهولة فقد جاءت الألفاظ مناسبة للمعاني متطابقة معها، فالقصيدة يردُّ فيها البوصيري على ادعاءات النصارى واليهود في قصة صلب المسيح وقتله.وجاءت منسجمة مع غرض القصيدة، فقد أفحم الشاعر

---

[1] يُنظر: بدوي، أحمد أحمد: **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص452–465.

[2] يُنظر: عبد الرحيم، رائد: **فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي**، ص321.

[3] **ديوان البوصيري**، ص132.

النّصارى واليهود في ادّعاءاتهم الباطلة، و استخدم عبارات دالة على ثقافته وقدرته على الـــرد عليهم.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قصيدته "تقديس الحرم من تدنيس الضرم"، التي قالها عندما اشتعلت النار في الحرم الشريف سنة 654هـــ[1]، واعتذر فيها عن تلك النار التي احتـــرق فيهـــا الحرم النبويّ الشريف، وردّ على النصارى واليهود، وكنّاها بأمّ النارين[2]، يقول فيها[3]:

(الطويل)

إلهي علـــى كـــلِّ الأمـــورِ لـــكَ الحَمْـــدُ   فلـــيسَ لمِـــا أوْلَيْـــتَ مِـــنْ نِعَـــمٍ حـــدُّ
وَحُكمُـــكَ مـــاضٍ فـــي الخلائـــقِ نافـــذٌ   إذا شِئْتَ أمْراً لـــيْسَ مِـــنْ كونِـــه بُـــدُّ

فقد افتتح القصيدة بحمد الله عزّ وجلّ، وهذا دليلٌ على قوة إيمانه بالله، فهو يشكره فـــي السّراء والضراء، فنعمه لا تنقطعُ أبداً، وتظهر ألفاظ التسليم بقضاء الله وقدره، مثـــل "فحكمـــك ماضٍ" فهي ردٌ على النصارى واليهود الذين شمتوا بالمسلمين، فالشاعر يثبت أنَّ كلَّ ما يصيب المسلم مقدّرٌ من الله عز وجلَّ، ولا رادّ لقضائه، فجاءت ألفاظه منسجمة مع الغرض الذي كتبت القصيدة لأجله، وهي ألفاظ سهلة، وجزلة في الوقت نفسه.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في القصيدة المدحية للشهاب محمود الحلبي، وهو يـــرد علـــى مزاعم النّصارى واليهود وافتراءاتهم على الرسل، فقد أراد أن يثبت لهم نبوّة محمد صـــلى الله عليه وسلم، فقال يستعرض شهادة هرقل عظيم الروم، الذي هو رأس الصليب آنذاك[4]:

(الخفيف)

قدْ أتى في الصّحيحِ ذكْـــرُ عظـــيم الـــرّ   وم لمّـــــا اســـــتبانهُ اســـــتخبارا
ســـائلاً عـــنْ صـــفاتِهِ قومَـــهُ عنـــــ   ـــــهُ بعلـــمٍ يوافـــقُ الأخبـــارا

---

[1] يُنظر: ابن كثير: **البداية والنهاية.** ج13، ص192.

[2] يُنظر: **ديوان البوصيري**، ص63.

[3] **المصدر نفسه**، ص63.

[4] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص66.

قـــائلاً: إنّ هـــذهِ صـــفةُ الـــرس ـــــلِ مُقـــرّاً ببعثـــــه إقـــرارا
مُخبِـــراً أنّــــهُ سَـــيُظهِرُهُ اللــــــ ـــــهُ علـــى مُلكِـــهِ غـــداً إظهـــارا
معلماً أَنّهُ لو اســتطاع تــركَ الملـــ ـــكِ طوْعــاً سَــعى إليْـــهِ اختيـــاراً

فالألفاظ فصيحة سهلة، تتوافق مع الهدف الذي أراده الشاعروهو إثبـات نبـوة محمـد صلى الله عليه وسلم، فقد أتى بها على لسان عظيم الروم حتى يكون حجةً للنصارى واليهـود. وعلى الرغم من جمال المعاني وبلاغتها، فإنّ التعقيد اللفظي في البيت الثاني أخلَّ بالمعنى، وقلّلَ من تأثيره في نفس المتلقي.

وتأثر الشعر بروح العصر، واختلاط الأجناس فيه، فتسربت إليه ألفاظٌ غير عربية، حيث ظهرت بعض الألفاظ التركية، في الشعر الذي قيل في اليهود، ومن ذلك ما جاء في بيتي عبد الله بن يوسف بن أبي السّفاح إذ قال[1]:

(الطويل)

أَأرْضى حِمَى الشهباءِ داراً وقــد عَلَــتْ عليهـــا لأبنـــاءِ اليهـــودِ سَـــناجقُ[2]
فــإنْ نُكِّســت أعلامُهُــم أنـــا راجِــعٌ إليْهـــا وإلّـــا فهـــيَ منّـــي طـــالِقُ

وقد أسهمت لفظة"سناجق" مع أسلوب الاستفهام الذي استعمله الشاعر فـي شـدّ انتبـاه السامع، وجعله يستشعر معاناته من ظلم اليهود، وتحكمهم في رقاب العباد، فيقرر فـي البيـت الثاني مستعملاً أسلوب الشرط أن يرجع إلى حلب إذا زالت غطرسة اليهود عنها، وإلّـا فحلـب ستغدو طالقاً منه، ولن يعود إليها أبداً.

وعودة إلى الموشحات المملوكية التي قيلت في اليهود، وفي التغزل بنسائهم فقد كانـت لغتها مختلفة عن لغة الشعر العمودي، وقد ظهر ذلك في موشح شعبي للشاعر الششتري، يقـول فيه[3]:

اســـــمَعْ كلامـــــــاً مُلــــــتقطْ افْهَمْنــــي قـــطْ، افهمنـــي قـــطْ

---

[1] ابن حجر، شهاب الدين أحمد: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج2، ص417.

[2] سنجق: الراية أو العلم، وتطلق على صاحب الراية؛ وهي كلمة تركية، يُنظر: التونجي، محمد: **المعجـم الـذهبي فـي الدخيل على العربي**، مكتبة لبنان: ناشرون. ط1. 2009م، ص336

[3] يُنظر: سلام، محمد زغلول: **الأدب في العصر المملوكي**، ص352-353.

محبـــــوبي قـــــد عـــــمّ الوجـــــودْ
وقـــد ظهـــرَ فـــي بـــيضٍ وســـودْ
وفـــــي نصـــــارى وفـــــي يهـــــودْ

فقد جاءت ألفاظه سهلة، متناسبة مع غرض الغزل الذي يتطلب السهولة والوضوح.

ويتشابه مع الشعر السابق، الشعر الشعبي الذي جاء في طيف الخيال على لســان أحــد المتسولين في فرقة المشاعلية، فكانت لغته بسيطة جاءت في صورة استجداء لأحد أغنياء اليهود، يقول فيه[1]:

(مجزوء الكامل)

هـــاتِ اعطنـــي يـــا ســـيِّدي يـــا ســـندي لا زِلْـــتَ لـــي
يقـــولُ يـــا زَيْـــنَ اليهـــودِ فـــــي اليهـــــودِ الأُولِ

تبدو عبارات الاستجداء واضحة " سيدي، اعطني، سندي"، ثم يمدح هذا الغنيّ اليهودي، ويجعله أجمل اليهود منذ خلقهم، حتى يحقق مبتغاه، ويشفق عليه هذا اليهودي فيعطيه المال.

الأسلوب

تنوعت أساليب الشعراء في التعبير عما يريدون،فهم يعبّرون بطريقة خاصة، ويترجمون ما يختلج صدورهم، وتختلف أساليب فنون الشعر، فلكل فن شعري أسلوب خاص بـــه، يـــتلاءم معه[2]، وبه يتفاوت الشعراء، ويظهرون مقدرتهم ويتفاضلون[3]، فوظيفة الأسلوب الإقناع[4].

وكان شعراء المديح النبوي الذين تحدثوا عن اليهود، من هؤلاء الشعراء الذين اعتنـــوا بأساليبهم، ليقنعوا الآخرين بما يقولون، وقد ظهرت في قصائدهم أساليب متنوعة منها:

---

[1] ابن دانيال، شمس الدين محمد :**خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال**، البابة الثانية(عجيب غريب)، ص227.

[2] يُنظر: عبد الجليل، عبد المهدي: **بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية**، ص254.

[3] يُنظر: محمد، محمود سالم: **أدب الصنّاع وأرباب الحِرف حتى القرن العاشر الهجري**. ط1، بيروت: دار الفكر،ســوريا: دار الفكر. 1993م، ص319.

[4] يُنظر: هلال، محمد غنيمي: **النقد الأدبي الحديث**. ط1. القاهرة: دار النهضة العربية. 1969م، ص115.

- **الأساليب الإنشائية**

تنوعت الأساليب الإنشائية التي استخدمها الشعراء وسائل للتعبير عن معــانيهم منهــا: أسلوب الشرط،والاستفهام، والنهي، وكان الصرصري من الشعراء الذين وظفوا أسلوب الشرط للتعبير عن غدر اليهود وحقدهم، يقول في حادثة وضع السمّ للرسول صلى الله عليه وسلم فــي الذراع[1]:

(الخفيف)

أَخْبَرَتْــــهُ الـــــذِّراعُ بالســــمِّ لمّــــا جعَلَتْـــــهُ فيهـــا ابنــــةُ الخَيْبَـــــريّ

فالشاعر يشير إلى معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما وضعت زينب الخيبرية السمَّ في الذراع، وأهدته للرسول صلى الله عليه وسلم، ويستخدم الشاعر أسلوب الشـــرط، وقــد نجح الشاعر في ذلك، فقد قدّم جواب الشرط على اسم الشرط وجملته، وذلــك لأهميــة جــواب الشرط "أخبرته الذراع"، الذي يمثّل معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو بذلك يفضح غدر اليهود وحقدهم.

ويستمر البوصيري في مجادلة اليهود، وإثبات صفة الجحود التي يتصفون بها، فيقول[2]:

(الكامل)

جحـــدُوا النبـــيَّ وقـــد أتـــاهُمْ بالهـــدى لولا القضـــاءُ ســـألتُهُمْ مـــا الموجِـــبُ؟

فقد استخدم الشاعر الجملة الخبرية "جحدوا النّبيّ " حتى يُعلم القارئ بصفة اليهود التـــي استحقوا عليها المجادلة والشتم، ثم يستغل الشاعر أسلوب الشرط ليبين أنه راضٍ بقضاء الله الذي حكم بجحود اليهود.

ويقول أيضاً مخاطباً اليهود[3]:

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج3، ص320.

[2] **المصدر نفسه**، ص46-47.

[3] **ديوان البوصيري**، ص166.

(الكامل)

إنْ كنْـــتَ تُنْكِـــرُ مُعجـــزاتِ محمِّـــدٍ   يومـــاً فَكُـــنْ عمّـــا جَهَلْـــتَ سَـــئولا

ويستخدم أسلوب الشرط؛ ليبين لهم أنَّ جهلهم بمعجزاته صلى الله عليه وسلم يمكـــن أن يعالج بسؤالهم واستفسارهم عن كل ما لا يعلمون، ولكنّ عنادهم يمنعهم من ذلك.

ويستخدم البوصيري أسلوب الاستفهام بما يتوافق وغرض القصيدة، يقول في همزيته[1]:

(الخفيف)

مـــا لكـــمْ إخـــوةَ الكتـــابِ أُناســـاً   لـــيسَ يُرعـــى للحـــقِّ مـــنكُمْ إخـــاءُ؟

أتـــــراكمْ وفّيْـــــتُمْ حـــــين خـــــانوا   أمْ تـــــراكُمْ أحســـــنتمْ إذ أســـــاؤوا؟

فقد خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى يفيد التقريع والتوبيخ، فهو يجادل اليهود والنّصارى، ويقرعهم على خيانتهم للعهود والمواثيق، وتكذيبهم بدين الإسلام، وقد مزج الشاعر في البيت الثاني بين الاستفهام والشرط ما ساعده على تحقيق غرضه في إثبات حقـــدهم علـــى المسلمين.

أمّا ابن الوردي، فإنّه يخشى أن يرسل نساء المسلمين للتداوي عند أطباء اليهود، فيقول[2]:

(الكامل)

هـــــذا اليهـــــوديُّ الطبيـــــبُ إذا رأى   أَمَتـــي الضـــعيفةَ عنـــهُ طبعـــي نـــافِرُ

أأصونُها عنْ أختِهـــا شـــمسِ الضُّـــحى   ويـــــرى محاســـــنَها العـــــدوُّ الكـــــافرُ

فالشاعر يستخدم أسلوب الاستفهام الذي خرج إلى التعجب، فهو يرفض أن يرى الطبيب اليهودي جسد المرأة المسلمة، التي تصون نفسها، وتحجب جسدهاعن امرأة مسلمة أخرى.

ويستخدم ابن دانيال أسلوب النهي للتعبير عن بخل اليهود، فهم يماطلون ويتهربون مـــن بذل المال وإن كانوا أغنياء، يقول على لسان أحد المتسولين في فرقة المشاعلية[3]:

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص64.

[2] **ديوان ابن الوردي**، ص418.

[3] ابن دانيال ، شمس الدين محمد: **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، البابة الثانية (عجيب غريب)**، ص227.

(مجزوء الكامل)

ولا تهملْنـــــــــــي ولا تمطـــــــــلْ مطــــــــــــــالَ البخْــــــــــــلِ

فقد خبَر هذا المتسوّل نفسية اليهودي، فهو بعد كل مدحه له وتقربه منه، يتوقع مماطلته وبخله، وقد أسهم أسلوب النّهي" لا تهملني"، و"لا تمطلْ" في جذب انتباه السامع، وكان اســتعمال الشاعر للفظتي "المطل، والبخل" متناسباً مع الحديث عن اليهود فهذه صفاتهم.

ويخاطب البوصيري كل قارئ لشعره ناهياً إيّاه عن إنكار بغضه لأعداء الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول[1]:

(الكامل)

لا تُنكــروا بُغضِــي عــدُوَّ المصــطفى إنّــــي ببُغضِــــهمُ لـــــهُ أتحبَّــــبُ

ويكثر من أسلوب النهي في قصيدته" المخرج والمردود على النصارى واليهود"، فيقول[2]:

(الكامل)

لا تنصِـــــبَنَّ لـــــهُ حِبـــالَ معانـــــدٍ فتُـــــرى بكفِّـــــة آفـــــةٍ محبُـــولا

فالشاعر ينهاهم عن عناد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، لأنّ مصـــيرهم ســيكون الموت.

- **أسلوب التكرار**

يؤثر التكرار في موسيقى القصيدة، ونغمها، ويسهم في إيضـــاح الصـــورة وجمالهـــا[3]. وللتكرار مواضع يحسن فيها، وأخرى يقبح فيها، وهو أكثر ما يقع في الألفاظ دون المعاني وهو في المعاني أقل، وإذا تكرر اللفظ والمعنى كان ذلك ضعفاً، ولا يجوز للشـــاعر أن يكـــرر إلّـــا لأغراض كالتشويق، أو التنويه به، أو التفخيم، أو على سبيل التقرير والتوبيخ والوعيد والإنذار[4]،

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص46.

[2] **المصدر نفسه**، ص166.

[3] يُنظر: الصائغ، عبد الإله: **الصورة الفنية معياراً نقدياً**. (د.ط). الاسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، 2007م. ص316.

[4] يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة**. ج2. ص73-75.

أو ربما يكون لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو الإستبعاد[1]. وقد برز أسـلوب التكـرار فـي القصائد التي تناولت الحديث عن اليهود حيث تكررت الألفاظ والأساليب والمعاني والحـروف، وقد أفادت غرضاً أراده الشاعر من ذلك، فكان الشهاب محمود الحلبي من الشعراء الذين بـرز أسلوب التكرار واضحاً في قصائدهم، فقد تكرر لفظ الاسم الموصول" مَن" ثلاث مراتٍ متتاليـة في قوله[2]:

(الوافر)

وَمَـنْ أَسـرى الإلـهُ بـهِ إليـهِ — فكـانَ لـهُ علـى الرُّسُـلِ الإمامَـهْ
وَمَـنْ أَوْحـى بمـا أَوْحـى إليـهِ — وحلّـاهُ بتيجـانِ الكرامَـهْ
وَمَـنْ جـاءَتْ لَـهُ الأشـجارُ تسْـعَى — وعـادَتْ بَعْـدَ أنْ وقَفَـتْ أمامَـهْ

فقد أسهم التكرار في التعريف بمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، واضـفاء جـوّ موسيقي من خلال النغم الذي أفادهُ تكرار "مَنْ" ما أسهم في جذب انتباه السامع. ويكرر الشهاب الحلبي الفعل الماضي المتصل بضمير المتكلم؛ ليعبر عن شوقه لرؤية الديار الحجازية وفرحتـه بما يتحقق له، يقول[3]:

(الخفيف)

وبَلَغْـتُ المنـى، وفارَقْـتُ أتْـرا — حـيْ، وتَمَّـتْ بالمصـطفى أفراحـي
ووَكَلْـتُ التعبيـرَ عـنْ فـرطِ أشْـوا — قي ووجْـدي إلـى دمـوعي الفِصـاحِ

حيث يوحي ضمير المتكلم بعاطفة الشاعر الصادقة، ومحبته للرسول صلى الله عليـه وسلم، وكان استخدامه للفعل الماضي المتكرر دليلا على تحقيق مراده.

ولم يقتصر الشعراء على تكرار الأسماء والأفعال، وإنّما كرروا في الأساليب الإنشـائية لتحقيق غرضهم، وهذا ما ظهر في قصيدة ابن فضل الله العمري في رثاء ابن تيمية، فقد أكثـر

---

[1] يُنظر: الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن حجة: **خزانة الأدب وغاية الأرب**. مج1. ص361.
[2] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص219.
[3] **المصدر نفسه**، ص348.

الشاعر من استفهاماته المليئة تفجعاً وألماً، وكأنّ الطبيعة قد شاركته حزنه وألمه، فلم يعد يرى الشمس ولا النور، حيث استحالت الأرض ظلاماً، يقول[1]:

(البسيط)

أهكذا تُمنعُ الشمسُ المنيرةُ عن ... منافِع الأرضِ أحياناً فتستترُ؟
أهكذا الدّهرُ ليلاً كلُّه أبداً ... فليسَ يُعرفُ في أوقاته السَّحَرُ؟
أهكذا السّيفُ لا تمضي مضاربُه ... والسّيفُ في الفتكِ ما في عَزْمِه خَوَرُ؟

فقد خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى غرض التوجع والحسرة على فقد ابن تيمية، ونجح الشاعر بتكراره هذا الأسلوب في التأثير في المتلقي، وجعله يشعر بعاطفة الحزن والألم والحسرة. ويظهر تكرار أسلوب النداء في قصيدة الشهاب الحلبي، في مديحه للرسول صلى الله عليه وسلم، فيناديه نداء يخرج عن معناه الحقيقي إلى معنى العظمة والاحترام للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول[2]:

(الخفيف)

وأنادي: يا رحْمةَ اللهِ في الخلـ ... ـقِ ويا كعبةَ النّدى والسّماحِ
يا رسولَ الإلهِ أنتَ شفيعي، ... فلماذا فيها أُطيلُ نُواحي
يا نبيَّ الهدى، ويا مَن به فا ... قتْ على قومِها قريشُ البِطاحِ

فالشاعر يخاطب الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم، ويتشفع به، ويستقي ألفاظه من القرآن الكريم، ويكرر أسلوب النداء أربع مرات، ليبين صفات الرسول صلى الله عليه وسلم من الرحمة والهداية، ويعظّمه على معجزاته.

- أسلوب السخرية

تعدُّ السخرية من أكثر أنواع المفارقة شيوعاً ووضوحاً، وهي هجومٌ متعمّدٌ على شخصٍ من أجل سلبه كل أسلحته، وتعريته من كل ما يتحصَّنُ وراءه[3]، وتكون الفكاهة عنصراً بارزاً في

---

[1] **شعر ابن فضل الله العمري**، ص67.
[2] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص348.
[3] يُنظر: شبانة، ناصر: **المفارقة في الشعر العربي الحديث**. ط1. (د.م): المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 2002م، ص60.

أسلوب السخرية الذي يصبّه الشاعر في قالبٍ أدبيٍّ[1]. وقد ظهر أسلوب السخرية بشكلٍ واضحٍ عند شعراء العصر المملوكي، وتنوعت قصائدهم الساخرة من حيث موضوعها، فكان هناك السخرية السياسية، والاجتماعية، والدينية، ففي السخرية الدينية سخر الشعراء من اليهود ومن عقائدهم الدينية،ومن توراتهم المحرّفة، ونظموا أشعاراً كثيرة تعبّر عن هذه المعاني[2].

ويسخر شاعرٌ مجهولٌ من أطباء اليهود، ومن مداواتهم للآخرين قائلاً[3]:

(السريع)

قالوا اليهوديُّ أخو حِكمةٍ　　لا زالتِ الأمراضُ في كأسِهْ
لو كانَ ذا النّحس أخا حكمةٍ　　أزال دا الصفراءِ من رأسِهْ

ويسخر أيضاً من اللباس الأصفر الذي فُرِض عليهم، ويعدُّه داءً، كان يجب عليهم أن يتخلصوا منه، إن كانوا أطباء حاذقين، مستخدماً في ذلك أسلوب الشرط حاطّاً من قدرهم، ومن طبّهم. ويقف شمس الدين الطيبي[4] الموقف نفسه ساخراً من تغيير لباس اليهود، متهكّماً عليهم، وقد استمد صورته من عالم الحيوان، حيث يصف صبغ ملابسهم وتعدد ألوانها، وبروز اللون الأصفر فيها بفضلات النسر، فيقول[5]:

(البسيط)

تعجّبوا للنّصارى واليهودِ معاً　　والسّامريين لِما عَمَّموا الخِرَقا

---

[1] يُنظر: المازني، إبراهيم عبد القادر: **حصاد الهشيم**. ط7. مصر: المطبعة العصرية، 1961م، ص259.

[2] يُنظر: الفصل الثاني والثالث من الدراسة الشعر الذي تناول (معتقداتهم وعاداتهم الاجتماعية وأخلاقهم وصفاتهم).

[3] الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله: **مطالع البدور في منازل السرور**، ج2، ص423.

[4] هو أحمد بن يوسف بن يعقوب الطيبي شمس الدين، كاتب الإنشاء بطرابلس، ولد في سنة 649هـ، برع في الآداب، وتفوق في النظم والنثر، وألّف كتباً في الأدب، مات بطرابلس سنة 717هـ. يُنظر: بن حجر، شهاب الدين أحمد: **الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج1. ص363-365.

[5] الصفدي، خليل أيبك: **أعيان العصر وأعوان النصر**، ج5. ص84، الإسكندراني، محمد بن قاسم النويري: **الإلمام**، ج4، ص122-123 المقريزي، تقي الدين أحمد: **المواعظ والاعتبار**، ج2، ص499، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج8، ص135، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن محمد بن عثمان: **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، ج1. ص256،ابن إياس، محمد بن إياس الحنفي: **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق1، ص408-409،

كأنّمـــا بـــاتَ بالأصـــباغِ منســـهِلاً   نسْرُ السَّـماء فأضـحى فـوقهم دَرَقـا

ويسخر ابن الوردي من زيِّ اليهود الأصفر ويشير إليه في غير موضعٍ مـن ديوانـه، يقول في تخليص الكنيسة من اليهود، وتحويلها إلى دار للحديث[1]:

(الطويل)

وضـاعَفْتَ أمـراضَ اليهـودِ بنزعِهـا   فـأوجهُهمْ تحكـي عمـائمَهمْ صُـفرُ

فقد شابهت وجوهُهم عمائمَهم من شدة جَزعهم، وحزنهم، وذلّهم لما حلّ بكنيستهم، فقد غدت وجوههم صفراءَ مثل عمائمهم وذلك بسبب ما لحقهم من المهانـة والـذل علـى أيـدي المسلمين.

- **التناص**

تعددت أساليب الشعراء في قصائدهم، فقد تسابقوا في التفنن في انتقاء الأسـاليب التـي تجعل شعرهم رصيناً، بليغاً، وكان أسلوب التناص من أكثر الأساليب التي سيطرت على قرائح الشعراء في العصر المملوكي حتى جعلتهم يتبارون ويتفاخرُون بكثرة التناصات في قصائدهم.

ولقد تعددت تعريفات التناص بتعدد الناقدين، ولكنّها التقت عند معنى مشترك، فالتنـاص هو أحد مميزات النص الأساسية التي تحيل القارئ إلى مجموعة نصوص أخرى سابقة عنها أو معاصرة لها، حيث يعمل على إعادة توزيع نظام اللغة، فيدخل النص الجديد فـي علاقـة مـع نصوص سابقة أو متزامنة[2]. والكاتب يهدف من كل ذلك إلى تعزيز تواصله مع متلقيـه عنـدما يعجز عن الوفاء بحق الفكرة أو الشعور، وعندما يريد ربط النص بنوع من أشـكال الاتصـال البلاغية الفعّالة، ومن أجل تحقيق غايات شعرية وأدبية وأهداف فنية لمفاجأة القـاريء ولفـت انتباهه وإثارة ذهنه وتشويقه[3]، وبهذا يتحول المبدع الثاني منتجاً ثانياً للـنص الأول، وبإعـادة

---

[1] **ديوان ابن الوردي**، ص294.

[2] يُنظر: حسنين، نبيل علي: **التناص دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض جرير والفـرزدق والأخطـل**. ط1. (د.م): كنوز المعرفة. 2010م، ص38-39.

[3] يُنظر: **المرجع نفسه**، ص49.

إنتاجه يصبح نصاً جديداً لاينتمي إلى الشفرة الأولى إلّا باعتبارها المادة الأولية الناجزة[1]. وقد تعددت أشكال التناص فظهر التناص الديني، والأدبي، والتاريخي، والعلمي.

أولاً: التناص الديني

يُقصد به تداخل نصوص دينية مختارة من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو الخطب أو الأخبار الدينية مع النص الأصلي للقصيدة، بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الشعري، وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً، مما يثري الفكرة، ويعمّق رؤية الأحداث ويسهم في تشكيل البناء الفني للشعر[2]. وتتعدد أنواع التناص الديني فهناك التناص مع الألفاظ الدينية، ومع معاني القرآن الكريم، والقصص القرآني، والاقتباس من الآيات القرآنية، والتناص الإشاري، والتناص التوراتي.

التناص مع الألفاظ الدينية

تناص شعراء المديح النبوي مع ألفاظ أخذوها من الدين الإسلامي بعامة، ووظّفوها للتعبير عن معاني أشعارهم، ومن ذلك ما جاء في شعر الصرصري حيث يقول[3]:

(الكامل)

بمكرَّم شهدِ الملائكُ فَضْلَهُ ... هذا وطينةُ آدمٍ ما صُوِّرتْ

عبْدٌ تخيّرهُ المهيمنُ مُرسَلاً ... بشرٌ بطلعتِهِ السّماءُ استبشَرَتْ

فقد أضفت الألفاظ الدينية جواً دينياً على القصيدة مثل: " الملائك، وآدم، ومرسَلاً، والسماءُ". فالقصيدة قصيدة مدح نبوي، لا تكتمل معانيها دون استخدام هذه الألفاظ.

ومن الألفاظ الدينية التي ذكرها شعراء المديح النبوي أسماء الأنبياء والكتب السماوية، وذلك في سياق الحديث عن معجزاتهم، يقول صفي الدين الحلّي[4]:

---

[1] يُنظر: السعدني، مصطفى: **في التناص الشعري**، (د.ط). الاسكندرية: المعارف. 2005م، ص104.

[2] يُنظر: حسنين، نبيل علي: **التناص دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض جرير والفرزدق والأخطل**، ص215.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج1، ص506.

[4] **المصدر نفسه**، ج4، ص200.

(الكامل)

وعليكَ أرْمِيَّا وَشَعْيا أثنيا وهُما وحزقيلٌ لفضلِكَ دانوا
بفضائلٍ شَهِدَتْ بهنَّ الصُّحْفُ والتوراةُ والإنجيلُ والفرقانُ

فالشاعر يجادل اليهود ويقنعهم بدلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، التي بشّر بها أنبياء بني إسرائيل" إرميّا، وشعيا، وحزقيل"، وشهدت بذلك "صُحُف موسى، والتوراة، والإنجيل، والقرآنُ". وقد ورد ذكر أسماء هؤلاء الأنبياء في التوراة، ليكون ذلك دليلاً لإثبات صدق نبوِّة محمد صلى الله عليه وسلم، وفضائله صلى الله عليه وسلم التي جاءت في كل الكتب السماوية.

- **التناص مع القرآن الكريم**

يجد الشعراءُ في القرآن الكريم كتاب إعجاز وبلاغة، يغرفون من معينه، قصصاً وآيات قرآنية، فالشاعر إمّا أن يوظِّف معنى من معاني القرآن الكريم، أو قصة من قصصه، أو آية بكاملها، أو جزءا منها، وربّما يوظف اسم سورة من سور القرآن الكريم، أو يشير إلى لفظة من ألفاظه، وهو ما يُعرف بالتناص الإشاري، وقد أولع شعراء العصر المملوكي باستلهامهم ما جاء في القرآن الكريم، وبخاصة شعراء المديح النبوي؛ لأنّ طبيعة الغرض الذي يكتبون فيه تتطلب العودة إلى القرآن الكريم المعجزة الكبرى للرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

ويستفيد البوصيري من معاني القرآن الكريم في سياق مجادلته لليهود، وقد جعلوا المسيح ابن الله، يقول[1]:

(الخفيف)

أمْ هُوَ ابنُ اللهِ ما شارَكَتْهُ في مَعاني النُّبوِّةِ الأنبياءُ

وهذا ما جاء في قوله تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ............)[2].

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص15.

[2] **سورة المائدة**، آية (72).

فقد وظَّف ما جاء في القرآن الكريم ليردَّ على اليهود.

ويستعير البوصيري قصة قابيل وهابيل، عندما قتل قابيل هابيل فأرسل الله لـــه غرابـــاً يعلّمه كيف يواري جثة أخيه في الأرض، فقد تعلم النصارى الجحود من اليهود، كما تعلم قابيل الدفن من الغراب[1].

ولم يكتفِ البوصيري بالتناص مع معاني القرآن الكريم، وإنما كان بسبب ثقافته الدينيـــة الواسعة، من أكثر الشعراء الذين تعالقت أشعارهم مع النص القرآني، فقد اشتملت أشعاره علـــى قصص الأنبياء وفي ردّه على اليهود أكثرَ من تناول قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، عندما تاهوا أربعين سنة، وعندما عبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري، يقول[2]:

(الخفيف)

وسفيهٌ مَـــنْ ســـاءَهُ المـــنُّ والســـلوى وَأرضـــــــاهُ الفـــــــومُ والقثّـــــــاءُ

فقد أنزل الله عليهم في تيههم طعاماً من الحلوى، وطيوراً، ولكنّهم رفضوا هذا الطعـــامَ وطلبوا إلى موسى أن يدعو ربّه بأن ينزل لهم طعاماً آخر، فرضوا بالأدنى من الفوم والقثّاء.

وهم من رفضوا عبادة الله، وعبدوا العجل، يقول البوصيري[3]:

(الكامل)

والعابـــدونَ العجْـــلَ قـــد فُتنـــوا بـــه ودّوا اتِّخـــاذَ المُرســـــلينَ عُجُـــولا
فـــإذا أتَـــتْ بشـــرى إلـــيهمْ كـــذّبوا بهـــوى النّفـــوسِ وَقُتّلـــوا تقتـــيلاً

وقد وردت قصتهم هذه في غير موضع من القرآن الكريم، وعندما يتحدث البوصـــيري عن هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة يورد قصـــة موســـى، ويوظـــف الـــنّص القرآني، فيقول[4]:

[1] يُنظر: **الفصل الثالث من الدراسة** ، ص103.

[2] **ديوان البوصيري**، ص16.

[3] **المصدر نفسه**، ص134.

[4] **المصدر نفسه**، ص46.

(الكامل)

للهِ يـــــومُ خُروجِـــــهِ مِـــــنْ مكّـــــةٍ كخـــــروجِ موســـــى خائفـــــاً يَتَرقّـــــبُ

وهو بهذا يستوحي من قوله تعالى: (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ)[1]، وذلك بعد أن قتل رجلاً من بني إسرائيل.

ويقف شاعر آخر مجهول يعيّر اليهود بتيههم في الصحراء، فيقول[2]:

(البسيط)

لنـــــا صـــــديقٌ يهـــــوديٌّ حماقتُـــــهُ إذا تكلَّـــــم يبـــــدو النّـــــتْنُ مـــــن فِيـــــهِ
يتيـــــهُ والكلـــــبُ خيْـــــرٌ مِنْـــــهُ مَنْزلـــــةً كأنّـــــهُ بعْـــــدُ لـــــم يخـــــرُجْ مـــــن التِّيـــــهِ

فقد غدت صفة الحماقة ملازمة لهم منذ أن تاهوا أربعين عاماً، وتعدوا حدود الله، وقتلوا الأنبياء، والشاعر يقلّل من قيمة اليهود، ويحتقرهم عندما يجعل الكلاب تعلوهم منزلة.

أمّا ابن نباتة، فإنّه في سياق مدحه الرسول صلى الله عليه وسلم، يمدح أرض مكة المباركة وما حلّ بها من معجزات، ويذكر قصة أبرهة الذي جاء يهدم الكعبة، فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل، مستوحياً قصتهم التي جاءت في سورة الفيل، يقول[3]:

(البسيط)

ولا مناسِـــــكُ فيهـــــا للهُـــــدى شُـــــهُبٌ ولا ديـــــارٌ بهِـــــا للـــــوَحيِ تنزيـــــلُ
ذو المعجزاتِ التي ما اســـطاعَ أبرهَـــةُ يَغـــــزو منازلَهـــــا كلّـــــا ولا الفيـــــلُ

الإقتباس

ولم يكتف الشعراء بالتعالق مع معاني القرآن وقصصه، وإنما وقفوا عند آياته وأخذوا جزءاً منها حيناً، أو آية بكاملها أحياناً أخرى، وهو ما عُرف في الدراسات النقدية " بالاقتباس" وهو أنْ يُقتبس شيئٌ من القرآن الكريم، بحيث يكون آيةً،أو كلمة من آية، أو جزءاً من حديث

[1] **سورة القصص**، آية 21.

[2] الإسكندراني، محمد بن قاسم النويري: **الإلمام بالإعلام بما جرت به الأحكام**، ج4. ص134.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج3، ص85.

شريف ولا يُنبَه عليه للعلم به[1]، وقد رأى ابن الأثير أن يُطلق عليه الاقتباس الكلي إذا كانت الآية كاملة، والاقتباس الجزئي إذا أُدرج جزء من الآية[2]. وقد ظهر هذا الاقتباس في القصائد التي كتبها شعراء المديح النبوي، وتحدثوا فيها عن اليهود.

ومثال ذلك ما جاء في قول الصرصري مادحاً الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم[3]:

(الكامل)

وتُكوَّرُ الشّمسُ المنيرةُ جهرةً وشُموسِ شرعةِ دينهِ ما كُورّتْ

وهذا اقتباسٌ من قوله تعالى: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)[4]، ولكنّه لم يكن اقتباساً حرفياً وإنّما تصرَّف الشاعر في الآية حتى بيّن وصفه لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي القصيدة نفسها يقتبس من السورة ذاتها، قائلاً[5]:

(الكامل)

وهُو المشفّعُ يومَ محتَبسِ الورى وإذا الجحيمُ على بنيها سُعّرت

وهذا اقتباس من قوله تعالى (وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ)[6]، ويختلف عن سابقه في أنَّ الشاعر أدخل شبه الجملة "على بنيها"، على الآية ليضفيَ معنىً جديداً، يزيد من التهويل والعذاب لمن يدخلون السعير، ولا شفيع إلّا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. وقد وُفق الشاعر في اقتباساته، حيث توافقت مع مدحه لمحمد صلى الله عليه وسلم ولشريعته، وتوافقت مع وصفه

---

[1] يُنظر: القزويني، الخطيب (ت 729هـ): **الإيضاح في علوم البلاغة**، ج2، شرح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط4. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1975م، ص575، الحلي، عبد العزيز سرايا (ت 750هـ): **شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع**، تحقيق: نسيب نشاوي (د.ط). دمشق: مجمع اللغة العربية. 1982م، ص326، الصعيدي، عبد المتعال: **بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، ج2، ط12. القاهرة: مكتبة الآداب. 2000م، ص114.

[2] يُنظر: ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت637هـ): **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج2، ص341.

[3] النبهاني،يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج1، ص506.

[4] **سورة التكوير**، آية1.

[5] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج1، ص506

[6] **سورة التكوير**، آية12.

لأهوال يوم عظيم هو يوم القيامة الذي تُسعّر فيه النار، ولا يُشفّع فيه إلّا رسولنا محمّد صلى الله عليه وسلم.

أمّا ابن الوردي، فإنّه يقتبس من آيات القرآن الكريم، في قصيدته التي قالها في الزملكاني عندما أنقذ كنيسة اليهود، وحوّلها داراً للحديث. يقول[1]:

(الطويل)

أيا حاتمَ الإسْلامِ وَدُّوا خَلاصَها بما مَلَكُوا فليخسَؤوا "قُضيَ الأمرُ"

فالشاعر يرى في الزملكاني حاتماً الطائي في جوده وكرمه وعطائه، وهو يقرّع اليهود الذين أرادوا إرجاع الكنيسة لهم، ويستفيد من النص القرآني، حيث يقول تعالى: (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ)[2]، وهو بذلك يسدّ كلَّ الطرق على اليهود الذين يحاولون إرجاعها، فقد قُضي أمرُ تحويلها وانتهى ذلك، فلا داعي لمحاولاتهم.

وظهر التناص الإشاري أيضاً في قول الصرصري وهو يعدّد معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد خلّصه الله من كيد اليهود وسحرهم، عندما وضعوا له سحراً، يقول[3]:

(البسيط)

وَفاءَ مِنْ عُقَدِ النّفاثاتِ مُنطلقاً كأنّهُ مُرهَفُ الحدَّين مَصْقولُ

وقد استفاد من قوله تعالى (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ)[4]، وأشار إلى لفظة النفاثات ليقف على معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما وضع له اليهودي السّحر، ولكنّ الله خلّصه من سحر اليهود ومن كيدهم.

---

[1] **ديوان ابن الوردي**، ص295.

[2] **سورة يوسف**، آية 41.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج3، ص38.

[4] **سورة الفلق**، آية4.

وقد ظهر نوع آخر من أنواع التناص القرآني حيث يستعير فيه الشاعر اسم سورة من سور القرآن الكريم وهذا ما جاء في قصيدة ابن الوردي، فقد بيّن ما حلَّ بالكنيسة بعد أن أصبحت داراً للحديث، يقول[1]:

(الطويل)

تعمُّ المثاني السّبعُ ستَّ جهاتِها وَخُصِّصَ بالتوحيد كلماتُها العشرُ

فلم يعد يُسمع بها كلامُ الباطل الذي كتبوه محرّفاً وإنّما غدت تُقرأ فيها آيات سورة " المثاني السبع"، وهي سورة الفاتحة، فقد ذكر الشاعر اسم سورة من سور القرآن الكريم وهي سورة الفاتحة التي يُطلق عليها أيضاً "المثاني السّبع".

التناص التوراتي

لم يقتصر التناص الديني على القرآن الكريم وإنما وظّف شعراء المديح النبوي نصوص التوراة وألفاظها في قصائدهم وذلك في سياق ردّهم على مزاعم اليهود وافتراءاتهم، وكان البوصيري من أشهر الشعراء الذين وظّفوا نصوص التوراة في الرد عليهم، بعد أن درس التوراة دراسة دقيقة ساعدته في تفنيد حججهم ومزاعهم، ففي قصيدته"المخرج والمردود على النصارى واليهود" فنّد حججهم من توراتهم، وأورد نصوصاً مقتبسة من التوراة، ثم أبطلها بالحجج والأدلة، فقد جاء في توراتهم أنّ المسيح عليه السلام صُلب، ووضع على رأسه إكليل من شوك، ثم قتل مصلوباً، وهذا ما أورده البوصيري في شعره، ونفاه بأدلة قاطعة[2].

وقد زعم اليهود في توراتهم أنّ الله تعالى إنسان له جوارح، وأنّه تصارع مع يعقوب، فصرعه يعقوب ،عليه السلام، وهذا ما أورده البوصيري في شعره[3].

[1] **ديوان ابن الوردي**، ص295.

[2] يُنظر: **الفصل الثاني من الدراسة**، ص74

[3] يُنظر: **الفصل الثاني من الدراسة**، ص68،61.

ويقتبس البوصيري من التوراة، قصة الكرمة التي خرجت منها نار وأحرقت إســرائيل، يقول[1]:

(الكامل)

غُرِسَتْ بــأرض البــدو مِنْــهُ دوحَــةٌ لمْ تخشَ مِــنْ عَطَـشِ الفــلاةِ ذبــولاً
فأتَتْــكَ فاضِــلةَ الغُصــونِ وأخرجَــتْ نــاراً لِمَــا غَــرَسَ اليهــودُ أكُــولا
ذَهَبَــت بكرْمَـــةِ سَــوْءٍ ذُلِّلَــتْ بِيَـــدِ الغُـــرورِ قُطوفُهـــا تَـــذْليلا

فقد جاء في بشارة حزقيل بالنبي محمد صلى الله عليه وسـلم، أنّ اليهـود قـد كفـروا بالنّعمة، فشبّههم بالكرمة، التي اقتُلِعت من الأرض، فخرقت السماء، ثم غُرِس غرسةٌ في الأرض العطشى، فخرجت من أغصانها نار، فأكلت تلك الكرمة[2].

ويرد البوصيري على مزاعم اليهود الذين رفضوا الإعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فيأتي لهم بأدلة من توراتهم، ومن بشائر أنبيائهم، يقول[3]:

(الكامل)

وارْمِ العِــدا ببشــائرٍ عَــنْ أَرْمِيــا إذْ كــفَّ نبْــلُ كِنانِــهِ مَتْبــولا
إذْ قــال قــدْ قدّسْــتُهُ وعَصَــمْتُهُ وجَعَلْــتُ للأجنــاسِ مِنْــهُ رَسُــولا

وهي اقتباسٌ من كتاب إرميا: "قبل أن أخلقك فقد عصمْتكَ، من قبل أنْ أصـوّرك فـي البطن قدّستك،وجعلتك نبيّا للأجناس"[4] فهذه بشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فهو نبـيّ الأمة، ونبيّ كل الأجناس؛ لأنه خاتم الانبياء والمرسلين.

ويستوحي ابن الوردي بعض المصطلحات التوراتية عندما يتحدث عن الكنيسـة التـي حوّلها الزملكاني إلى دار للحديث، يقول[5]:

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص160.
[2] يُنظر: **سفر حزقيال/ إصحاح15**، ص886.
[3] **ديوان البوصيري**، ص163.
[4] **سفر إرميا/ إصحاح** 1،ص797
[5] **ديوان ابن الوردي**، ص294.

(الطويل)

بـــذا قَلْـــبُ حـــزّانِ الملاعـــينِ نـــازحٌ   وذلـــكَ مـــن وجْهـــينِ فَلـــيُفهَمِ السِّـــرٌ

فلفظة الحزّان لفظة توراتية[1]، واستوحى أيضاً لفظة "الكلمات العشر" من التوراة، وقد مرَّ ذكرها سابقاً.

ثانياً: التناص الأدبي

تعالق الشعراء مع قصائد سابقيهم، فضمنوا قصائدهم أبياتاً من قصائد السابقين، أو أجزاءً من تلك الأبيات، ليتواصلوا مع المتلقي ويعبروا عن موقف أرادوه، ومنهم من قام بمعارضة قصيدة قالها شاعر سابق له، أو معاصر، ومنهم من عاد إلى تراث المثل، وأخذ مثلاً وضمّنه قصائده، وبذلك يكون التناص الأدبي على ثلاثة أشكال هي:

التضمين: وهو أن يضمّن المتكلم كلامه كلمة من بيت، أو بيتا من شعر غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً[2]،ويسمى أيضاً الإيداع وهو أن يودع الناظم شعره بيتاً من شعر غيره، أو نصف بيت أو ربعه، بعد أن يمهّد له تمهيداً مناسباً، ويجوز عكس البيت المضمّن، بأنْ يُجعل عجزه صدراً أو صدره عجزاً، وقد تُحذف صدور قصيدة بكاملها وينظم لها المودع صدوراً[3]. وضمّن شعراء المديح النبوي قصائدهم، شعراً لشعراء سابقين، فقد ضمّن ابن الوردي بيتاً كاملاً لحاتم الطائي، ووضعه في قصيدته التي قالها في إنقاذ كنيسة اليهود على يد الزملكاني، يقول[4]:

(الكامل)

وَقَـــدْ عَلِـــمَ الأقـــوامُ لـــو أنَّ حاتمـــاً   أراد ثـــراءَ المـــال كـــانَ لـــهُ وَفْـــرُ[5]

---

[1] يُنظر: **الفصل الأول من الدراسة**، ص33.

[2] يُنظر: ابن أبي الاصبع،عبد العظيم بن عبد الواحد: **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**. ج1. ص140، القزويني، الخطيب: **الايضاح في علوم البلاغة**. ج2، ص580، الصعيدي، عبد المتعال: **بغية الإيضاح لتخليص المفتاح في علوم البلاغة**. ج2. ص119.

[3] يُنظر: الحموي، تقي الدين أبو بكر بن حجة: **خزانة الأدب وغاية الأرب**. مج2. ص311.

[4] **ديوان ابن الوردي**، ص295.

[5] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، **الشعْرُ والشعراء**. ج1، (د.ط). لندن: مطبعة بريل، 1902م، ص128.

وهو بذلك يشبّه شخصية الزملكاني بشخصية حاتم الطائي في كرمه وجوده وعطائه. ولو أراد حاتم المال وما أنفقه لغدا من أثرى الأثرياء، وكذلك الزملكاني فقد أعطى من علمه وماله الشيء الكثير.

وفي القصيدة نفسها، يضمّن الشاعر، عجز بيت أبي صخر الهذلي[1]، يقول[2]:

(الطويل)

وإنْ قاصدٌ منكُمْ أتاني فأنثني "كما انتفضَ العصفورُ بلّلَهُ القطرُ"

وبيت الهُذلي: إذا ذُكِرَت يرتاحُ قلبي لذِكرِها كما انتفض العصفورُ بلّلَهُ القطرُ[3]

ولكنّ الهذلي يصف نفسه عندما يتذكر محبوبته، في حين يرفض ابن الوردي العمل بالقضاء، ويفضّلُ العلمَ على هذه المهنة، ويترّفّعُ عن ممارسة القضاء؛ لأنّ طباعه عفيفة، فإذا جاءه أحدهم فإنّه سينتفضُ رُعباً وخوْفاً من أن يقضي بظلمٍ. أما ابن نباتة، فإنّه في سياق حديثه عن معجزاته صلى الله عليه وسلم، وشوقه إلى زيارة الديار الحجازية، يضمن بيتاً من قصيدته، عجز بيت من قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير، فيقول[4]:

(البسيط)

بانَتْ معاذيرُ عجزي عَنْ مداهُ وعَنْ بانَتْ سعادُ فَقَلبي اليَوْمَ مبتولُ

فقد أخذ ابن نباته صدر بيت كعب، وجعله عَجُزاً لبيته، والشاعر يعتذر عن عجزه الوصول إلى مكانة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعن الوصول إلى مستوى قصيدة كعب

---

[1] هو أبو صخر الهذلي عبد الله بن سالم السهمي الهذلي، شاعرٌ إسلامي، من شعراء الدولة الأموية له في عبد الملك ابن مروان وأخيه عبد العزيز مدائح كثيرة، كانت وفاته سنة 80هـ، يُنظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر: **خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب**. ج1، ط1. (د.م) (د.ت). ص555-556.

[2] **ديوان ابن الوردي**، ص297.

[3] ابن منظور، جمال الدين أحمد بن مكرم: **لسان العرب**. مادة (رمث).

[4] النبهاني، يوسف بن إسماعيل. **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج3، ص89.

فهي تعلو قصيدته في منزلتها ومكانتها. والبيت مضمّن من قول كعب بن زهيرٍ في مطلع قصيدته[1]:

(البسيط)

بانتْ سُعادُ فَقَلبي اليومَ متبولُ   متيّمٌ إثْرَها لم يُجزَ مكْبولُ

ويقف مجد الدين بن مكانس عند بيت المتنبي، ليضمنّه قصيدته، وهو يشير إلى بغضه اليهود، فقد كره كل مقامٍ ينزلون به، وشعر نفسه غريباً بينهم يقول[2]:

(الخفيف)

ما مُقامي بأرض أيْلةَ إلّا   كمُقام المسيحِ بيْنَ اليهودِ

وقد أخذَ هذا البيت من قصيدة المتنبي، عندما قال[3]:

(الخفيف)

ما مُقامي بأرضِ نخلةَ إلّا   كمُقام المسيحِ بين اليهودِ

فلم يختلف بيت ابن مكانس عن بيت المتنبي إلا بكلمة "أيلة"، التي جاء بها بدلاً من كلمة "نخلة" حيث كان المتنبي يسكن في هذه البلدة[4].

من خلال الأبيات السابقة المضمّنة يتبين أنَّ التضمين له فوائد عديدة، فهو يحقق الإيجاز، والتوكيد، والتمثيل، ويضفي جمالاً على النصِّ الشعري، ويكشف الإبداع، ويحيي التراث الشعري[5].

---

[1] ابن زهير، كعب: **ديوان كعب بن زهير، رواية أبي سعيد السكّري**، (د.ط). بيروت: دار الفكر للجميع. 1968م. ص12.

[2] **ديوان مجد الدين بن مكانس**، مخطوط ميكروفيلم، ورقة 70.

[3] البرقوقي، عبد الرحمن: **شرح ديوان المتنبي**، ج1. (د.ط) بيروت: دار الكتاب العربي. (د.ت)، ص44.

[4] يُنظر: **المرجع نفسه**، ص14.

[5] يُنظر: سلطان، منير: **التضمين والتناص وصف رسالة الغفران للعالم الآخرنموذجاً**،(د.ط).الإسكندرية:المعارف،2004م ص31،30.

المعارضات

المعارضة فن قديم قِدم الأدب، فلم يخلُ عصرٌ منه[1]، فقد امتد من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، وبخاصة في رثاء المدن وفي المدائح النبوية[2]، والمعارضة في الشعر، هي أن ينظم شاعر قصيدة أو مقطوعة يحتذي فيها نصّاً لشاعر آخر، ينسج على منواله تكون على نفس الوزن والقافية والغرض[3]. وقد اشتهر شعراء المديح النبوي في العصر المملوكي بهــذا الفــن، حيث كان الشاعر المعارض يحتذي القصيدة المعارضة ويتتبعها بيتاً بيتاً منــذ بــدايتها وحتــى نهايتها، ويأخذ شكل القصيدة ووزنها وقافيتها، وقد يأخذ بعض معانيها وعباراتهــا[4]. وشــاعر المعارضة ينظم للإعجاب والتقليد والتقييم الفني، ليحدّد موضوع قصيدة كانــت لهــا مكانتهــا، وتكون المعارضة لشاعر معاصر أو لأزمان بعيدة الأمد[5]. وكانت قصيدة البردة التي قالها كعب بن زهير في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم واستعطافه، من أكثر القصائد التــي عارضــها شعراء المديح النبوي في العصر المملوكي، فقد قدَّمت قصيدة كعب للأدب العربي زخماً عظيماً في جميع مجالات اللغة العربية، حيث اعتنى بها أهل النحو والعلم والأدب والــدين والأخــلاق والجغرافيا، لكثرة الأماكن التي وردت فيها[6]. وكان البوصيري من الشعراء الذين عارضوها في قصيدةٍ سمّاها "ذخر المعاد في وزن بانت سعاد". فقد افتتح البوصيري قصيدته قائلاً[7]:

(البسيط)

إلـــى متـــى أنْـــتَ باللّـــذاتِ مشـــغولُ   وَأنْتَ عـــن كـــلِّ مـــا قـــدَّمتَ مَســـؤولُ

---

[1] يُنظر: حسين، محمد بن سعد: **المعارضات في الشعر العربي** (د.ط)، الرياض: النادي الأدبي، 1980م، ص51.

[2] يُنظر: يوسف، حسني عبد الجليل: **علم البديع بين الاتباع والابتداع.** (ط1). الاسكندرية: دار الوفــاء لــدنيا الطباعــة والنشر، 2007م، ص49.

[3] يُنظر: حسين، محمد بن سعد: **المعارضات في الشعر العربي**، ص30، يوسف، حسني عبد الجليل: **علم البديع ين الإتباع والابتداع**، ص49.

[4] يُنظر: محمد، محمود سالم: **المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي** (د.ط)، بيروت: دار الفكر، دمشق: دار الفكر، 1996م، ص358.

[5] يُنظر: نوفَلْ، محمد محمود قاسم: **تاريخ المعارضات في الشعر العربي.** ط1. بيروت: دار الفرقان، مؤسســة الرســالة، 1983م، ص14، 15.

[6] يُنظر: **المرجع نفسه**، ص160.

[7] **ديوان البوصيري**، ص172.

فِي كلِّ يــومٍ تُرَجّــي أنْ تتــوبَ غــداً   وَعقـــدُ عزمِــكَ بالتســويفِ محلـــولُ

وقد افتتحها بالنسيب، كما افتتح كعبٌ قصيدته، عندما قال[1]:

(البسيط)

بانَــتْ سُــعادُ فَقَلبــي اليــومَ متبــولُ   متــيَّمٌ إثْرَهــا لــمْ يُجــزَ مَكبــولُ
ومــا ســعادُ غــداةَ البــينِ إذْ رَحَلــوا   إلّا أغَــنُّ غَضــيضُ الطَّــرْفِ مَكحــولُ

ثم انتقل البوصيري، ليعطي حِكماً تدعو إلى الزهد في الحياة، وينتقل لمدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، يقول[2]:

(البسيط)

أنْفَقْــتَ عُمْــرَكَ فــي مــالٍ تحصِّــلُه   وما علــى غيْــرِ إثــمٍ مِنــكَ تَحصــيْلُ
والمصــطفى خيــرُ خلــقِ اللهِ كلهِــمُ   لــهُ علــى الرّسْــلِ ترجيــعٌ وتفضــيلُ

وهي معانٍ ذكرها كعبٌ في قصيدته، عندما قال[3]:

(البسيط)

كلُّ ابــن أُنثــى وإنْ طالَــتْ ســلامَتُهُ   يومــاً علــى آلــةٍ حَــدْباءَ محمــولُ

وكان غرض كعب من كل ذلك استعطاف الرسول صلى الله عليه وسلم ومدحه؛ فنظمها في ثمانية وخمسين بيتاً، سار فيها على طريقة الشعر القديم من غزل ووقوف على الأطلال ووصف الرحلة والراحلة، ثم الخلوص إلى الممدوح صلى الله عليه وسلم[4]، فقد انتقل إلى مدحه صلى الله عليه وسلم، وقال[5]:

---

[1] **ديوان كعب بن زهير**، ص12.

[2] **ديوان البوصيري**، ص173،172.

[3] **ديوان كعب بن زهير**، ص20.

[4] يُنظر: نوفل، محمد محمود قاسم: **تاريخ المعارضات في الشعر العربي**، ص156.

[5] **ديوان كعب بن زهير**، ص22.

(البسيط)

أُنبِئـــتُ أنَّ رســـولَ اللهِ أوعَـــدَني   والعَفْـــوُ عِنـــدَ رســـولَ اللهِ مـــأمولُ
إنَّ الرســـولَ لســـيفٌ يُستضـــاءُ بـــه   مُهَّنـــدٌ مِـــنْ ســـيوفِ اللهِ مســـلولُ

فقد جاءت قصيدة البوصيري على وزن قصيدة كعب وبحرها، وهو البحـر البسـيط، وكانت على نفس القافية وحرف الرويّ "اللام"، وفي غرضها نفسه، وهو غرض المديح النبوي، ولكنّ أبيات قصيدة البوصيري جاءت طويلةً، فقد وَصَلَت إلى مائتين وخمس أبيات، ويبدو تَمَثُّلُ قصيدة كعب بألفاظها وأبياتها واضحاً في قصيدة البوصيري، فقد أخذ عجز بيت كعب، عنـدما قال[1]:

(البسيط)

لا تُمسِكُ الـدّمْعَ مـن حُـزنٍ عُيـونُهُمُ   إلّـا كمـا يمسـكُ المـاءَ الغرابيـلُ

وهو مضمنٌ من بيت كعبٍ عندما قال[2]:

(البسيط)

وما تُمْسِـكُ بالوصْـلِ الـذي زَعَمَـتْ   إلّـا كمـا تُمْسِـكُ المـاءَ الغرابيـلُ

ويظهر أنّ البوصيري كان يأخذ بعض أعجاز أبيات كعب، ويضمّنها أبياته ويغيّر قليلاً في حروفها، فهو يقول أيضاً[3]:

(البسيط)

ليَقضـــيَ اللهُ أمـــراً كـــانَ قـــدَّرَهُ   وكـــلُّ مـــا قـــدّرَ الـــرحمنُ مفْعُـــولُ

فقد أخذه عن بيت كعب عندما قال[4]:

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص181.

[2] **ديوان كعب بن زهير**، ص13.

[3] **ديوان البوصيري**، ص183.

[4] **ديوان كعب بن زهير**، ص20.

(البسيط)

فَقُلْتُ خَلّوا طَريقي لا أبا لَكُمُ   فكُلُّ ما قدَّرَ الرَّحمنُ مفعولُ

وخشيةً من اتهام النقاد له بالسرقة والانتحال، فإنّه يعرض لهذه القضية، ويثبت أنّ غرضه مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنّ إعجابه بقصيدة كعب هو ما دفعه لمعارضتها، فيقول[1]:

(البسيط)

لَمْ أَنْتَحِلْها ولَمْ أغْصِبْ معانِيها   وغيْرُ مَدْحِكَ مَغصوبٌ وَمَنْحولُ
وما عَلَى قَوْلِ كعبٍ أَنْ تُوازِنَهُ   فَرُبّما وازَنَ الدُّرُّ المثاقيلُ

وقد اقتفى البوصيري أثرَ كعب حتى يتحقق له النجاح، ويغفر الله ذنوبه، يقول[2]:

(البسيط)

إنْ أقْفُ آثارَهُ إنّي الغداةَ بها   على طريقِ نجاحٍ منْكَ مَدْلولُ
لمّا غَفَرْتَ لهُ ذَنْباً وَصُنْتَ دَمَاً   لولا ذِمامُكَ أضْحى وهو مَطْلولُ
رَجَوتُ غفرانَ ذنبٍ مُوجِبٍ تَلَفِي   لَهُ مِن النفسِ إملاءٌ وتَسْويلُ

ثم ختم البوصيري مقدمته بالدعاء والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك جرياً على عادة شعراء المديح النبوي، ولكنّ كعب ختم مقدمته بمدح المهاجرين. وترى الباحثة أنّ قصيدة البوصيري تختلف عن قصيدة كعب، بقلة الوصف الحسّي في مقدمتها وخلّوها من الغزل الوصفي، حيث تظهر قصيدة البوصيري أكثرُ تأدّباً، وأصدقُ عاطفةً، مع اشتمالها على موضوعاتٍ جديدة، اختلفت بها عن قصيدة كعب، كالرد على اليهود والنصارى وهجائهم والحديث عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الخالدة على مرِّ الزمان.

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص184.

[2] **المصدر نفسه**، ص184.

وكان الشاعر ابن سيد الناس اليعمري من الشعراء الذين عارضوها بقصيدةٍ سمّاها "عدة المعاد في عروض بانت سعاد"، ومطلعها[1]:

(البسيط)

قَلبــــي يـــا أُهيـــلَ الحـــيِّ مَـــأهولٌ وَحَبْلُـــهُ بأمـــاني الوَصـــلِ موصـــولُ

فقد سار على نهج كعب في افتتاحها بالغزل والوقوف على الأطلال، ثم وصف الرحلـة والراحلة، وخلص إلى مدحه صلى الله عليه وسلم، وقد بناها على البحر البسيط، وعلى حـرف الروي "اللام"، وتطرق إلى الموضوعات التي تطرق إليها البوصيري من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر معجزاته، ووصف غدر اليهود وحقدهم.

أمّا الشاعر ابن نباته فإنّه عارض قصيدة كعب بقصيدة مطلعها[2]:

(البسيط)

مــا الطّــرْفُ بَعْــدَكُمُ بــالنومِ مكحــولُ هــذا وكــمْ بيننــا مــن ربْعكــم ميْــلُ

فقد افتتحها بالغزل، ثم وصف الرحلة والراحلة، وخلص إلى مدح المصطفى صـلى الله عليه وسلم، ومعجزاته، وصفاته، والحديث عن غدر اليهود وحقدهم، وقد نظمها علـى البحـر البسيط، وحرف الروي "اللام" معارضاً قصيدة كعب.

وعارضها أيضاً ابن جابر الأندلسي بقصيدة مطلعها[3]:

(البسيط)

بانَــتْ سُــعادُ فَعَقْــدُ الصّــبْرِ مَحْلــولُ وَالدمْعُ فــي صَــفَحاتِ الخَــدِّ مَبْــذولُ

حيث يفتتح القصيدة بمقدمة غزلية، ويصف رحلته ومشقته في الوصول إلى سعاد، ثـم ينتقل لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ليكون مدحه راحة له، كما كان مدح كعب رسول الله

---

[1] **ديوان بشرى اللبيب بذكرى الحبيب**، ص242.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج3، ص83.

[3] **المصدر نفسه**، ج3، ص93.

صلى الله عليه وسلم راحة له واستعطافاً من الرسول صلى الله عليه وسلّم حتّى يعفُوَ عنه. وقد جاءت القصيدة على البحر البسيط، وحرف الروي هو اللام المضمومة.

وتجنباً للإطالة والتكرار فقد وقفت على قصيدة البوصيري التي عارض فيها قصيدة كعب بن زهير فقط، وأشرت إشارةً سريعة إلى القصائد الأخرى التي عارضتها.

التناص مع المثل

وهو كل بيتٍ تضمّن مثلاً من الأمثال[1]، حيثُ يُعدُّ المثل نصاً أدبياً، يحكي تجارب أمم سابقة، ويوحي بأخبارها، وقصصها، لذلك عاد إليه الشعراء ووضعوه في أشعارهم بما يتوافق والمعنى الذي طرقوه، فهو تراثٌ أدبي، يمكن الرجوع إليه والإفادة من معناه، وهذا ما فعله ابن الوردي، فقد استلهم التراث الشعبي في قصيدته التي قالها في مدح الزملكاني، فوظف المثل في قصيدته، وختمها به عندما خاطب الزملكاني بقوله[2]:

(الطويل)

ولو عَقَلَ الإنسانُ لمْ يهْدِ مَدْحَةً إليكَ "وهلْ يُهدى إلى هجرٍ تمرُ"

فبعد كل ما قدمه له من مديح يعتذر؛ لأنّه مهما قدّم من مديح يظلُّ مقصراً عن إعطائه حقِّه؛ فهو شخصية كاملة، لا تحتاج لشهادة شاعر، كما أنَّ هجرَ لا يُهدى لها تمرٌ، لأنّها تشتهر بزراعة النخيل، فقد استعار الشاعر هذا المثل من المثل القديم القائل: "كمُستبضِعِ التمرِ إلى هَجَرْ"[3]؛ لتحقيق المعنى الذي أراده في مخاطبته الزملكاني ومدحه له.

[1] ابن الأثير، ضياء الدين: **الوشي المرقوم في حلِّ المنظوم**، تحقيق: جميل سعيد، (د.ط)، بغداد، المجمع العلمي العراقي، 1989م، ص58.

[2] ابن الأثير، ضياء الدين: **الوشي المرقوم في حلِّ المنظوم**، ص298.

[3] الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم: **مجمع الأمثال**. ج2. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،ط2، مصر: السعادة، 1959م، ص152.

ثالثاً: التناص التاريخي

وَ يُقصد به تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاة مع النص الشعري، وتكون منسجمة مع السياق الشعري؛ لتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما معاً، ويكون ذلك باستحضار حدث أو قصة تاريخية، أو شخصية تركت بصمة واضحة في الذاكرة، فيحصل التفاعل بين الماضي والحاضر، ولكنّ القارئ الواعي يستطيع إقامة خيوط التواصل بين الماضي والحاضر، وهو لا يقصد تسجيل الماضي لإحيائه، وإنّما يعنيه أن يعبّر عن ذاته وواقعه[1]. وتعالق شعراء المديح النبوي مع التاريخ، واستعاروا منه قصصاً تاريخية، وظّفوها في قصائدهم، ففي سياق حديث الشهاب محمود الحلبي عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فإنّه يذكر قصة بحيرا الراهب فقد جاء أنّ أبا طالب خرج تاجراً إلى الشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان عمره تسع سنين، ثم نزلوا في طريقهم ببُصرى من أرض الشام، وبها راهب يتعبّدُ في صومعة يُدعى بحيرى، وكانوا يمرون به في كل عام، ولا يكلمهم، ولكنّه في هذه المرة أعدَّ لهم الولائم ودعاهم، فقد رأى رسول الله وهو في صومعة وغمامة تظلّله، وأمر أن يحضروا جميعاً صغيرهم وكبيرهم، وأصرَّ على حضور محمد صلى الله عليه وسلم، وأخذ يسأله عن هيئته وعن إمارات النبوة، ورأى خاتم النبوة بين كتفيه، فعاد إلى عمه أبي طالب، وبشّره بأنّه سيكون له شأنٌ عظيم، ونصحه أن يبعده عن اليهود فقد حذّره منهم ومن مكرهم بعد أنْ تأكّد من نبوته[2]. وقد تناص الشاعر مع هذه القصة، حيث يقول[3]:

(الكامل)

ورأى بحيرا رَكْبَ مكّة فوقَهُمْ	**ظِلُّ الغمامةِ يشبهُ الإكليلا**
ورآك والأشجارُ حولَكَ سُجّداً	**لكَ حيثُ مِلْتَ تفيأَتْ لتميلا**

---

[1] يُنظر: حسنين، نبيل علي: التناص **دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض جرير والفرزدق والأخطل**، ص252.

[2] يُنظر: ابن هشام، جمال الدين ابو محمد عبد اللة بن يوسف: **السيرة النبوية**. ق1، ج1، ص180-182.

[3] **ديوان أهناالمنائح في أسنى المدائح**، ص65.

ثم يركّز على تحذير الراهب لأبي طالب من كيد اليهود للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن في قصيدة أخرى، يقول[1]:

(البسيط)

هـذا النَبـيُّ الـذي قـدْ كـانَ بشَّـرَنا عيسى بهِ، وَأَتْـت مـنْ بعـدِه الحِقَـبُ
فارجعْ بهِ واحذَر القومَ اليهـودَ علـى عِرفانِـهِ، فهْـوَ عنْـدَ الكـلِّ مرتقَـبُ

فقد اغترف الحلبي من قصص التاريخ؛ ليثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في جداله لليهود. أمّا ابن سيد الناس اليعمري، فإنّه يستحضر شخصيات تاريخية، أسهمت في الدفاع عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومساندته، وتقديم الأموال له مثل:"ابن الهيّبان، ونجل سلام، ومخيريق" [2]. ويقف صفيُّ الدين الحليّ عند شخصية ابن ذي يزن[3]، الذي آمن ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك في سياق حديثه عن معجزاته صلى الله عليه وسلم، زاجراً اليهود عن غدرهم به، يقول[4]:

(الكامل)

وغدا ابـنُ ذي يَـزَنٍ بِبَعثِـكَ مؤمِنـاً سـرّاً ليَشْـهَدَ جَـدُّكَ الـدَّيانُ

وقد شهد جد الرسول صلى الله عليه وسلم، عبد المطلب على ذلك، وكان ذلك تنبؤاً بنبوته عندما كان طفلاً صغيراً.

رابعاً: التناص العلمي

أخذ العرب النظم العلمي في القرن الثاني الهجري عن الهنود الذين أولعوا بهذا الفن، وقد استمر النظمُ العلمي حتى العصر المملوكي الذي شهد إعجاب الناس به وبكثرته وشيوعه،

---

[1] **ديوان أهناالمنائح في أسنى المدائح**، ص67.

[2] يُنظر: **الفصل الثالث من الدراسة**، ص100،63

[3] هو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري من ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم قيل اسمه معد يَكْرُبْ وُلد ونشأ في صنعاء، وفدت عليه أمراء العرب تهنئه عندما أصبح ملك اليمن، فمكث في الملك نحو 25 سنة ثم تآمر عليه الأحباش فقتلوه بصنعاء، قيل إنه ولد في 110 ق.هـ، وتوفي سنة 50 ق.هـ. يُنظر: السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي، (ت581هـ): **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، ج1، ص51.

[4] النبهاني، يوسف بن إسماعيل **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**. مج4، ص200.

وكان هذا بسبب نشاط الحركة العلمية، فقد كان عصر المماليكِ عصراً ذهبياً لهذا النظم[1]. وقد اختلف موقف نقّاد العصر المملوكي من هذه الظاهرة بين مؤيد ومعارض، فقد أيّد أربعة نقاد النظم العلمي، وهم: العلوي الذي استحسن استعمال المصطلحات العلمية، ورأى القلقشندي أنّه يمكن استغلال المصطلحات العلمية والإفادة منها في الشعر، ومثله ابن حجة الذي استحسن ترصيع اللغة الأدبية بالمصطلحات العلمية، وأطلق على ذلك "التوجيه"، أمّا النواجي فإنّه لا يرى بأساً من استعمال المصطلحات العلمية في الشعر، وكان حازم القرطاجي ممن عارضوا استعمال المصطلحات العلمية في الشعر؛ لأنَّ ذلك لا يؤثر في الجمهور أيَّ تأثير، ولا يحسن المتلقي تلقيها إلّا إذا كان متخصصاً في ذلك، وكان يحيى بن خلف ممّن عارضوا استخدام المصطلحات العلمية في الشعر[2]. أمّا المقصود به فهو أنْ يضمّن الشاعر بيته ذكر ألفاظ تختص بعلم من العلوم من نحو وحسابٍ أو طبٍ أو غير ذلك[3].

وشاعت في العصر المملوكي ظاهرة أخذ الشعراء من مصطلحات العلوم[4]، فقد وظّف ابن الوردي في القصيدة سابقة الذكر مصطلحات نحوية عندما وصف حال اليهود، يقول[5]:

(الطويل)

فإنْ أُبْدلتْ عنْ صوْتِ قرنٍ مؤذّناً فإبدالُ تعريفٍ من اسم لهُ نُكْرُ
صَرَفْتَهُمْ عن ربْعِها إذْ أَضَفْتَهُمْ إلى الذُّلِّ والمصروفُ يَدْخُلُهُ الكَسْرُ

فقد وظّف الشاعر مصطلحاتٍ نحوية مثل" الإبدال، والتعريف، والتنكير" وقد جاءت في موضعها، حيث تبدل صوت الأذان والحديث في الكنيسة بصوت اليهود في ترانيمهم وسخريتهم، ثم يتحدث الشاعر عن قاعدة نحوية أخرى، ويشير إلى الاسم الممنوع من الصرف، الذي يصبح مصروفاً إذا أُضيف، وهذا ما حصل لليهود، فقد صرفهم الزملكاني عن الكنيسة بعد إضافتهم إلى

---

[1] يُنظر: الهيب، أحمد فوزي: **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء**، ص349، 350.
[2] يُنظر: قلقيله، عبده عبد العزيز: **النقد الأدبي في العصر المملوكي**، ص287-292.
[3] يُنظر: ابن الأثير، ضياء الدين: **الوشي المرقوم في حلِّ المنظوم**، ص69.
[4] يُنظر: عبد الرحيم، رائد: **فنُّ الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي**، ص352.
[5] **ديوان ابن الوردي**، ص294.

الذل والهوان، ومن المعلوم أنّ الممنوع من الصرف إذا صُرِفَ يجرّ بالكسرة، العلامة الرئيسة للجر، لأنه إذا كان ممنوعاً من الصرف فإنّه يجر بالفتحة، فبعد صرف اليهود عنها أُضيفوا إلى الذل فدخلهم الكسرُ.

وقد كان الشاعر موفقاً في هذا الاستيحاء حيث جاء المعنى ملائماً لوصف حالة اليهود بعد تحويل كنيستهم داراً للحديث.

ويستعير ابن الوردي من مصطلحات الرياضيات والهندسة، ليعبر عن شعوره في قيامه بمهمة القضاء، يقول[1]:

(الطويل)

أيا أوحدَ الإسلامِ إنّي مُعوِّلٌ عَليْكَ وما المملوكُ في قصْدِهِ غَرُّ
فوجْهُكَ إنْ قابلتُهُ أو رأيتُهُ يكونُ لقَلبي بالمقابلةِ الجبرُ

ففي مصطلح "المقابلة أو الجبر" اقتباس، وفي المصطلح تورية فهو لا يقصد هذا المعنى لأنّه قريب غير مقصود، أمّا المعنى البعيد المقصود، فهو شعوره بالسعادة والفرح لمقابلة شخص يوحِّدُ الله ولا يشرك به شيئاً.

ج. المحسِّنات البديعية

انتشر استخدام البديع في العصر المملوكي انتشاراً واسعاً، وأصبح من أهداف الشعراء وغاياتهم[2]، أمّا عوامل شيوع هذه الظاهرة، فقد تنوعت بين: أدبية، وفكرية، واجتماعية، وأثّر ديوان الإنشاء في الأدب، في شيوع الصنعة، وكان للنقاد والأدباء دورٌ في شيوع الصنعة، أمّا المجالات الاجتماعية، فقد أثّرت في انتشار البديع، من حيث شيوع الحضارة والترف المبالغ فيه، ما جعل الشعراء يتجهون إلى الزخرفة[3]. وقد أثْرَتْ المدائح النبوية البلاغةَ العربية من حيث

---

[1] **ديوان ابن الوردي**، ص297.

[2] يُنظر، الفقي، محمد كامل: **الأدب في العصر المملوكي**، ص153.

[3] يُنظر: عبد المهدي، عبد الجليل: **بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية**، ص295.

البديعيات، فهي تدل على اهتمام عظيم بفنون البديع[1]، وقد شغف شعراء العصر المملوكي الذين تحدثوا عن اليهود بفنون بديعية أفادتهم في نقل صورهم ومعانيهم، والتأثير في السامع. فقد قُسّمت إلى محسّناتٍ بديعية معنوية وأخرى لفظية.

- **المحسّنات المعنوية:** يُقصدُ بها تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، وتهدف إلى تحسين المعنى أولاً، وقد يفيد بعضها تحسين اللفظ[2]. ومن أمثلتها: الطباق، والمقابلة، والتورية، والتقسيم، فقد ظهرت هذه الأنواع في الشعر الذي تحدث عن اليهود. أمّا الطباق، فهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام[3]، وهو ينقسم إلى طباق إيجاب وطباق سلب[4]. ويكسب الطباق العمل الأدبي قيمة جمالية، فهو يمكّن الأديب من المقارنة بين موقعين متناقضين، وصورتين متخالفتين، ويعمل على جذب انتباه السامع، بسبب الأخيلة والصور الشعرية التي ينتجها، ما يجعل المتلقي ينتقل من صورة أو معنى إلى صورة ومعنى مضاد له[5].

وقد أكثر الشعراء من استخدام هذه الحلية البديعية في أشعارهم، وكان البوصيري من أكثر الشعراء الذين رصّعوا قصائدهم بها، يقول[6]:

(الخفيف)

صَدَّقوا كُتْبَكُمْ وكَذَّبتُمْ كُتْبَهُمُ   إنَّ ذا لبِئسَ البَواءُ

---

[1] يُنظر: مطلوب، أحمد: **أثر المدائح النبوية في البلاغة العربية**، ، ع4، مج91981م، ص62.

[2] يُنظر: عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**. (د.ط)، بيروت: دار النهضة العربية، 1985م، ص76.

[3] يُنظر: ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله محمد بن سعيد الحلبي(ت466هـ): **سرّ الفصاحة**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين. ط1، لبنان: ناشرون، 2010م، ص14، السكاكي، أبو بكر محمد بن علي(ت 626هـ): **مفتاح العلوم**، (د.ط) (د.م)، (د.ت)، ص423، ابن الأثير، نجم الدين أحمد بن إسماعيل (737هـ): **جوهر الكنز**، ص84، السبكي، بهاء الدين(777ه): **عَروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، ج2، ص228، الصعيدي، عبد المتعال: **بغية الايضاح لتلخيص المفتاح**، ج4. القاهرة: مكتبة الأديب، (د.ط). (د.م)، (د.ت)، ص4.

[4] يُنظر: السبكي، بهاء الدين: **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج2،(د.ط) بيروت: المكتبة العصرية، 2003م، ص228.

[5] يُنظر: عبد الرحيم، رائد مصطفى: **فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي**، ص380.

[6] **ديوان البوصيري**، ص13.

فقد أسهم التضاد بين "صدّقوا، وكذّبتم" في كشف موقف اليهود مـــن كتـــب النصـــارى والمسلمين السماوية من حيث تكذيبها، في حين صدَّق النّصارى والمسلمون الكتبَ التي أُنزلـــت على أنبياء بني إسرائيل، وقال يمدح الرسول ،صلى الله عليه وسلم،[1]:

(المديد)

كانــــــتِ الأرْضُ مَواتـــــــاً فَأَحْيَـــــــا   بالحيـــا منْهـــا المَـــواتَ انسِـــكابَا

فقد عبّر عن حالة الأرض قبل ولادة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ولادتـــه، من خلال الجمع بين "مواتا، وأحيا".

وقد جاء الطباق في غير موضع من مواضع حديث البوصيري عن معجزات الرســـول محمد صلى الله عليه وسلم، يقول في حادثة سمّ الرسول صلى الله عليه وسلم، ونجاته منها[2]:

(الكامل)

وبـــأنْ يكلِّمَـــهُ الـــذراعُ وكيـــفَ لا   يُفضـــي إليْـــهِ بســـرِّهِ وَيَبـــوحُ

فقد أسهم الضدان" سره، ويبوح" في تقوية المعنى، وبيان معجزته صلى الله عليه وســـلم من نطق الذراع بالسرِّ، وحديثها عن السمّ الذي وضعته فيه الخيبرية اليهودية.

ويقول الشهاب الحلبي، في سياق تعداده معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم[3]:

(الخفيف)

ثـــمّ أعمـــاهُ مُلْكُـــهُ عَـــنْ هُـــدىً لا   حَ فأصْـــغى إلـــى ضَـــلالِ اللّـــواحي[4]

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص33.

[2] **المصدر نفسه**، ص56.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج1، ص596.

[4] اللواحي: من الفعل (لحى) ومعناه (لامَ) اللواحي: اللوائم، **لسان العرب**. مادة (لحا).

ويشير في ذلك إلى هرقل ملك الروم، الذي علم بمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنّه ضل عن الحق المستقيم، فاستخدام الشاعر للفظتي "هدى، وضلال" كشف عن موقف هرقل من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

أمّا ابن الوردي، فقد أكثر من استخدام الطباق، وبخاصة في مجادلته لليهود، يقول في إنقاذ كنيسة اليهود[1]:

(الطويل)

أصاخَتْ إلى دارِ الحديثِ وأنصَتَتْ وكانَ بها عَنْ سَمْعِ كُفرِهِمُ وَقْرُ
وكيفَ تخافُ النَّقصَ عندَ كمالِها وقدْ صارَ من قاضي القضاةِ لَها ذُخرُ

فقد أسهمت الكلمات المتضادة "سمع، ووقر"، و"النقص، وكمالها" في عقد مقارنة بين حال المدرسة عندما كانت كنيسة لليهود، وبعد أن أصبحت داراً للحديث.

ويقول تقي الدين علي السبكي[2]، في حديثه عن فتح خيبر[3]:

(الطويل)

وَقُلتُ عليٌّ سوف يفتَحُ في غدٍ بِخيبَرَ حصناً فارتقاهُ بغُدوةِ
وأذهَبَ عنه الحرَّ والبردَ دعوةٌ كما عُوفِيَتْ عيناهُ منْكَ بِتفْلَةِ

فقد استخدم "الحر، والبرد" ليبين حالة الجو التي فُتحت بها خيبر، فلم تكن حارّة ولم تكن باردة، وإنّما كان طقسها معتدلاً، وهذا تأييدٌ من الله عز وجلَّ للرسول محمد صلى الله عليه وسلم. فقد أسهم الطباق في الأمثلة السابقة في تثبيت المعنى في النفس؛ لأنَّ الضد أقرب حضوراً

---

[1] **ديوان ابن الوردي**، ص295.

[2] هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن سليم السّبكي، تقيّ الدين أبو الحسن الشافعي، وُلد سنة 683هـ، وتفقه على يد والده، ودخل القاهرة، اشتغل في الفقه، والنحو، والقرءات، ولي القضاء بدمشق في سنة 739هـ، جمع ولده فتاويه، ورتبها في أربع مجلدات، لما مرض تنازل عن القضاء لولده تاج الدين، ثم رحل إلى القاهرة، وأقام بها إلى أن مات سنة 756هـ، يُنظر: ابن حجر، شهاب الدين أحمد: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج3، ص134-141.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج1، ص528-529.

بالبال إذا حضر ضده[1]. كما أنّ ذكر المعنيين المتضادين يعطي المعنى شمولاً وتعميماً[2]. فضلاً عن البهجة والرونق اللّذين يتحققان في الشعر بفضل الطباق[3].

ومن المحسّنات البديعية المعنوية الأخرى التي وظفها الشعراء في قصائدهم المقابلة، وهي "أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، بما يقابل ذلك على الترتيب"[4]. ما يضفي جمالاً على النص الشعري، ويحقق تثبيت المعنى بكثرة المتضادات، ويجعل المتلقي يرسم الصورة المكتملة التامة، فتؤثر في نفسه.

يقول البوصيري واصفاً النار التي اشتعلت في الحرم النبوي سنة 654هـ، ويردُّ على اليهود ادعاءاتهم وحقدهم على المسلمين، ويصف النار ويشبهها بنار جهنم التي ستحرقهم[5]:

(الطويل)

فما اسودَّ من ليلٍ غـدا وهْـوَ أبـيضٌ وما ابيضَّ مِنْ صُبحٍ غدا وهـو مسـوّدٌّ

فالشاعر يقابل بين ما فعلته النار بضوئها في وقت الليل، فقد تحوّل الظلامُ نهاراً، وبين الصبح المشرق الذي غدا أسود، بعد أن أحرقت النار كل ما أتت عليه. أما تقيّ الدين على السبكي، فإنه ينظم قصيدة مدحية للرسول صلى الله عليه وسلم، يستهلها بالحديث عن نفوس الكفار التي ابتعدت عن الهداية وأرادت الضلال، والشاعر يحاول إقناعها بالهداية[6]:

(الطويل)

إذا دُعِيـت للشـرِّ لبّـت وأقْبَلَـتْ وإنْ دُعِيَـت للخيـرِ فـرّت وولّـتِ

---

[1] يُنظر: العالم، إسماعيل أحمد: **دراسة نقدية في الشعر الأموي** (د.ط). مصر: هيئة النيل للنشر والتوزيع، 2008م، ص55.

[2] يُنظر: حسين، عبد القادر: **فن البديع**، (د.ط)، القاهرة: دار غريب. 2008م، ص48.

[3] يُنظر: عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**، ص82.

[4] ينظر: السبكي، بهاء الدين: **بغية الإيضاح في شرح تلخيص المفتاح**، ج2، ص231.

[5] **ديوان البوصيري**، ص64.

[6] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج1، ص517.

فيقابل بين قبول تلك النفس للشر وتلبية دعوته، وفرارها ورفضها للخير إنْ دُعيت لـــهُ، ليبين لنا صفات تلك النفس.

ومن الفنون البديعية الأخرى التي اشتهر بها شعراء العصر المملوكي، التوريـــة، فقــد كانت ظاهرة مبنية على المداعبة والفكاهة، ومسرحاً للتنفيس عن مكبوتـــاتهم، فهـــي توصـــل الغرض بالسخرية والنقد، فتكون شفاءً للنفوس، وعلاجاً لأزمات العصر، فلا مخـــرج منهـــا إلا بالتلاعب باللفظ؛ لأنّ التصريح قد يعرّض صاحبه للمساءلة والمحاسبة من الحكّام[1].

والتورية فن من فنون البديع المعنوي[2]، وهي أن يكون للكلمة معنيـــان، قريـــب غيـــر مقصود وآخر بعيد وهو المقصود[3]، ومنهم من يسمّيها الإيهام والتّوجيه والتخيير[4] وقـــد أَطلـــق عليها المتأخرون السحر الحلال، فهي تنفث سحرها في القلوب[5] ومن الشعراء الـــذين رصّـــعوا شعرهم بهذه الحلية، علاء الدين الوداعي، يقول في الحكيم اليهودي أُسيدة لمّا عالج الأمير علـــم الدين سنجر الدّواداريّ[6]:

(البسيط)

يـــا قـــومُ إنَّ الـــدّواداري متَّبـــعٌ   فـــي فضـــلهِ أَنبيـــاءَ اللهِ مجتهـــدُ

كأنّـــــهُ دانيـــــالُ فـــــي كرامَتِـــــهِ   ذلَّـــت لـــه الأُســـد حتـــى طبَّـــهُ أَسَـــدُ

---

[1] يُنظر: الصفدي، خليل بن أيبك: **فضُّ الختام عن التورية والاستخدام**، تحقيق: عبد العزيز الحنـــاوي، ط1. مصـــر: دار الطباعة المحمدية، 1979م، ص57.

[2] يُنظر: عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**، ص94.

[3] يُنظر: ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله: **سر الفصاحة**، ص14، ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبـــد الواحـــد: **تحريرالتحبير في صناعة الشعر والنثر**، ج2، ص268، ، ابن الأثير، نجم الدين أحمد بـــن إســـماعيل: **جـــوهر الكنـــز**، ص111، المؤيد، يحيى بن حمزة بن علي: **الطراز**، ج3، ص62، عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**، ص94.

[4] يُنظر: الغرناطي، أبو جعفر شهاب الدين أحمد بن يوسف (ت 779هـ): **طراز الحلّة وشفاء الغُلّة**، ص447. الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن حجة(ت 837هـ): **خزانة الأدب وغاية الأرب**. مج2، ص39.

[5] يُنظر: الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن حجة: **خزانة الأدب وغاية الأرب**. مج2. ص40.

[6] يُنظر: الصفدي، خليل بن أيبك: **أعيان العصر وأعوان النصر**، ج1، ص489: **الوافي بالوفيات**، ج9، ص8-9.

فقد جاءت التوريةُ في كلمة "أَسَدُ" حيث يشير المعنى القريب إلى الأسد الحيوان، وهــذا المعنى غير مقصود، وقرينته "الأُسْدُ"، أمّا البعيد وهو المقصود، الحكيم اليهودي "أسَد" المعروف بأسيدة، والقرينة "دانيال" الذي أرسله الله إلى بني إسرائيل، وأعطاه الله من كرامات الأنبياء.

ويقول ابن الوردي متغزلاً في فتى عبري، وقد أكثــر مــن غزلِــه بغلمــان اليهــود والنصارى[1]:

(السريع)

لقَــدْ ســبى بــالنّورِ شَــمْسَ الضّــحى فَهَـــلْ أتــــى مِـــنْ آلِ عمرانـــا

فقد جاءت التورية في أسماء السور القرآنية "النور، والضحى، وآل عمران"، وهذا هو المعنى القريب، ولكنّه غير مقصود، فالشاعر يتغزل بجمال فتىً يهودي، فقد قصد بالنور لمعان بشرة هذا الفتى من شدة بياضه، فكان أنقى، وأكثر لمعاناً من الشــمس فــي وقــت الضــحى، فالمقصود بالضحى، وقت الضحى قبل الظهيرة، ثم يتساءل إن كان هذا الفتى قد جاء مــن "آل عمران" أي هل هو من آل عمران الذين ذُكروا في القرآن الكريم، وكانت مريم التــي أنجبــت عيسى عليه السلام منهم، أي هل هو من نسلهم لشدة جماله.

ويقول ابن نباتة، في مديحه للرسول صلى الله عليه وسلم[2]:

(البسيط)

ماذا عَسَــى الشُّــعراءُ اليــومَ مادِحــةً مِــنْ بعْــدِ مــا مَــدَحَتْ "حــمُ تنزيــلُ"

فالتورية في كلمة "الشعراء"، حيث يشير المعنى القريب، إلى سورة "الشعراء" في القرآن الكريم، بدليل القرينة "حم تنزيل" وهي الآية الأولى من سورة الجاثية، و" تنزيل" الكلمة الأولــى من الآية الثانية، ولكنّ المعنى البعيد والمقصود من" الشّعراء" هم الشعراء الذين كتبوا في مديح

---

[1] **ديوان ابن الوردي**، ص411.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج3، ص85.

الرسول صلى الله عليه وسلم. فيظلُّ مدح الشعراء، مقصّراً عمّا جاء في القرآن الكريم من مدح للرسول صلى الله عليه وسلم وذكر صفاته.

ويقول مجد الدين بن مكانس، مادحاً، حبراً يهودياً اسمه داوود[1]:

(الكامل)

الـــــنّجْمُ داوودُ الحلـــــيمُ مُـــــدَرَّبٌ   فـــي جمْـــعِ شـــمْلِ العاشـــقينَ فريـــدُ
لانَـــــتْ لَـــــهُ القلـــــوبُ وكيْـــفَ لا   إنَّ الحديـــــــــدَ ألانَـــــــــهُ داودُ

فقد جاءت التورية في كلمة "داودْ" في البيت الثاني، حيث أشار المعنى القريب إلى النبي داوود عليه السلام، بدليل قرينة "إنّ الحديد ألانه"، وهذا المعنى غير مقصود، أمّا المعنى البعيد وهو المقصود، فهو"داوود" الحَبر الذي يشير إليه الشاعر في مديحه، وقد مدحه في غير موضع من ديوانه.

أمّا التقسيم، فهو محسِّنٌ بديعيٌ معنويٌ آخر وظَّفَه الشعراء في قصائدهم، وهو من فنون البديع المعنوية، ويعني تقسيم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه[2]. ويعمل التقسيم على توفير إيقاعاتٍ ناتجة عن الوقفات التي تلاحظ عند قراءة النص، وعن استواء مقادير الجمل المقسّمة، واتفاقها أحياناً في الوزن، وتكرار القوافي[3].

يقول الصرصري مادحاً الرسول صلى الله عليه وسلم، ممجّداً صفاته[4]:

(الكامل)

سَـــــعِدَت بِـــــهِ أولادُهُ ونِســـــاؤهُ   وصِـــحابُهُ وزَكَـــتْ بِـــهِ أصـــهارُهُ
وَسَـــــمَتْ بِـــــهِ غلمانُـــــهُ وَإمـــاؤُهُ   وَجـــــوادُهُ وبعيـــــرُهُ وحمِـــــارُهُ

---

[1] ابن مكانس، مجد الدين: **ديوان مجد الدين بن مكانس**، مخطوط (ميكروفيلم) (الجامعة الأردنية، ورقة 14.

[2] عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**، ص103.

[3] يُنظر: عبد الرحيم، رائد: **فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي الأول**، ص388.

[4] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج2، ص104.

فالشاعر يفصّل في الأقسام التي سعدت بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فقد سُرَّ به أولادُهُ، ونساؤه، وأصحابه، وقد ارتفعت بفضله عبيدُه، وحتى الحيوانات من الجـواد والبعيـر والحمار.

ويصف الشهاب الحلبي نتيجة معارك الرسول صلى الله عليه وسلم مع أعدائه، فيقول[1]:

(الخفيف)

فغَـدوا غيرَهـاربيهمْ فـريقين فَقتْلـى علـى الثّـرى وأُسـارى

فلم يهرب أحدٌ من أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنّما كانت نتيجة المعركـة، انقسام الأعداء على فريقين، منهم من وقع قتيلاً، ومنهم من وقع أسيراً. فربما قصد الشـاعر أن يقسم الأصناف التي لم تهرب فقسّمها إلى قسمين، وهذا يعني أنّ هناك قسماً ثالثاً قد هرب، ولـم يوضح شيئاً عن مصير من هربوا هل كانوا جرحى أم لم يصابوا بأذى.

فقد أسهم التقسيم في حصر جوانب المعنى وتعدادها في ذهن السامع أو القاريء.

- **المحسّنات اللفظية**

وهي محسّنات تعمل على تحسين اللفظ أولا، وإن كانت تفيد تحسين المعنى أيضاً[2]. ومن الأمثلة عليها: الجناس، ورد العجز على الصدر، ولزوم ما لا يلزم، والموازنة.

أمّا الجناس، فهو من المحسّنات البديعية اللفظية، وهو تشابه الكلمتين فـي اللفـظ، مـع اختلاف معنيهما[3].

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج2، ص150.

[2] يُنظر: حسين، عبد القادر: **فن البديع**، ص33.

[3] الخفاجي، ابن سنان: **سرّ الفصاحة**، ص13، السكاكي، أبو بكر محمد بن علي: **مفتاح العلـوم**، ص429. ابـن الأثيـر الحلبي، نجم الدين أحمد بن إسماعيل: **جوهر الكنز**، ص91، الصعيدي، عبد المتعال: **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح**، ج4، ص69.

يقول البوصيري في وصف الأحزاب الذين وقفوا ضد الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق[1]:

(الخفيف)

حـــــالفوهُم وخــــــالفوهُم ولـــــمْ أدْ   رِ لمــــــاذا تخــــــالف الحلفـــــاءُ

فقد أفاد الجناس بين "حالفوهم، وخالفوهم" في وصف ما حلَّ بـــالأحزاب مـــن الفرقـــة والتشتت وكيف خذل الله اليهود الذين حاولوا خداع النبي صلى الله عليه وسلم، وحالفوهم تفيـــد التوحد على عكس خالفوهم التي تفيد التشتت والتفرقة. وقد أضاف الجناس أيضاً حساً موســـيقياً على البيت.

ويقول علاء الدين الوداعي، في الشيخ أبي عليّ هود، وقد غدر به اليهـــود، وأدخلـــوه مجلس خمر حتى شرب وسكر، بسبب إسلام جماعة كبيرة منهم على يديه[2]:

(مجزوء الرجز)

قـــــالوا ابـــــنُ هــــودٍ قــــدْ غــــدا   سَــــكرانَ مِــــنْ خمْـــرِ المعــــازفْ
وأعيـــــــــــــــذُهُ لكنّـــــــــــــــهُ   سَــــكرانَ مــــن خمْـــرِ المعـــارِفْ

وقد أفاد الجناس بين "المعازف والمعارف" في تحقيق نغمة موسيقية أسهمت في شدّ انتباه السامع.

وكان الشهاب الحلبي من الشعراء الذين أكثروا من هذه الحلية في قصائدهم، في مديحه للرسول صلى الله عليه وسلم، وردّه على اليهود، يقول[3]:

(الطويل)

وصــــدّقَهُ مِــــنْهُمْ نفــــوسٌ زكيَّـــــةٌ   نهاهـــا فَلَـــمْ تبْـــغِ العنـــادَ نُهاهـــا

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص17.

[2] الصفدي، خليل بن أيبك: **أعيان العصر وأعوان النصر**، ج2، ص203.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج4، ص285.

ويشير بذلك إلى أحبار اليهود الذين رأوا نبوته، ورعـوا أقـوامهم، ولكـنّهم رفضـوا الإعتراف بذلك، فقد جانس الشاعر بين الفعل "نهاها" والاسم "نُهاها" ليبين أنّ من كان يفكر بعقله من الأحبار وغيرهم، لم يكذِّب بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنها جاءت متوافقة مع العقل والقلب، فضلاً عن تحقيق نغمة موسيقية تطرب لها الأسماع بوجود كلمتين متجانستين في اللفظ وتوحيان بمعنيين مختلفين.

ثم يصف في موضع آخر كيف دافع المسلمون عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك في سياق ردّه على مزاعم اليهود وحقدهم، يقول[1]:

(الخفيف)

والتقَـوْا بالصُّـدورِ عنْـهُ أذى الكُفـرِ ولـمْ يرهبُـوا صُـدورَ الصِّـفاحِ

فمجانسة الشاعر بين "الصُّدور" و "صُدور" كشفت صـدق مـن أسـلموا، وتضـحيتهم بأرواحهم في سبيل الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن دعـوة الإسـلام، وكشـفت شجاعتهم وعدم خشيتهم من السيوف والرماح، إضافة إلى إغناء الموسيقى الداخلية في البيت.

ويستغلُّ ابن الوردي هذا المحسِّن البديعي، ليعبِّر عن سخطه من أطباء اليهـود الـذين يعالجون المسلمين، فيقول متهكّماً ساخراً[2]:

(السريع)

أيُّ مـريضٍ طبّـهُ طمَّـهُ وأيُّ طـرْفٍ ذرَّهُ ضـرَّهُ

فقد اشتمل البيت على أربع كلمات وقع فيها الجناس، حيث جانس بين "طبّـه، وطمّـه" ليشير إلى أنّ طبّ اليهود يودي بهلاك المسلمين، وجانس بين "ذرَّه وضرَّه"، ليشـير إلـى أنَّ الطبيب اليهودي الذي يشتغل بتكحيل عيون المسلمين، فإنّه سيضرهم ويعمي بَصـرهم، لؤمـاً وحقداً، وانتقاماً من المسلمين.

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج1، ص594.

[2] **ديوان ابن الوردي**، ص265.

لذلك كان الجناس من المحسنات البديعية اللفظية التي تحقق توازناً في الموسيقى الداخلية للقصيدة،وتثير انتباه السامع، وعلى الرغم من أنها حلية لفظية إلّا أنّها تؤثر في المعنى.

ومن المحسنات البديعية اللفظية الأخرى التي ظهرت في شعر العصر المملوكي، وكان لها تأثير في الموسيقى الداخلية للقصيدة "ردُّ العجز على الصدر" و قد سمّاه المتأخرون التصدير، فهو أخف على المستمع، وأليق بالمقام، وقد قسّمه ابن المعتز على ثلاثة أقسام، هي:

الأول: ما وافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في صدره، أو كانت مجانسة لها، والثـاني: مـا وافق آخر كلمة في البيت أول كلمة منه، والثالث: أن تكون الكلمة التي في العجز عين الكلمـة التي في الصدر لفظاً وإن قبل اللفظ اشتراكاً زاد التنويع حُسناً[1].

ومنه ما جاء في قول البوصيري، يخاطب اليهود داحضاً مزاعمهم فـي شـتم الـذات الإلهية، يقول[2]:

(الخفيف)

أمْ جَميـعٌ علـى الحِمـارِ لَقَـدْ جَـلَّ حِمَـارٌ بِجَمْعِهِـمْ مَشَّـاءُ

فقد جاءت كلمة "حمار" في عجز البيت موافقة لما جاء في صدره "الحمار" حيث أسـهم تكرارها في إثراء الموسيقى في القصيدة. ومنه قول البوصيري، يهجـو المسـتخدمين، الـذين سرقوا أقوات الناس وأرزاقهم[3]:

(الوافر)

وَقَـدْ طَلَعَـتْ لِبَعْضِـهِمُ ذُقُـونٌ وَلكِـنْ بَعْـدَما نَتَفُـوا ذُقُونـا

---

[1] يُنظر: ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد: **تحرير التحبير**. ج1، ص117،116، ابن حجة الحموي، تقي الدين: أبو بكر علي: خزانة الأدب وغاية الأرب، مج5، ص257،255.

[2] **ديوان البوصيري**، ص15.

[3] **المصدر نفسه**، ص218.

فقد رد الشاعر كلمة "ذقونا" التي جاءت آخر كلمة في العجز على كلمة "ذقــون" وهــي آخر كلمة في "الصدر" وهي تشد انتباه السامع، وتغني موسيقى القصيدة، ويسهم تكرارهــا فــي التأكيد على خيانة المستخدمين بأسلوب ساخر، فقد طالت "ذقونُهم" بسبب ما سرقوه من أمــوال الناس بالباطل.

ومنه أيضاً قول الشهاب محمود الحلبي، يشير إلى غدر اليهود بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وإلى قصة بحيرا عندما حذّر عمه أبا طالب منهم[1]:

(الخفيف)

حـــذّروا عمَّـــهُ اليهـــودَ فَكـــانوا　　فـــي الّـــذي حَـــذَّروا مـــن النُّصـــاحِ

فقد أسهم ردُّ كلمة "حذَّروا" في عجز البيت على "حذّروا" في صدره في إثراء الموسيقى.

ومما جاء على التصدير، قول ابن فضل الله العمري يرثي ابن تيمية[2]:

(البسيط)

هَلْ فيهِمْ مَنْ يَضُمُّ البَحْــثَ فــي نظَــرٍ　　أَوْ مِثْلُهُ مَــنْ يَضُــمُّ البَحْــثُ وَ النَّظَــرُ

فقد أسهم تكرار كلمة "النظر" في العجز والصدر في إثراء الموسيقى، وتأكيد مكانة ابن تيمية وفضله على كل من عاشوا في عصره. ومنه ما جاء في قول ابن نباته[3]:

(البسيط)

بانَــتْ معــاذيرُ عَجْــزي عــن مــداهُ　　وَعَنْ بانَتْ سعادُ فَقَلْبي اليَــوْمَ مَتْبــولُ

فقد جاءت كلمة "بانت" في عجز البيت، وردّها الشاعر على "بانت" في صــدر البيــت، ماأدّى إلى شدّ انتباه السامع، وتناسق الألفاظ، وتحقيق جمال الموسيقى في البيت. وبذلك يكــون لردّ العجز على الصدر موقعاً جليلا من البلاغة، و محلّاً خطيراً في المنظوم [4].

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج1، ص596.

[2] المقريزي، تقي الدين: **المقفّى الكبير**، ج1، ص477.

[3] يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية**، ج3، ص85.

[4] أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله: **الصناعتين**، ص385.

ومن المحسنات البديعية اللفظية التي ظهرت في هذا الشعر "لزوم ما لا يلزم"، ومنهم من سمّاه "الإلتزام، و"الإعنات" و"التضييق"، وهو أن يلتزم الناثر في نثره، أو الناظم في نظمه بحرف قبل حرف الروي أو بأكثر من حرف، مع عدم التكلف، ويُعد أبو العلاء المعـري مـن أكثـر الشعراء التزاماً بهذا النوع، حتى لقد وضع كتاباً، سمّاه " اللزوميات"[1]. وفي النظم على هذا النمط إعناتٌ للناظم وكدٌّ لقريحته، وتوسعٌ في فصاحته وبلاغته[2].

ومنه ما جاء في قصيدة للصرصري يمدح المصطفى صلى الله عليـه وسـلم، ويعـدد معجزاته وصفاته، يقول[3]:

(الكامل)

وَحَـوى الفَخـارَ سَـريرُهُ وَفِراشُـهُ وَخِيامُـهُ وقِبابُـه وَجِـدارُهُ
وتَضَـوَّعَت أرْدانُ بُرْدَتِـهِ بِـهِ طِيبـاً وَطـابَ رِداؤُهُ وَإزارُهُ

فقد ألزم الصرصري نفسه في أبيات قصيدته بحرف الراء المضمومة قبل حرف الروي (الهاء)، ما أسهم في تحقيق التوازن والتناغم الموسيقي، وجذب انتباه السامع، والتزم ابن دانيال أيضاً "بحرف النون" قبل روي القصيدة "الهاء"، يقول في ارتـداء سـرّار اليهـودي اللبـاس الأصفر[4]:

(السريع)

رأَيْـتُ سَـرّاراً علـى رَأْسِـهِ عَمامَـةٌ دارَتْ عَلـى قَرْنِـهِ
كَأَنَّهـا مِـنْ صُـفْرَةٍ خَرْيَـةٌ وَرُبَّمـا سـالَتْ علـى ذَقْنِـهِ

وهذا يكشف براعة الشاعر وقدرته على الاهتمام بتقديم المعنى بصورة بديعية لفظيـة، تسهم في إثراء النغمة الموسيقية.

---

[1] يُنظر:ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر: **خزانة الأدب وغاية الأرب**، مج2، ص433.

[2] المؤيد، يحيى بن حمزة بن علي: **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**. ج2، ص398.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية**، ج2، ص104.

[4] الصفدي، خليل بن أيبك: **المختار من شعر بن دانيال**، ص173.

وقد التزم شهاب الدين الحلبي بهذا الفن عندما تحدث عن معجزات الرسول صـــلى الله عليه وسلم، يقول[1]:

(الوافر)

َحـــينَ شَـــكا إليْـــهِ القَـــوْمُ جَـــدْباً أَثـــارَ علـــى رُبُـــوعِهِمُ قُتامَـــهْ[2]
فَصَـــعَّدَ كفّـــهُ، والجَـــوُّ مُصـــحٍ فَمَـــدَّ لَـــهُ الغَمـــامُ بِـــهِ خِيامَـــهْ

فقد التزم الشاعر، بحرف الميم قبل روي القصيدة "الهاء" وحقق توازناً لفظياً، أطــرب أذن السامع، وجذب انتباهه؛ لأنه أسهم في إغناء الجرس الموسيقي في القصيدة كاملة.

والتزم ابن الوردي بهذا المحسن البديعي في وصفه سامرية مليحة، حيث يقول[3]:

(مجزوء الرجز)

ســـــــامَرْتُ ســـــــامِرِيَّةً كأنْهـــــا الغُصْــــنُ النَضِــــرْ
بِطَرْفِهـــــــا وَقَـــــــدِّها يُـــــذكر موســـــى والخَضِــــرْ

فقد التزم الشاعر بحرف "الضاد" قبل حرف الروي الراء، ما أسهم في إغناء الموســيقى في البيتين.

وكانت الموازنة من المحسنات البديعية اللفظية التي ظهرت في هذا الشــعر،"وهــي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن، وأنْ يكون صدر البيــت الشــعري وعجزه متساوي الألفاظ وزناً"[4].والموازنة تحقق الاعتدال الذي يجعل المخرج متســق النظــام، رشيق الاعتدال، وهي أحد أنواع السجع[5].

---

[1] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص219.

[2] القتام (الغبار)، مادة (قتم)، **لسان العرب**.

[3] **ديوان ابن الوردي**، ص475.

[4] ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج3، ص179،278.

[5] يُنظر: المؤيد، يحيى بن حمزة: **الطراز**، ج3، ص38.

وقد ظهر هذا النوع من المحسنات البديعية واضحاً في قصائد البوصيري، يقـول فـي سياق حديثه عن معجزاته صلى الله عليه وسلم[1]:

(الوافر)

وَلـي طَـرْفٌ لِمَـرآهُ مَشـوقٌ   وَلِـي قَلْـبٌ لِـذِكْراهُ طَـروبُ

فقد تساوى صدر البيت وعجزه في الألفاظ وفي الوزن، وجاء ذلك عفو الخـاطر دون تكلف، عبّر الشاعر من خلال ذلك عن حبه للرسول صلى الله عليه وسـلم، وشـوقه لرؤيتـه، وطرب قلبه لسماع اسم المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ويقول أيضاً في مخاطبته اليهود والنّصارى، وتفنيد حججهم ومزاعمهم[2]:

(الوافر)

فَقَـومٌ مِـنْهُمْ فُتِنـوا بِعِجْـلٍ   وَقَوْمـاً مِـنْهُمْ فَـتَنَ الصَّـليبُ
وَأَحْبـارٌ تَقـولُ لَـهُ شَـبيْهٌ   وَرُهْبـانٌ تقـولُ لَـهُ ضَـريْبُ

فبالإضافة إلى الحسّ الموسيقي الذي حقّقته الموازنة فإنّ الشاعر نجح من خلالهـا فـي مجادلة النصارى واليهود، وكشف مزاعمهم وفتنتهم بالعجل، وفتنة النصارى بالصليب، وأفصح عن ادعاءاتهم، وقولهم البهتان في الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وبذلك يكون شعراء العصر المملوكي قد نوّعوا في استخدام المحسّنات البديعية بشـقيها المعنوية واللفظية، وكشفت عن براعتهم، وتفوقهم، ومجاراتهم لروح العصر الذي شهد ثورة في استخدام المحسّنات البديعية، دون أن يخلَّ ذلك بروح الشعر، أو بمعناه، فقـد جـاءت عفويـة الخاطر، خالية من التكلف.

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص35.

[2] **المصدر نفسه**، ص36.

د. الصّورة الفنية

تشغل الصورة الفنية في محيط الأدب والفنّ منزلة مركزية أساسية،لا يسمو عليها في هذا المقام أي موضوعٍ آخر[1]، فالصورة الفنية شيء ضروري وحتمي وهي طريقة خاصة من طرق التعبير، ووجه من أوجه الدلالة[2]، وهي ليست أداةً لتجسيد شعور أو فكر سابق عليها، ولكنّها هي الشعور والفكر ذاته[3]، وقد أصبحت مجال التنافس والابتكار بين شعراء العصر المملوكي، فالحاذق منهم من يقع على صورةٍ جديدة يخترعها أو يستمدّ من صورة أخرى فيزيد ما يزينها وينقص ما يشينها[4]. إنّ دراسة الصورة الفنية في القصائد التي تطرق فيها الشعراء للحديث عن اليهود وصفاتهم، تتطلب دراسة عناصر تشكيل الصورة، ومصادرها، وخصائصها.

- **عناصر تشكيل الصورة**

اهتم شعراء العصر المملوكي بتشكيل صورهم، وبخاصة شعراء المدائح النبوية، فقد نوّعوا في وسائل تشكيل الصورة وأدواتها، واستخدموا التشبيه والاستعارة والكناية، عناصر ليشكلوا صورهم[5].

وكان التشبيه من أكثر فروع علم البيان التي استخدمها الشعراء للتعبير عن صورهم، للدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى[6].

يقول الصرصري مادحاً الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد صوّره بالنور[7]:

---

[1] يُنظر: جمعة، حسين: **حياة الصورة الفنية**، ع 225، 2007م، ص36.

[2] يُنظر: عصفور جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، ط2، لبنان: دار التنوير. 1983م، ص119،323.

[3] يُنظر: عبد الله، محمد حسين: **الصورة والبناء الشعري**، (د.ط). القاهرة: دار المعارف، (د.ت)، ص33.

[4] يُنظر: باشا، عمر موسى: **الأدب في بلاد الشام**، ط2، دمشق: المكتبة العباسية، 1972م، ص592.

[5] يُنظر: الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في النقد الشعري**. ط1. الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر. 1984م، ص42، سلطان، منير: **الصورة الفنية في شعر المتنبي**. ص149. عبد الله، محمد حسين: **الصورة والبناء الشعري**، (د.ط)، القاهرة: دار المعارف، (د.ت)، ص29.

[6] يُنظر: ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد: **سرّ الفصاحة**، ص11، السُبكي، بهاء الدين: **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، ج2. ص20.

[7] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج3، ص38.

(البسيط)

إنَّ الرسولَ لنورٌ ليسَ يُدركُهُ   نقصُ المحاقِ ولا يخفيهِ تأفيلُ

وقد أكثر الشعراء، من وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالنّجوم، ومنهم البوصيري، حيث يقول[1]:

(الخفيف)

إنّما مثّلوا صفاتِكَ للنا   سِ كما مثّلَ النُّجومَ الماءُ

فقد كان وصف الأنبياء السابقين لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، مبشراً به، كما يصف الماء النجوم في السماء. ويصوِّر الشهاب محمود الحلبي معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم بالشمس في سطوعها ووضوحها، فلا يستطيع أحد إنكارها، يقول[2]:

(الخفيف)

مُعجِزاتٌ كالشمسِ لاحَتْ فما اسـ   ـطاعَ لها مُنكِرُ الهُدى إنكارَا

يظهر من خلال ما سبق تأكيد الشعراء على تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم بالنور، وبالنجوم، فقد اكتسب هذا النور بُعداً ميتافيزيقياً، حيث النور الأزلي الذي يوصف بالقدم يخرج من ضمائر الغيب، فقد اهتم الشعراءُ المتصوفون بالتعبير عن "النور المحمدي" وفحوى ذلك أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم، أول موجود وهو القُطبُ الذي تدور عليه أفلاك الوجود، فقد سطع نور محمد صلى الله عليه وسلم من نور الله، وهو يسري في الكون منذ الأزل، ومنه كانت نبوة آدم ومن أتى بعده إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم[3].

ولم يقتصر البوصيري في شعره على هذه التشبيهات، وإنما استخدم التشبيه الضمني، فقد أشار إلى أوجه الصورة ضمنياً دون أن يصرّح بذلك، يقول في سياق مخاطبته لليهود، وجدالهم بسبب كفرهم وعنادهم، يقول[4]:

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص1.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل :**المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج2، ص153.

[3] يُنظر: السعدني، مصطفى: **في التناص الشعري**، ص234،236.

[4] **ديوان البوصيري**، ص64.

(الطويل)

غُنيـــتمْ عـــنِ التأويـــلِ فيـــه بظـــاهرٍ   ومَن تركَ الصّمصامَ لـــم يُغنِـــهِ الغِمْـــدُ

فقد كفر اليهود بمعجزات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، الظاهرة الواضحة كلمعان السيف، فماذا ستفيدهم الأمور المخفية كغمد السيف، فما يحاولون فيه لا يفيدهم، ولا يغيّر مـــن قناعاتهم.

وفي موضع آخر يصوّر ابن الوردي زيهم الأصفر، بلون وجوه العاشقين، التي تغـــدو صفراء، ممّا يلاقونه من اللوعة والمكابدة، فيقول[1]:

(السريع)

أغَيْـــــدُ عِبـــــريٌّ لـــــهُ عِمَـــــةٌ   حَكَـــــت مِـــــنَ العشّـــــاقِ ألوانـــــاً

ويصوّر صفيّ الدين الحلّي، عضو الشاة المسمومة باللسان، وقد نطق هذا اللسان وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأنّ اليهودية قد أودعت فيه سُمّاً، فيقول[2]:

(الكامل)

وحكـــى ذراعُ الشـــاةِ مُـــودَعَ سُـــمِّهِ   حتّـــى كـــأنَّ العُضْـــوَ منْـــهُ لســـانُ

ومُجملُ القول إنّ التشبيه كان عمود الصورة الشعرية، وذلك لأنـــه انســـجم وفلســـفتهم الجمالية، التي تقوم على حبِّ الجمال السّهل الواضح، فهو قادر على إبراز حـــدّين متنـــاظرين يعمل كل منهما باتجاه يلتقي فيه مع الآخر، ولكنهما لا يتحدان اتحاداً تامـــاً، وإنّمـــا ينســـجمان بهدوء، وهو قادر على تحقيق نظرية الشعراء في الاهتمام بتفرّد الأجزاء، وعدم انصهارها فيه[3].

---

[1] **ديوان ابن الوردي**، ص411.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج4. ص201.

[3] يُنظر: الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في النقد الشعري**، ص52.

ولم يقف شعراء العصر المملوكي عند حدود التشبيه، فقد كانت الاستعارة وسيلتهم للتعبير عن صورهم، معتمدين على التشخيص والتجسيم[1]، فالاستعارة تنقل العبارة من موضع استعمالها الأصلي إلى غيره[2]، وهي مجاز علاقته المشابهة، ولا بدّ أن يحذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، وأحد ركني التشبيه المشبه أو المشبه به[3].

وقد استعار شعراء العصر المملوكي صورهم من منابع عديدة، فشّخصوا المعنويات والجمادات، وأضفوا عليها صفات الكائنات الحية، يقول الصرصري يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ويمدح الحرم الشّريف، وقد حلَّ فيه[4]:

(الكامل)

إمّا حَلَلْتَ بذلكَ المغنى الّذي فيهِ عيونُ المكرُماتِ تفَجَّرَتْ

فقد جعل للمكرمات عيوناً، و هي ليست عيون البشر، وإنّما قصد بها عيون الماء، التي تفجّرت ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويصور البوصيري اليهود بصنف آخر من أصناف الحيوانات، فقد مسخهم الله قروداً وخنازير، وظلَّ الشاعر يعيّرهم بهذه الصفة، يقول[5]:

(مخلّع البسيط)

ما للنّصارى إليّ ذنبٌ وإنّما الذّنبُ لليهودِ
وَكيْفَ تفضيلُهُمْ وفيْهِمْ سرُّ الخنازير والقرودِ

---

[1] يُقصد بالتشخيص خلع الصفات الانسانية على كل المحسوسات والماديات، وتخيّل الحياة فيما لا حياة فيه، فتغدو هذه الماديات شخصاً يشارك الإنسان مشكلاته ويُحسُّ به، أمّا التجسيم: فهو إكساب المعنويات صفات محسوسة، مجسّدة، يُنظر: النويهي، محمد: **ثقافة الناقد الأدبي**، ط2، بيروت: مكتبة الخائمي 1969م، سلطان، منير: **الصورة الفنية وشعر المتنبي**، ص288، الصائغ، عبد الإله: **الصورة الفنية معياراً نقدياً**. ص132.

[2] يُنظر: أبو هلال ،الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: **الصناعتين**، ص268.

[3] يُنظر: ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد: **سرُّ الفصاحة**، ص12.

[4] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج1. ص505.

[5] **ديوان البوصيري**، ج1 ص81.

ثم في مشهد آخر، يرى اليهود بمكرهم، ولؤمهم، وخبثهم، فيصورهم بأبنــاء الحيّــات، يقول[1]:

(الكامل)

أبنــــاءُ حَيّـــاتٍ ألــــمْ تـــرَ أَنَّهُـــمْ   يجِـــدونَ دِريــاقَ السُّــمومِ قَتــولا

أمّا ابن دانيال فإنّه يستعير من الكلب صفة النّجاسة ليضفيها على الرشيد اليهودي، الذي اعتنق الإسلام، فيقول فيه[2]:

(الكامل)

لا يخْـــدَعَنْكُمْ غُــــرَّةً إســـلامُهُ   فالكلبُ أنجَسُ مــا يكــونُ إذا اغْتَسَــلْ

فهذا اليهودي أصبح يشكّل خطراً أشدّ على المسلمين؛ لأنه يدّعي اعتناق الإسلام فيتشابه مع الكلب الذي تزيد نجاسته إن اغتسل.

ويستعير الشهاب الحلبي من الكلب نباحه عندما يتحدث عن حقد اليهود وتكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم، فعلى الرغم مما جاء في توراتهم من إثبات نبوته إلّا أنهم يدعون البهتــان على رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول[3]:

(الخفيف)

ولَكَــمْ ألّبـــوا وقـــالوا فمـــا بـــا   لَـــتْ ســماءُ الهُــدى بــذاكَ النِّبــاحِ

ثم يخاطب الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم، ليصف كيف كان حال المسلمين قبــل نزول القرآن الكريم، وكيف أصبح حالهم بعد ذلك، ويصوّرُ الكفر عمىً، والإسلام نوراً مضيئاً، يقول[4]:

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج1، ص140.

[2] الصفدي، خليل بن أيبك: **المختار من شعر ابن دانيال**، ص93.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج1. ص595.

[4] **المصدر نفسه**، ج4، ص194.

(الكامل)

لـــولا كتـــابُ اللهِ كنّـــا فـــي عمـــىً   لكنّـــــهُ بـــكَ جاءنـــا نـــوراً لنـــا

ويعتمد ابن سيد الناس على عنصر التشخيص في حديثه عن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وعن علمه، فيصوّر العلم إنساناً له أعينٌ أخذت مشكاة رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم، أما أعينُ الجهل، فهي حُوَل عن إدراك هذا العلم، يقول[1]:

(البسيط)

وأعينُ العِلْـمِ مِـنْ مشـكاتِهِ اقتَبَسَـتْ   وَأعـينُ الجهْـلِ عـنْ إدراكِـهِ حُـوَلُ

ويقف كذلك ابن الوردي أمام عنصر التشخيص، في حديثه عن كنيسة اليهود التي حوّلها ابن الزملكاني داراً للحديث، فيشخّص البيع والكنائس الأخرى التي ما زالت تحت سيطرة اليهود، ويجعلها كائنات حيّة تشعُرُ وتحسُد هذه الكنيسة، عندما خلّصها ابن الزملكاني من أسر اليهـــود، يقول[2]:

(الطويل)

فَكَـــمْ حَسَـــدتْها بيْعـــةٌ وكنيســـــةٌ   وَقَدْ فُكَّ مِنْ أيـدي اليهـودِ لهـا أسْـرُ

ويجعل المدرسة "النّورية"، كائناً حياً يشعر بالفرح لهذا الحدث، فهي جارةٌ لهذه المدرسة، يقول ابن الوردي[3]:

(الطويل)

وقد أفرَحَ "النّوريَـةَ" الآنَ مـا جـرى   لجارَتِهـا والجـارُ بالجـارِ ينسـرُّ

وفي"الواقع ليست هذه المشاعر إلّا صدى لمشاعر الشاعر والمسلمين بعامّة بهذا الحدث الطّيّب"[4].

---

[1] **ديوان بشرى اللبيب بذكرى الحبيب**، ص246.

[2] **ديوان ابن الوردي**، ص296، ابن حبيب، الحسن بن عمر: **تذكرة النبيه**. ج2، ص170.

[3] **ديوان ابن الوردي**، ص297.

[4] الهيب، أحمد فوزي: **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشـهباء**، ط1. بيـروت: مؤسسـة الرسـالة، 1986م. ص141.

من خلال ما سبق يظهر أنَّ الاستعارة تعمل على تحسين المعنى وتنميقه وتوضيحه، وهي تؤدي معنى التوكيد والمبالغة، وهي تقوم بمهمة توضيحية[1]. وبذلك يكون التشبيه والاستعارة أقدر وسائل تشكيل الصورة وتقديم الصور الحية المتفاعلة[2].

وكانت الكناية من الوسائل التي استخدمها شعراء العصر المملوكي لتشكيل صورهم، وهي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، ولكنّه لا يذكره صراحة، وإنّما يذكر شيئاً من لوازمه، مع جواز إرادة المعنى الحقيقي، حيث يترك التصريح باللفظ الموضوع إلى المتروك[3]، والكناية ثلاثة أنواع: الكناية عن موصوف، والكناية عن صفة، والكناية عن نسبة[4]، فمن أمثلة الكناية عن موصوف ما جاء في قول البوصيري في حديثه عن بني إسرائيل، يكنّي عنهم بما عُرفوا به على مرّ التاريخ وهو عبادتهم للأوثان والتماثيل، وللعجل، مستهزئا ساخراً منهم، فيقول[5]:

(البسيط)

وأمّةٌ تعبدُ الأوثانَ قَدْ نُصِبَتْ لَهَا التّصاويرُ يوماً والتماثيلُ
وأمّةٌ ذَهَبَتْ للعِجْلِ عابدةً فنالها من عذاب اللهِ تعجيلُ

فالأمة التي تعبد الأوثان أو العجل هي كناية عن موصوف أيضاً وهي أمّة بني اسرائيل.

ويقول ابن سيد الناس مكنّياً عن السيوف التي قاتل بها الرسول صلى الله عليه وسلم بني قريظة، ودكّ حصونهم[6]:

---

[1] يُنظر: ناصف، مصطفى: **الصورة الأدبية**، ط2. (د.م): دار الأندلس، 1981م، ص144.

[2] يُنظر: الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في النقد الشعري**، ص97.

[3] يُنظر: السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: **مفتاح العلوم**، ص402، ابن الأثير، نجم الدين أحمد ابن إسماعيل: **جوهر الكنز**، ص100، القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبو عبد الرحمن: **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص183. المؤيد، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم: **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**. ج3، ص339، السبكي، بهاء الدين:**عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، ج2، ص206، الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الاعجاز في علم المعاني**، ص52.

[4] يُنظر: عتيق، عبد العزيز: علم البيان. (د.ط) ، بيروت : دار النهضة ، 1974م ،ص210،215

[5] **ديوان البوصيري**، ص173.

[6] **ديوان بشرى اللبيب بذكرى الحبيب**، ص113.

(الطويل)

فجالتْ مواضي البيض فــي عَرَصــاتِهِم   فأخلقَ ربْــعُ الإنــسِ مــنهُمْ وأنهجــا

فالشاعر لم يتحدث عن السيوف مباشرة، وإنما كنّى عنها بمواضي البيض ليكون أقــوى في الدلالة، وأكثر أثراً في نفس السامع.

يقول البوصيري واصفاً حرب الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الخندق مع المشــركين الذين تحزّبوا ضد المسلمين[1]:

(الكامل)

فــــدَعَوا نــــزالِ فأوقًـــدَتْ نيرانَهـــا   سُـــمْرُ القنـــا والعاديـــاتُ الشُّـــرَّبُ

فقد كنّى الشاعر عن موصوف وهي الرماح بسمر القنا دون أن يصرّح بذلك مباشرة.

ويكثر ابن الوردي من استخدام الكناية في ديوانه، حيث يذكر أسماء الأماكن بألقابهـــا، يقول في إنقاذ كنيسة اليهود على يد الزملكاني[2]:

(الطويل)

وما منصــبُ الشــهباءِ كفــواً لِعِلمـــهِ   غلطْـــتَ ولا دارُ السّـــلامِ ولا مصْـــرُ

فالشاعر يكنّي عن "حلب" بالشهباء، وعن "بغداد" بـــ دار السلام، ذاكراً ألقابها، لتكـــون أكثرَ أثراً في النفوس، وأبلغَ في التعبير، لما فيها من إثارة تفكير المتلقي.

وفي قصيدته التي رثى بها ابن تيمية عندما توفي مسجونا، تتعدد الكنايات وتظهر الكناية عن موصوف فالشاعر يكنيّ عن ابن تيمية بالدرة الثمينة التي حُبست في الأصــداف، وهــو يفتخر بذلك، ويغبط ابن تيمية لمنزلته ولمكانته الرفيعة، التي جعلت الأعداء يكيدون لـــه الـــتهم والعداء، ويقول[3]:

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص47.

[2] **ديوان ابن الوردي**، ص296.

[3] **المصدر نفسه**، ص298.

(الطويل)

وَحَــبْسُ الــدّرِ فـــي الأصــداف فخــرٌ   وعنـــــدَ الشـــيخِ بِالســـجن اغتبـــاطُ

وكان ابن الوردي من الشعراء الذين أكثروا من استخدام الكناية في أشعارهم، يقول في القاضي الزملكاني، يخاطبه وقد حوّلَ كنيسة اليهود إلى دار للحديث[1]:

(الطويل)

لَقَـــدْ فَعَلَـــتْ أقلامُـــكَ الحُمْـــرُ فـــيهمْ   مِنَ الحقِّ ما لا تَفْعَلُ البـــيضُ والسُـــمْرُ

ففي كلمتي "البيض والسُمر"، كناية عن موصوف وهي السيوف، فقد عبّر الشاعر عمّـــا فعله الزملكاني عندما حوّل كنيسة اليهود إلى دار للحديث، فقد آلم اليهود وعذّبهم بذلك أكثر من أنْ يضرب أعناقهم بالسيوف، لأنّ في ذلك إذلال لهم.

ومن أمثلة الكناية عن صفة قول الشهاب الحلبي مكنيّاً عن صفات المشركين، بعـــد أن قاتلهم الله عندما حاولوا هدم الكعبة الشريفة[2]:

(الخفيف)

وَخَبَـــت نـــارُهُمْ، ومُـــذْ ألـــفِ عـــامٍ   قبـــلُ لـــمْ يخـــبُ وَقـــدُها المشـــعولُ

فخفوت النار كناية عن ضعفهم وذلهم بعد قوة.

ومن أمثلة الكناية عن صفة ما جاء في قول الصرصري متحدثاً عن معجزات الرســـول صلى الله عليه وسلم وصفاته، حيث يقول[3]:

(الكامل)

ومَحـــــاجرُ اكْتَحَلَـــــتْ بنـــــورِ وِدادهِ   قـــــرَّتْ بنيـــــل مرادهـــــا وتَظَفَّـــــرَتْ

---

[1] **ديوان ابن الوردي**، ص295، ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر: **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيـــه**، ج2، ص170.

[2] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص337.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**. ج1، ص506.

فقد قرّت عيون المسلمين وبردت دمعتها عندما حقق الرسول صلى الله عليه وسلم النصر على أعدائه وهذا كناية عن صفة الاطمئنان والسرور والسعادة.

- **مصادر الصورة**

تعددت مصادر الصورة التي استقى منها شعراء المديح النبوي صورهم الفنية، فقد استمدوا صورهم من مظاهر الطبيعة النباتية والحيوانية، ولم يغفلوا البيئة الصناعية، وأخذوا بعض صورهم من القرآن الكريم، وذلك في سياق حديثهم عن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، وحديثهم عن اليهود وأخلاقهم.

ومن أمثلة الصور المستمدة من الطبيعة وأزهارها ونباتاتها، قول البوصيري، يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول[1]:

(الوافر)

كأنّ حديثَهُ زهْرٌ نضيرٌ   وحاملَ زهرهِ غُصنٌ رطيبُ

فقد صوّر حديثه صلى الله عليه وسلم بالزهر الغضّ، أمّا الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يتحدث بذلك الحديث، فقد صوّره بالغصن الطري.

وفي سياق حديث الشعراء عن لباس اليهود الأصفر الذي فُرض عليهم، فإنهم يعودون إلى الطبيعة وأزهارها ليستمدوا منها صورهم، فهذا ابن دانيال يصوّر غلاماً يهودياً وقد ارتدى الزيِّ الأصفر، بنوّارة زهرة فيقول[2]:

(الطويل)

يميسُ وقدْ أبدى العلامةَ للورى   كنوّارةٍ مصفرةٍ بقضيبِ

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص35.

[2] الصفدي، خليل بن أيبك: **المختار من شعر ابن دانيال**، ص135.

فالشاعر يصوّر تمايل هذا الغلام وقد ظهرت العلامة الصفراء على رأسه، وكأنها نوّارة زهرة صفراء، قد تفَتَّحت وهذا تصوير إيجابي من الشاعر، فقد صوّر لباسه بأجمل ما في الطبيعة وهي الأزهار والورود.

ولم يكتف الشعراء بالصورة النباتية، وإنما استمدوا صورهم من الحيوانات أيضاً، فقد استمد البوصيري صورته من الزواحف عندما جادل اليهود الذين حرّفوا كتبهم، يقول[1]:

(الكامل)

أبهـذهِ العـوراتِ جـاءَتْ كُتـبُهم ... أم حرّفـوا منهـا الصّـوابَ وربَّـوا
فـاعوَجَّ منهـا مـا اسـتقامَ طلوعُـهُ ... فكأنَّهـا بـينَ النّجـومِ العقـربُ

فقد تحوّلت توراتهم بعد تحريفها إلى عقرب معوجّة بين الكتب السماوية الأخرى التي لم يصلها التزوير والتحريف، وبذلك نفى الشاعر عنها صفة الاستقامة بعد تحريفها.

أمّا ابن قيم الجوزية، فقد استمدّ صورته في مجادلة الجهمية من القرآن الكريم، فوصف هؤلاء المعطّلين باليهود، وصوّر ما فعلوه من تحريف وتزوير، بما فعلت بنو إسرائيل عندما صنع لهم السامريُّ العجلَ، يقول[2]:

(الكامل)

وأتـى إلـى الكفـرِ العظـيمِ فصـاغَهُ ... عِجْـلاً ليَفْـتِنَ أُمّـةَ الثيـرانِ
وكسـاهُ أنـواعَ الجـواهرِ والحُلـى ... مـن لؤلـؤٍ صـافٍ ومِـن عقيـانِ
فـرآهُ ثيـرانُ الـوَرى فأصـابَهُمْ ... كمُصـابِ إخـوَتِهِمْ قـديمَ زمـانِ
عجـلانِ قـد فتنـا العبـادَ بِصـوْتِه ... إحْـداهُما وبِحَرْفِـهِ ذا الثّـاني

فقد كسا هذا الجهمي عجله من حلل التمويه، وزخارف التحريف، ما أبهر أبصارهم وهذا ما فعله بنو إسرائيل بالعجل الذي صاغه لهم السامريّ، فكان هناك عجلان فُتِنَ الناس بهما،

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص46.

[2] ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية)**، ص42-43.

عجلٌ فُتنوا بصوته وخواره، وآخر بتحريفه وتمويهه، وهو العجل الذي صاغه الجهمي لثيران الأمة وأبقارها[1].

ولم يكتف الشعراء بمصادر الصورة المستمدة من الطبيعة النباتية والحيوانية، ومن القرآن الكريم، وإنّما استخدموا بعضها من بعض المظاهر الحضارية، ومن أدوات الحرب كالسيوف، يقول البوصيري، يصف شعره الذي حارب به اليهود[2]:

(البسيط)

بقَوافٍ شُرّعَتْ للأعادي وَجَدوها في نفوسٍ حِرابا
هيَ أمضى مِنْ ظُبى البيضِ حدّاً في أعاديكَ وأنكى ذُبابا
فارْضَه جُهدَ مُحِبٍّ مُقِلٍّ صانَهُ حُبُّكَ مِنْ أنْ يُعابا

فقد صوّر الشاعر شعره الذي حاجج به اليهود بوقعه الشديد، بالسيوف التي تقتل.

ويستمدُّ أيضاً ابن قيم الجوزية من الطبيعة الصناعية صورته، عندما يُعطي حكمة من الحياة فهو يرى الناس متساوين، يقول[3]:

(الكامل)

والناسُ والإيمانُ شيءٌ واحدٌ كالمُشْطِ عِنْدَ تَماثلِ الأسْنانِ

فقد استمدَّ صورته من المشط لأنَّ أسنانه متساوية وهي بنفس الشكل، لا يرتفع أحدها عن الآخر وهكذا هم الناس في الإيمان وفي الفروض التي فرضها الله عليهم وكلّفهم بها.

- **خصائص الصورة**

قسّم النقاد الصور وفق أعضاء الحسِّ إلى صور حسيّة بصرية،وسمعية، وشميّة، وذوقية، ولمسية[4]، ويعدُّ اللون والحركة من خصائص الصورة الشعرية، وقد ظهرت هذه الخصائص في شعر العصر المملوكي الذي تحدث عن اليهود.

---

[1] يُنظر: هراس، محمد خليل: **شرح القصيدة النونية لابن قيم الجوزية**، ج1. ص52.

[2] **ديوان البوصيري**، ص33.

[3] ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، ص35.

[4] يُنظر: عبد الرحمن، نصرت: **في النقد الحديث**. ط1. عمان: مكتبة الأقصى. 1979م، ص67، الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في النقد الشعري**، ط1. (د.م): دار العلوم. 1984، ص86.

وقد كانت الصورة البصرية من أكثر الصور شيوعاً في الشعر، فإنَّ حاسة الإبصار تلعب دوراً مهمّاً في إمدادنا بالصور[1]. وهذا ما بدا في شعر المديح النبوي، فقد طغت الصور البصرية على الصور الأخرى، فمن ذلك ما جاء في قول الصرصري يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم[2]:

(البسيط)

حبَّرْتُ فيكَ قصيداً حُسْنُ مَدْحِكَ في رؤوسِ أبياتِها الحُسنى أكاليلُ

فالشاعر يصوِّر قصيدته هذه بالعروس التي تزينتْ، ويصور الأبيات التي قالها في الرسول صلى الله عليه وسلم،التي احتوتها القصيدة بالتاج الذي يُزَيِّنُ الفتاة، فالصورة بصرية، يمكن للإنسان أنْ يرسمها ويتخيلها أمام ناظريه.

أما ابن الوردي، فإنه يعبّر عن غضبه، وكرهه لمهنة القضاء، ولكنّه يعبر عن هذا الشعور المعنوي بصورة حسيةٍ بصرية، فيقول[3]:

(الطويل)

سئمتُ مداراةَ الأراذلِ في الورى وَقدْ بانَ لي أنَّ القضا جَبَلٌ وَعْرُ

فالشاعر يبين سبب بغضه لهذه المهنة، وهو تعامله مع أراذل الناس وسقطهم، واكتشافه أنَّ هذه المهنة كالجبل الوعر الذي يَصعبُ تسلقه، فتعبير الشاعر عن هذه الصورة، يؤثر في المتلقي، ويجعله، يستشعر صعوبة المهنة، عندما يتخيل نفسه صاعداً جبلاً وعراً، أو عندما يشاهد شخصاً يصعد هذا الجبل، فيشعر بالتعب والألم. ويقف الشهاب محمود منافحاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم، مجادلاً اليهود وغيرهم من المشركين، ويسرد معجزاته،ثم يقول[4]:

---

[1] يُنظر: عبد الله، محمد حسن: **الصورة والبناء الشعري**، ص30.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج3، ص29.

[3] **ديوان ابن الوردي**، ص296.

[4] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج2، ص153.

(الخفيف)

معجـــزاتٌ كالشَّـــمْسِ لاحَـــتْ فمـــا اســـطاعَ لَهـــا مُنكِـــرُ الهُـــدى إنْكـــارَا

فقد نجح الشاعر في تصوير معجزات الرسول صلى الله عليه وسـلم بالشـمس، فهـي مضيئة منيرة، يراها كل مبصر ويحسُّ بدفئها كل كائن حيّ، ولا يمكن لكل صاحب عقل رشيدٍ أنْ ينكرها.

وظهرت أيضاً الصورة السمعية عند الشعراء، فكانت الصورة السمعية من خصـائص صورهم، فقد ظهر الصوتُ في تلك الصور، سواء أكان صوت كائنات حية أو جمادات، ومـن ذلك ما قاله الشهاب الحلبي، عندما خاطب اليهود الذين تحدثوا بالبذاءة عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأنكروا معجزاته، فقال[1]:

(الخفيف)

ولَكَـــمْ ألّبُـــوا وقـــالوا فَمَـــا بـــا لَـــتْ ســـماءُ الهُـــدى بـــذاكَ النِّبـــاحِ

فقد صوّر الشاعر صوتهم، وحديثهم بنباح الكلب، بما يمثله من إزعاج، وصورة تثيـر الاشمئزاز.

وتبدو الصورة السابقة في قول البوصيري، فقد قال[2]:

(الخفيف)

لَيتَنـــــي كُنْـــــتُ فـــــيمَنْ رآهُ أتّقـــــي عنْـــــهُ الأذى والسِّـــــبابا
يـــــوْمَ نالتْـــــهُ بإفـــــكٍ يهـــــودٌ مثْلَمـــــا اســـــتَنْبَحَ بـــــدْرٌ كِلابـــــا

فقد صوّر حديث الإفك الذي تحدث به اليهود عن الرسول صلى الله عليه وسلم بِنبـاح الكلاب.

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج1، ص595.

[2] **ديوان البوصيري**، ص33.

وقد برز الصوت في صورهم، وهم يتحدثون عن معجزاته صلى الله عليه وسلم، يقول الشهاب محمود[1]:

(الكامل)

والجــذعُ حــنّ إليــكَ حــينَ تركْتَــهُ وَعَلَــوتَ منبَــركَ الشّــريفَ عُــدُولا
حتّــى رجعــتَ إليــهِ ثــمّ ضَــمَمْتَهُ فغــدا يــئِنُّ كَمَــنْ يَحِــنُّ غلــيلا

فقد عبّر الشاعر عن ألم الجذع، بذكر صوت مرضه، وهو الأنين الذي يُسمَعُ من شـدة عطشِهِ. فقد شخَّص الشاعر الجذع حتى غدا كائناً حيّاً يشعر بالألم، فيصدرُ أنيناً يسمعهُ الشخص. أمّا الصورة الشمية، والذوقية فقد كانتا أقل ظهوراً من الصور السابقة، حيث جاء في قصيدة ابن نباته في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم، في مقدمتها الغزلية[2]:

(البسيط)

فإنْ يَفُــحْ مــن نــواحي خــدّها عبَــقٌ فالمسْــكُ بمــاءِ الــوردِ مجبــولُ

فالشاعر يصف جمال محبوبته "سعاد"، ويرسم لها صورة شمية؛ ليعبر عن سعادته بها، فهو يشتم رائحة المسكِ المجبولِ بماء الورد تفوح من خدّها.

أمّا علي بن الجياب الأنصاري، فإنّه يعبّر بصورةٍ شمية، تكشف عن إعجابه بصـحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو يصور أخلاقهم وصيتهم بالرائحة الطيبة التي تفـوح مـن الورود عندما يهبُّ عليها النسيم، يقول[3]:

(الطويل)

فَقَدْ ســارَتِ الرّكبــانُ تَنْشُــرُ فَخْــرَهُمْ كَنَشْرِ الصَّبا عَــرْفَ الرُّبــا والشــمائِلِ

---

[1] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج3، ص284.
[2] **المصدر نفسه**، ج3، ص84.
[3] **المصدر نفسه**، ج3، ص214.

ويظهر أنَّ الشعراء ركّزوا على الصورة الشمية المستمدة من الورود، فَهذا البوصيري يصوّر نطقه بالمديح النبوي، بأنّه أذكى من رائحة الورود، فيقول[1]:

(الكامل)

هـــذا ونُطقـــي دائمـــاً بِمَديحِـــهِ   أذكـــى مِـــنَ الـــوَرْدِ الجنـــيِّ وَأَطْيَـــبُ

أمّا الصورة الذوقية، فقد جاءت أقل الصور حظّاً في شعر المديح النبــوي، وإنْ كانــت تظهر فإنها جاءت في المقدمات الغزلية للقصائد، يقول ابن نباته[2]:

(البسيط)

تفتَـــرُّ عَـــنْ شَـــنَبٍ حُلْـــوٍ لذائِقِـــهِ   فـــي ذِكْـــرِهِ لمُجـــاجِ النَّحْـــلِ تعْســـيلُ

فالشاعر يصف رضابَ سعادَ، مصوراً إياه بعسل النحل في مذاقه.

ويعدُّ اللون أيضاً من خصائص الصورة، فهو مدخلٌ أساسيٌ لفهم الصورة الشعرية؛ لأنّه يشكل جزءاً لا ينفصل عنها، وهو شديد الالتحام بعناصر الصورة الأخرى، فهو يكشــف عــن إحساس الشاعر الدفين حيال الأحداث التي يصورها في شعره[3].

وقد ظهر هذا اللون في شعر المديح النبوي الذي تحدث عن اليهود.

حيث استخدم البوصيري اللونين "الأسود" و"الأبيض" ليعبر عن حال المشركين في غزوة بدرٍ، يقول[4]:

(البسيط)

وردّ أوجُهَهُـــــمْ ســـــوداً وأعيـــــنَهم   بيضـــاً مـــــن الله تنكيـــدٌ وتنكيـــلٌ

---

[1] **ديوان البوصيري**، ص47.

[2] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج3. ص84.

[3] يُنظر: الدخيل، محمد ماجد مجلّي: **الصورة الفنية في الشعر الأندلسي**، شعر الأعمى التطيلي (ت525هـــ) أنموذجـــاً، (د.ط)، عمان: دار الكندي، 2006م، ص42،40.

[4] **ديوان البوصيري**، ص181.

فوجوههم غدت سوداء من هزيمتهم، وأعينهم بيضاء من انبهارهم وتعجبهم من قوة المسلمين.

وقد جمع ابن الوردي بين اللونين الأصفر والأسود في حديثه عن اليهود، حيث يقول[1]:

(الطويل)

وَقُلْتُ حكى في بُردهِ واصفرارِه وكُلفتِهِ السوداءِ وجهَ يهودي

فلباسهم أصفر، ووجوههم سوداء، قاتمة من ظلمهم، وبعدهم عن الإسلام، وقد نجح الشاعر في الجمع بين اللونين، حيث زاد الصورة جمالاً، ورقة، وأثراً في نفس المتلقي.

وكانت الحركة من خصائص الصورة عند شعراء المديح النبوي،فقد برزت في صورهم الألفاظ الدالّة على الحركة، ومن ذلك ما جاء في قول الشهاب الحلبي[2]:

(الخفيف)

وعليه السلامُ ما سارَ رَكْبُ الرّ يحِ يختالُ في الفضاءِ البراحِ

فالشاعر يختم قصيدته المدحية بالسلام على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، مصوّراً الريحَ تختال متحركة في الفضاء وكأنها فتاة تسير متباهية بجمالها في الفضاء الواسع.

أمّا الشاعر تقي الدين السبكي، فقد افتتح قصيدته بعتاب نفسه الأمّارة بالسوءِ، وتحدَّث عن نفسه وعن إبليس، وقد أثّرَ عليه كثيراً، يقول[3]:

(الطويل)

هُما لعِبا بي مِثْلَ ما لَعِبَ الطّلا بِعِطفَيْ صَبِيٍّ ذي جُنونٍ وصبْوةِ

---

[1] **ديوان ابن الوردي**، ص411.

[2] **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح**، ص351.

[3] النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، ج1، ص517.

واللعب من الألفاظ الدّالة على الحركة، فقد أثّرا عليه كما تؤثر الخمرة في عقل الصبي فتجعله يتمايل، ويتحرك بلا وعي.

يمكن القول من خلال ما سبق إنّ صورة اليهود عند شعراء العصر المملوكي كانت صورة سلبية، شكّلها الشعراء من عناصر الاستعارة والتشبيه والكناية، وقد استمدوا صورهم من مصادر طبيعية وصناعية، وامتازت صورهم بخصائص متعددة، فظهرت الصورة البصرية والسمعية، والشمية، والذوقية، وبرزت عناصر فيها الصوت، واللون، والحركة ، ما جعل صورهم تنجح في التأثير في المتلقي، وتبقى خالدةً على مرِّ الزمان.

الخاتمة

بعد دراسة صورة اليهود في شعر العصر المملوكي الأول، يمكن إجمال النتائج التي توصّلت إليها الباحثة، وهي على النحو الآتي:

- كان لليهود حضور واضح في الشعر الجاهلي، فقد عملوا في صناعة الخمور وتعتيقها،وأظهر الشعراء صفة الوفاء التي امتاز بها السموأل، ولم تظهر أية صفة سلبية لهم في الشعر، وقد ظهر شعراء يهود في هذا العصر كتبوا في موضوعات متعددة، أما في عصر صدرالإسلام، فقد ظهرت صورتهم السلبية بالصفات التي عُرفوا بها من غدر وحقد وخيانة للعهود والمواثيق، وظهر شعراؤهم الذين تبارزوا بشعرهم مع شعراء المسلمين الذين نافحوا عن الدين الإسلامي، وفي العصر العباسي طغت الصفات السلبية لليهود على الإيجابية، حيث ظهرت صفاتهم التي عُرفوا بها من كذب وغدر وسوء ظن بالآخرين، وبرزت صفة العفة وحسن الخلق عند بعض غلمانهم، وفي العصر الأندلسي كان لليهود حضور بارز في أشعار الأندلسيين فقد تغزلوا بنسائهم، ولكنّهم لم يظهروا صفات إيجابية لهم،حيث كشفت قصيدة أبي إسحق الإلبيري تسلط اليهود وتحكمهم في المناصب العليا،وأكلهم أموال المسلمين زورا وبهتانا، ومحاباتهم اليهود وتطاولهم على المسلمين، وهذا ما فعله الوزير ابن نغريلّة اليهودي الذي استوزره ابن باديس،وكان هذا اليهودي شاعرا سخر من القران الكريم، ومن المسلمين.

- عاش اليهود حياة مستقرة في العصر المملوكي، ولاقوا معاملة حسنة من المماليك ومارسوا شعائرهم الدينية بحرية،إلّا في بعض الفترات التي كانت تثور فيها الفتن فقد كانت الدولة تغيّر سياستها تجاههم، وتفرض عليهم قيوداً خاصةً باللباس والمركوب والوظيفة،في حين تعاملت أوروبا بقسوة مع اليهود في العصور الوسطى، وأمرت بحرق هياكلهم، وحرمتهم من ممارسة العبادة بحرية.

- عمل اليهود في وظائف إدارية عديدة ، وكان لهم شغل في الطبّ والصرافة، والتجارة، وسكّ النقود، لذلك تمتعوا بالثراء.

- كشف الشعر في العصر المملوكي عن أخلاق سلبية تخلّق بها اليهود مثل: الجحود والتكـذيب والكفر والعناد، والغيّ والضلال، وتحريف الكتب السماوية.

- لم يظهر الشعر في العصر المملوكي أيّة صفة إيجابية لليهود، وإنما كشف عن صفات سلبية، امتازوا بها مثل: السرقة، والفساد الإداري، وخيانة العهود والمواثيق، والغدر، والبخل، واللؤم والشماتة، والحسد والذل والهوان، على عكس العصور السابقة التي ظهـرت فيهـا بعـض الصفات الإيجابية لليهود.

- قلما عثرت الباحثة على قصائد كاملة قيلت في اليهود، وإنّما جاء الشعر الذي صوّر اليهـود على شكل مقطوعات قصيرة، أو مجموعة أبيات في ثنايا قصـائد الشـعراء فـي أغـراض متنوعة.

- كانت قصائد المديح النبوي من أكثر القصائد التي تطرقت للحديث عـن اليهـود وصـفاتهم وأخلاقهم، على مرّ تاريخهم.

- كان البوصيري، وابن الوردي، والصرصري، وابن دانيال، وشهاب الدين محمود الحلبـي، وابن سيد الناس اليعمري، وابن قيم الجوزية، من أشهر الشعراء الذين كان لليهـود حضـور بارزفي قصائدهم، أمّا ابن نباتة، وابن مكانس، والششتري، وابن أبي الإصـبع المصـري، والبهاء زهير، فقد كان حضور اليهود في شعرهم قليل.

- لم تقع يد الباحثة على قصائد أومقطوعات كتبها شعراء يهود في العصر المملوكي، فلم يكـن لهم حضور على الساحة الأدبية، على عكس ماظهر من شـعرهم فـي العصـر الجـاهلي والإسلامي والأندلسي، فقد ظهر منهم شعراء لامعون، وصلتنا قصائدهم، وهذا يدل علـى أنّ الدولة المملوكية تعاملت معهم على أنّهم أهل ذمة، ولم تسمح لهم بالعيش كما يريـدون،حيث كانوا يخضعون لشروط صارمة، ومن جانب آخر ربما كان انشغالهم بأمور الحياة الاجتماعية والدينية هو ما منعهم من قول الشعر.

- جاءت مطالع الشعراء متناسبة مع غرض قصائد المديح النبوي، وقد زيّنوها بالتقريع وبالأساليب الإنشائية.

- تنوعت مقدّمات قصائد الشعراء بين مقدمات خمرية، وطللية، أحسنَ الشعراء التخلص منها إلى موضوع القصيدة، وكانوا يختمون قصائدهم بالدعاء والسلام.

- مال الشعراء إلى استخدام اللغة السهلة الواضحة، وابتعدوا عن الغريب الوحشي، وجاءت أساليبهم متنوعة، فقد استخدموا الأساليب الإنشائية، وأسلوبا التكرار والسخرية، وظهر التناص بأشكاله المتنوعة في قصائدهم، ما يدل على ثقافتهم الواسعة.

- ضمّن الشعراء قصائدهم بعض أشعار قصائد سابقيهم، واقتبسوا من القرآن الكريم، ومن التوراة، ومن القصص التاريخية، ومن التراث الشعبي.

- زيّن الشعراء قصائدهم بمحسنات بديعية معنوية مثل: الطباق، والمقابلة، والتورية ،والتقسيم ، ومحسّنات بديعية لفظية مثل: الجناس ،ورد العجز على الصدر، ولزوم ما لا يلزم، والموازنة ، حيث جاءت منسجمة مع غرض الأبيات ومضمونها.

- كان التشبيه، والاستعارة والكناية،أهم الوسائل التي شكّل الشعراء صورهم من خلالها، وقد استمدوها من مصادر عديدة أهمّها: الطبيعة النباتية،والحيوانية،والصناعية، ومن القران الكريم، ومن التاريخ وقصصه،أمّا خصائص الصورة، فقد ظهرت الصورة البصرية والسمعية والشمية والذوقية، وظهر الصوت واللون والحركة في قصائدهم،حيث شخّصوا، وجسّموا، ما أضفى تجديدا عليها، وجعلهم يعبّرون عمّا أرادوا من معانٍ.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب القديمة والمخطوطات:

البرعي، عبد الرحيم: **ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية.**(كتاب قديم)

ابن مكانس، مجد الدين(ت822هـ): **ديوان ابن مكانس**، مخطوط(ميكرو فيلم) الجامعة الأردنية،683.

المصادر

القرآن الكريم

الكتاب المقدس، ترجمة: البستاني وفاندياك. ألمانيا. (د.ط). 1991م.

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر(ت370هـ): **المؤتلف والمختلف**. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1982م.

الإبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح(ت850هـ): **المستطرف في كل فنٍّ مستظرف**.. تحقيق وتهذيب وتعليق: سعيد محمد اللّحام، ط1، لبنان: عالم الكتب. 1999م.

ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الخزرجي: **نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزمان**، (د.ط)، بيروت: دار الثقافة، 1967.

ابن الأخوة، ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد القرشي(ت729هـ): **معالم القُربة في أحكام الحسبة**. تحقيق: صديق أحمد عيسى المطيعي. ،(د.ط)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب.1976م

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم(ت 637هـ): **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ط). (د.م). (د.ت).

الوشي المرقوم في حلِّ المنظوم، تحقيق: جميل سعيد، (د.ط)، بغداد، المجمع العلمي العراقي، 1989م.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري(630هـ): **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد. (د.ط)، (د.م). (د.ت).

ابن الأثير، نجم الدين أحمد بن إسماعيل(ت737هـ): **جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة)**، تحقيق: محمد زغلول سلام. (د.ط). الإسكندرية: المعارف. (د.ت).

الأربلي، الصاحب بهاء الدين المنشئ (ت692هـ): **التذكرة الفخرية**. تحقيق: حاكم صالح الظاهر، نوري محمود القيسي(د.ط) ،(د.م). مطبعة المجمع العلمي العربي. 1984م.

الإسكندراني، محمد بن قاسم بن محمد النويري(ت بعد 775هـ): **الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**. تحقيق: عزيز سوربال عطية. (د.ط). الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية. 1969م.

ابن أبي الإصبع المصري، عبد العظيم بن عبد الواحد(654ه): **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**.، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف.(د.ط). القاهرة، الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي. 1963م.

الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس (ت 7هـ): **ديوان الأعشى**: تحقيق: فوزي عطوي، (د.ط). بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، 1968م.

الألوسي البغدادي، نعمان خير الدين(ت1317هـ): **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

امرؤ القيس، ابن حجر الكندي (ت 80 ق.هـ). **ديوان امريء القيس** (د.ط). بيروت: دار صادر. 1958م.

الأندلسي، أبو إسحق الألبيري(ت630هـ): **ديوان أبي إسحق الألبيري**، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1، سوريا: مؤسسة الرسالة، 1976م.

الأنصاري، حسان بن ثابت(ت 54ه): **ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري**، شرح: محمد عزت نصر الله. (د.ط) بيروت: دار إحياء التراث العربي(د.ت).

ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي(930ه): **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. تحقيق: محمد مصطفى، ط2. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1982م.

البرعي، عبد الرحيم بن أحمد بن علي: **ديوان البرعي**، إعداد: عاصم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقادي. (د.ط)، (د.م)،(د.ت).

ابن بسام, محمد بن أحمد: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ،تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، أحمد فريد المزيدي .(د.ط). (د.ت).

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي(ت779هـ): **تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**،. تحقيق وتقديم: علي المنتصر الكناني، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1979م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر(1093ه): **خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب**.، ط1. (د.م) (د.ت).

البهاء، زهير بن محمد(ت656هـ): **ديوان بهاء الدين زهير**. (د.ط) بيروت: دار صادر. 1982م.

البوصيري، شرف الدين محمد بن سعيد(ت695هـ): **ديوان البوصيري**. تحقيق: محمد سيد كيلاني. ط1، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي. 1955م.

التطيلي، بنيامين(ت569ه): **رحلة التطيلي**.. تحقيق: عبد الرحمن الشيخ، ط1، أبو ظبي: المجمع الثقافي. 2001م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.** قدّم له وعلّق عليه: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية. 1992.

التلمساني، أحمد بن محمد المقري(ت1041 هـ): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ، تحقيق: محمد البقاعي، ط1، بيروت: دار الفكر، 1986م.

التنبكي، أحمد بن أحمد(ت1036ه): **كتاب نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**.(د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية. (د.ت).

التونجي، محمد: **المعجم الذهبي في الدخيل على العربي**، ط1. مكتبة لبنان: ناشرون. 2009م.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحكيم: **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**. (د.ط). (د.م): مطبعة المجد التجارية (د.ت).

الرسالة القبرصية. تقديم وتحقيق: علي السيد صبح المدني. (د.ط). (د.م). 1979م

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب :عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصي النجدي الحنبلي. ط1،الرياض: مطابع الرياض. 1961م.

الجمحي، أبو عبد الله بن محمد بن سلّام بن عبد الله (ت 231هـ): **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمد محمود شاكر(د.ط)، القاهرة: مطبعة المدني، 1974م.

الجوهري، محمد: **معجم لغة الحياة اليومية**. شارك في التحرير إبراهيم عبد الحافظ، مصطفى جاد. ط1. القاهرة: المكتبة الأكاديمية. 2007م.

الحائري، محمد حسين سليمان: **مقتبس الأثر ومجدد ما دثر**. ط1،(د.م)، (د.ت)، 1955م.

ابن الحاج، محمد بن محمد الفاسي(ت773هـ): **المدخل**. (د.ط). القاهرة: دار الحديث.1981م

ابن حبيب، حسن بن عمر بن الحسن بن عمر(ت 779ه): **تذكرة النبية في أيام المنصور وبنيه.** تحقيق:محمد محمد أمين، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور(د.ط) ،(د.م): الهيئة المصرية العامة للكتب.1982م.

المنتقى من درة الأسلاك في دولة ملك الأتراك في تاريخ حلب الشهباء. تحقيق: عبد الجبار زكّار. ط1. (د.م): دار الملّاح للطباعة. 1999م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد(852ه): **الإصابة في تمييز الصحابة،** (د.ط). القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.1970م

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق. (د.ط)، القاهرة: دار الكتب الحديثة. (د.ت).

ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد(ت456هـ): **الفصل في المِلل والأهواء والنِّحل.** تحقيق: عبد الرحمن عمر، محمد إبراهيم نصر،(د.ط). بيروت: دار الجيل.1929م.

الحلبي، شهاب الدين محمود بن سليمان(ت 725هـ): **حسن التوسل إلى صناعة الترسُل.** (د.ط). مصر: المطبعة الوهبية، 1880م.

الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن حجة(837ه): **خزانة الأدب وغاية الأرب.** شرح: عصام شعيتو. طبعة أخيرة، (د.م): دار مكتبة الهلال، دار البحار. 2004م.

الحنفي، زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري(ت920هـ): **نيل الأمل في ذيل الدول.** تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: المملكة العربية. 2002م.

ابن الخطيب، لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة.** تحقيق: محمد عبد الله عثمان، (ط1). القاهرة: مكتبة الخانجي، 1974م.

ابن الخطيم، قيس (ت 2 ق.هـ): **ديوان قيس بن الخطيم**. (د.ط)، بيروت: دار صادر، 1967م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت784ه): **مقدمة ابن خلدون** ، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي،(د.ت).

ابن دانيال، شمس الدين محمد الموصلي(ت710ه): **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال. البابة الثانية(عجيب غريب)**. دراسة وتحقيق: إبراهيم حمادة. (د.ط). مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. (د.ت).

ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد القاهري(ت 750ه): **الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها**. (د.ط). بيروت: المكتب التجاري.1983م

الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين. تحقيق: أحمد أحمد السيد درّاج، سعيد عبد الفتاح عاشور. (د.ط) ،السعودية: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.(د.ت).

نزهة الأنام في تاريخ الإسلام،تحقيق: سمير جبارة. .(د.ط) ، بيروت: المكتبة العصرية(د.ت).

ابن الدّواداري، أبو بكر بن عبد الله(ت736هـ): **كنز الدرر وجامع الغرر**. تحقيق: أولرخ هارمان، (د.ط).القاهرة: المعهد الألماني. 1971م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ).**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، حوادث ووفيات(661-670هـ). تحقيق: عبد السلام تدمري. (د.ط) ،بيروت: دار الكتاب(د.ت).

دول الإسلام،تحقيق: فهيم محمد شلتوت، محمد مصطفى إبراهيم،،(د.ط)،(د.م): الهيئة المصرية العامة للكتب.1974م.

ذيول العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول .(د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية(د.ت).

العِبر في خبر من عبر. (د.ط). بيروت: دائرة المطبوعات والنشر. 1961م.

ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت795هـ): **كتاب الذيل على طبقات الحنابلة**.(د.ط)، بيروت: دار المعرفة، (د.ت).

ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن(ت456هـ): **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط3،مصر: السعادة. (د.ت).

ابن رواحة، عبد الله (ت 8ه): **ديوان عبد الله بن رواحة**، شرح: وليد قصّاب، ط2، جامعة الرياض: دار العلوم، 1982.

ابن زهير، كعب(ت26ه): **ديوان كعب بن زهير، رواية أبي سعيد السكّري**، (د.ط). بيروت: دار الفكر للجميع. 1968م

سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت 654هـ)، اليونيني، موسى بن محمد(ت726هـ): **تكملة تاريخ دمشق من ذيل مرآة الزمان**. تحقيق: سهيل زكّار،(د.ط)، دمشق: التكوين للتأليف والنشر. 2007م.

السبكي، بهاء الدين(ت 777هـ): **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط1. بيروت: المكتبة العربية. 2000م.

السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي(771ه): **طبقات الشافعية الكبرى**. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.1906م

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(902ه): **التبر المسبوك في الذيل على السلوك**، (د.ط). القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. (د.ت).

ابن سعد،أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري(ت 320ه):**كتاب الطبقات الكبير**، في ذكر مغـــازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه. (د.ط) طهران: مؤسسة النصر. 1904هـــ

السكاكي، أبو بكر محمد بن علي(ت 626هـــ): **مفتاح العلوم**، (د.ط) (د.م)، (د.ت)، ص423.

ابن سنان الخفّاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي (ت466هـــ): **سرّ الفصـــاحة**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين. ط1، لبنان: ناشرون،(د.ت).

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي، (ت581هـــ): **الروض الآنف في شـــرح الســـيرة النبوية لابن هشام**، القاهرة: دار الكتب الحديثة. 1967م.

ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح(ت734ه): **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**. ط2. بيروت: دار الجيل. 1974م.

السيوطي، عبد الرحمن بن محمد بن عثمان(ت911ه): **حسن المحاضـــرة فـــي أخبـــار مصـــر والقاهرة**. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.1997م.

ابن شاكر، صلاح الدين محمد بن شاكر الدمشقي،(764ه): **فوات الوفيات والذيل عليها**. تحقيق: إحسان عباس،(د.ط)، بيروت: دار صادر (د.ت).

ابن الشحنة، أبو الفضل محمد(ت815ه): **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب** ،تقديم: عبـــد الله محمد الدرويش،(د.ط) ، (د.م).(د.ت).

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم(ت684ه): **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**. تحقيق: يحيى زكريا عبّارة. (د.ط). دمشق: وزارة الثقافة. 1991م.

الشوكاني، شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني(ت1250هـــ): **البدر الطالع بمحاسن من بعـــد القرن السابع**. ط1. بيروت: دار المعرفة(د.ت).

الشيزري، عبد الله بن عبد الله (ت590هـــ): **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**. تحقيق: أحمد فريد المزيدي، محمد حسن محمد حسن إسماعيل. (د.ط) ،(د.م)، (د.ت).

الصرصري، يحيى بن يوسف(ت656هـ): **ديوان الصرصري**، تحقيق: مخيمر صالح، (د.ط) (د.م). (د.ت).

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ): **أعيان العصر وأعوان النصر**تحقيق: علي أبو زيد. تقديم: مازن عبد القادر المبارك،.(د.ط)، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر(د.ت).

فضُّ الختام عن التورية والاستخدام، تحقيق: عبد العزيز الحناوي، ط1. مصر: دار الطباعة المحمدية، 1979م.

المختار من شعر ابن دانيال، تحقيق: محمد نايف الدُليمي ،(د.ط)، 1979م.

الوافي بالوفيات. ط1، (د.م): دار الفكر. 2005م.

صفي الدين الحلِّي، عبد العزيز بن سرايا(ت752هـ): **ديوان صفي الدين الحلّي**، (د.ط). بيروت: دار صادر. 1990م.

شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تحقيق: نسيب نشاوي (د.ط). دمشق: مجمع اللغة العربية. 1982م.

الضبّي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عُميرة (ت599هـ): **بُغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق: روحيّة عبد الرحمن السويفي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م.

الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى (ت 168هـ): **المفضليات**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، ط3، بيروت: دار المعارف، 1964م.

أبو الطيب المتنبي، أحمد بن الحسين (ت 354هـ): **ديوان المتنبي**، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث، 1969م.

ابن عاديا، السموأل، (ت 62هـ): **ديوان السموأل**. تحقيق: عيسى سابا، (د.ط) ،بيروت: دار صادر، 1951م.

العبّاس، عبد الرحيم بن أحمد(ت 963هـ): **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحفيظ. (د.ط) بيروت: عالم الكتب، 1947م.

العبّادي، عدي بن زيد بن جماد بن زيد: **ديوان عديّ بن زيد العبّادي**، تحقيق: محمد جبّار المعيبد (د.ط)، بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د.ت).

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد(ت463ه):**الإستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي.، ط1، بيروت: دار الجيل،1992م.

عبد الرحمن، عفيف: **معجم الشعراء الجاهلين والمخضرمين**. (د.ط)، (د.م): دار العلوم، 1983م.

ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد ابن محمد الأنصاري: **الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصلة**، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، بيروت: دار الثقافة (د.ت).

ابن عبد الظاهر, محيي الدين (691هـ): **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**تحقيق: مراد كامل، مراجعة: محمد علي النّجار. ط1. الجمهورية العربية المتحدة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. 1961م.

العلائي، إبراهيم بن محمد بن أيدمر(ت809ه): **الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**. تحقيق: أحمد أحمد السيد درّاج، سعيد عبد الفتاح عاشور. (د.ط) ، السعودية: مركز البحث العلمي واحياء التراث الإسلامي.(د.ت).

العلوي، محمد أحمد بن طباطبا(322ه): **عيار الشعر**. تحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعة: نعيم زرزور، ط1. لبنان: دار الكتب العلمية، 1982م.

عماد الحنبلي، أبو الفلاح (ت 1089هــ): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. ط2. بيروت: دار المسيرة. 1979م

ابن عوف، عبيد بن الأبرص(ت 25 ق.هــ)، **ديوان عبيد بن الأبرص**. شرح وتقــديم :عمــر فاروق الطباع (د.ط)، بيروت: دار القلم، 1994م.

العيني، بدر الدين محمود (ت855هــ): **عقد الجمان في تاريخ أهــل الزمــان**.،(د.ط) مصــر: الهيئة المصرية العامة للكتب.1992م.

الغرناطي، أبو جعفر شهاب الدين أحمد يوسف الغرناطي (ت 779هــ): **طراز الحلّة في شفاء الغلّة، شرح الحلة السيرا في مدح خير الورى**، بديعية نظمها الإمام ابن جابر الأندلسي، تحقيق: رجاء السيد جوهري(د.ط) (د.م) (د.ت)

الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي(ت815ه): **مطالع البدور في منــازل الســرور**. (د.ط). بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، 2000م

أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل(ت732هــ): **المختصر في أخبار البشــر**.ط1.(د.م): المطبعــة الحسينية المصرية(د.ت).

ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم(ت807هــ): **تاريخ ابن الفرات**، (د.ط). بيــروت:المطبعــة الأمركانية.1936م.

عيون التواريخ،. تحقيق: فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داوود. (د.ط). (د.ت).

ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمــد بــن يحيــى (ت749هــــ): **التعريــف بالمصطلح الشريف**. تحقيق: سمير الدروبي. (د.ط). الأردن: جامعة مؤتة.1992م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت889ه): **الشعْرُ والشعراء**.، (د.ط). لندن: مطبعة بريل، 1902م.

القرطاجني، أبو الحسن حازم (ت684هـ): **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**. تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة. (د.ط) ، (د.م): دار الغرب الإسلامي. (د.ت).

القزويني، الخطيب (ت 729هـ): **الإيضاح في علوم البلاغة**،، شرح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط4. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1975م.

القلقشندي, أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد(ت821ه): صبح الأعشى في صناعة الإنشا. (د.ط). القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. 1963م.

ابن قيم الجوزية،أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت751هـ): **أحكام أهل الذمة**. تحقيق: شاكر بن توفيق العاروري، يوسف بن أحمد البكري. ط1، السعودية: رمادي للنشر، لبنان: دار ابن حزم. 1997م.

إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي،(د.ط) ، بيروت: دار المعرفة(د.ت).

الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية)، عُني بها: عبد الله بن محمد العُمير.(د.ط). (د.م): دار ابن خُزيمة. (د.ت).

ابن كثير، أبو الفدا الحافظ، **البداية والنهاية**،. ط1. بيروت: المعارف. 1996م.

تفسير ابن كثير. ط1. بيروت: دار الأندلس. 1966م.

قَصص الانبياء. تحقيق: علي عبد الحميد أبو الخير، محمد وهبي سليمان، معروف مصطفى زريق. ط8.عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع. 1997م.

الماوردي، أبو الحسن بن محمد بن حبيب(ت450ه): **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**. (د.ط). القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، بيروت: دار الكتب العلمية. 1973م.

مؤرخ مجهول(ت742هـ): عصر سلاطين المماليك. (د.ط): تحقيق: زيتر ستين ليدن : أبريل، (د,ت).

المؤيد، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم(ت745ه): **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**. (د.ط)، طهران: مؤسسة النصر. (د.ت).

مجمع اللغة العربية الأردني: **معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن**، بيروت: مكتبة لبنان. ناشرون. ط1. 2006م.

المراكشي، ابن عذارى: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: ج. س، كولان، ليفي برفنسال،ط2. بيروت: دار الثقافة. 1993م.

المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران(ت384هـ): **معجم الشعراء**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية. (د.ت).

المغربي، ابن سعيد، **المُغرب في حُلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، ط4، مصر: دار المعارف، (د.ت)

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(845هـ): **السلوك لمعرفة دول الملوك**. (د.ط). القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. 1956م.

المقفّى الكبير. تحقيق: محمّد البعلاوي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1991م

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار في ارشاد البرية, (د.ط). القاهرة: مؤسسة الحلبي. 1960م.

المنصوري، ركن الدين، بيبرس(ت725هـ): **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**. تحقيق: دونالدس. ريتشاردز، ط1. بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع. 1998م.

مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة702هـ.تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان . ط1 (د.م): الدار المصرية اللبنانية. 1993م.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (711هـ): لسان العرب، (د.ط)، القاهرة: دار الحديث. 2003م.

المهدي، أبو العباس (621هـ): **الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية للبوصيري**. ط1. قدّم له وصحّحه: عبد السلام الخالدي. لبنان: دار الكتب العلمية. 2010م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت518ه): مجمع الأمثال. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،ط2، مصر: السعادة، 1959م.

ابن نباتة، جمال الدين أبو بكر محمد(ت 768هـ). : **ديوان ابن نباتة المصري**. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د.ت).

النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، بيروت: المطبعة الأدبية: مطبعة المعارف. 1902م.

النعيمي،عبد القادر محمد (ت927ه): **الدارس في تاريخ المدارس**. ج1. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية: 1990م

أبو نواس، الحسن بن هانيء(ت199ه): **ديوان أبي نواس**، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1987م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت732ه): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة: محمد مصطفى زيادة. (د.ط). (د.م): مركز تحقيق التراث. 1990م.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك(ت218ه): **(سيرة النبي صلى الله عليه وسلم**، راجعها وعلّق عليها: محمد محيي الدين عبد الحميد،. (د.ط) القاهرة: مطبعة حجازي. (د.ت).

أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهيل العسكري(ت395ه): **الصناعتين** الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1.القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1952م

الهيتمي، أحمد بن محمد: (ت973هـ): **المنح المكيّة في شرح الهمزية**. تحقيق: محمد بسام بارود، ط1. أبو ظبي: المجمع الثقافي، لبنان: دار الحاوي للطباعة. 1998م.

ابن الوردي عمر بن مظفر (749هـ): **تتمة المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا إسماعيل،** (د.ط) بيروت: دار المعرفة.1970م

ديوان ابن الوردي. تحقيق وتعليق: أحمد فوزي الهيب. ط1. الكويت: دار القلم، 1986م.

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم(ت182هـ): **الخراج**.(د.ط)، بيروت: الجمل. 2009م.

اليونيني, موسى بن محمد(ت726هـ): **ذيل مرآة الزمان**. ط1، مصر: دائرة المعرف. 1954م.

المراجع

إقبال، عباس: **تاريخ المغول ضد حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التمورية**. ترجمة: عبد الوهاب علّوب. (د.ط). أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2000م.

أمين، بكري شيخ : **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني**. ط1. بيروت: دار الآفاق، 1979م.

أمين، فوزي محمد : **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول**.(د.ط)، الإسكندرية: دار المعارف1982م.

باشا، عمر موسى: **الأدب في بلاد الشام**، ط2، دمشق: المكتبة العباسية، 1972م.

البحرة، نصر الدين: **نفسية اليهودي في التاريخ**.ط1، دمشق: مطبعة دار عكرمة. 2000م.

بدوي، أحمد أحمد: **أسس النقد الأدبي عند العرب**. (د.ط). (د.م): نهضة مصر. (د.ت).

البرقوقي، عبد الرحمن: **شرح ديوان المتنبي**، (د.ط)، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت).

بكّار، يوسف حسين: **بناء القصيدة العربية:** (د.ط). القاهرة: دار الثقافة، 1979م.

حسنين، نبيل علي: **التناص دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض جرير والفرزدق والأخطل.** ط1. (د.م): كنوز المعرفة. 2010م.

حسين، عبد القادر: **فن البديع،** (د.ط)، القاهرة: دار غريب. 2008م.

حسين، محمد بن سعد: **المعارضات في الشعر العربي** (د.ط)، الرياض: النادي الأدبي، 1980م.

الحلبي، محمد راغب الطباخ: **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء.** ط2. تحقيق: محمد كمال، حلب: دار القلم العربي. 1988م.

الخولي، أحمد: **الإمام البوصيري بين البردة والهمزية.** ط2. القاهرة: مركز الكتاب للنشر، 2009م.

الخولي، محمد علي: **اليهود من كتابهم،** ط1. عمان: دار الفلاح للنشر والتوزيع، 1998م.

الدخيل، محمد ماجد مجلّي: **الصورة الفنية في الشعر الأندلسي،** شعر الأعمى التطيلي (ت525هـ) أنموذجاً، (د.ط)، عمان، دار الكندي، 2006م.

الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في النقد الشعري.** ط1. الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر .1984م.

الزوبي، ممدوح: **القتل عقيدة يهوه وأتباعه.** ط1. دمشق: الأهالي للتوزيع. 2000م.

زيادة، نقولا: **الرّحالون المسلمون والأوروبيون إلى الشرق العربي في العصور الوسطى.** (د.ط) (د.م): الدار العربية للموسوعات، (د.ت).

رواد الشرق العربي في العصور الوسطى. (د.ط)، القاهرة: مطبعة المقتطف والمقدّم. (د.ت).

السعدني، مصطفى: **في التناص الشعري،** (د.ط). الإسكندرية المعارف. 2005م.

سلام، محمد زغلول: **الأدب في العصر الأيوبي.**(د.ط). القاهرة: دار المعارف. 1983م.

الأدب في العصر المملوكي،(د.ط). القاهرة: دار المعارف(د.ت)

الأدب في العصر المملوكي الدولة الأولى.(د.ط)، الإسكندرية: منشأة المعارف(د.ت).

سلطان، منير: **التضمين والتناص وصف رسالة الغفران للعالم الآخر نموذجاً**، (د.ط). الإسكندرية المعارف، 2004م.

سليم، محمود رزق: **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي.** (د.ط). القاهرة: مكتبة الأديب. 1947م.

سيدة، سيدة إسماعيل: **مصر الإسلامية وأهل الذمة.** (د.ط). (د.م): الهيئة المصرية العامة للكتب. 1993م.

شبانة، ناصر: **المفارقة في الشعر العربي الحديث.** ط1. (د.م): المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 2002م.

شبيب، غازي: **فنّ المديح النبوي في العصر المملوكي،** مراجعة ياسين الأيوبي، ط1، بيروت: المكتبة العربية، 1998م.

شرّاب،محمد حسن: **معجم بلدات فلسطين.** ط2. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1996م.

الشرباتي، نافزة ناصر: **اليهود وأثرهم في الأدب العربي في الأندلس،** عمان: دار محمد دنديس للنشر، 2010م.

الشرقاوي، عبد الرحمن: **ابن تيمية الفقيه المعذّب،**(د.ط). (د.م)،(د.ت).

الصائغ، عبد الإله: **الصورة الفنية معياراً نقدياً.** (د.ط). الاسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، 2007م.

صالح، مخيمر: **المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري**. ط2. بيروت: دار مكة الهـلال. عمان: الدار العربية، 1986م.

الصلّابي، علي محمد: **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**،ج1، ط2، بيـروت: دار المعرفة، 2008م،

ضيف، شوقي: **فصول في الشعر ونقده**. ط3. القاهرة: دار المعارف. 1988م

عاشور، سعيد عبد الفتاح: **بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى**(د.ط)بيـروت: مكتبـة الفارابي.1977م.

المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك. ط1. (د.م): دار النهضـة العربيـة. 1962م.

العالم، إسماعيل أحمد: **دراسة نقدية في الشعر الأموي** (د.ط). مصـر: هيئـة النيـل للنشـر والتوزيع، 2008م.

عباس، إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي، **عصر الطوائف والمرابطين**، ط5. بيروت: دار الثقافة، 1978م.

عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في ضوء النقد الحديث**. ط2. عمان: مكتبـة الأقصـى. 1982م

في النقد الحديث. ط1. عمان: مكتبة الأقصى. 1979م.

عبد الرحيم، رائد: **فنّ الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي الأول**. ط1. عمـان: دار الرازي، 2003م.

عبد الله، محمد حسين: **الصورة والبناء الشعري**، (د.ط). القاهرة: دار المعارف، (د.ت).

عتيق، عبد العزيز: **علم البديع.** (د.ط)، بيروت: دار النهضة العربية، 1985م.

علم البيان.(د.ط)، بيروت: دار النهضة العربية ،1974م.

عصفور جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي،** ط2، لبنان: دار التنوير. 1983م.

علي، جواد: **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام.** ط1. بيروت: دار العلم للملايين، بغداد:مكتبة النهضة. 1970م.

علي، علي السيد: **القدس في العصر المملوكي.** ط1. القاهرة: دار الفكر. 1986م.

علي، محمد كرد: **خطط الشام.** (د.ط). دمشق، 1927م.

فهيم، أحمد، نديم، محمود: **الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي.** (د.ط). (د.م): الهيئة المصرية العامة للكتب. 1983م.

قاسم، قاسم عبده: **أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المماليك.** (د.ط). (د.م): عين للدراسات والبحوث. 2003م.

دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك.(د.ط). القاهرة: دار المعارف.1979م.

النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك.ط1.القاهرة:دار المعارف، 1978م.

قلقيلة، عبده عبد العزيز: **النقد الأدبي في العصر المملوكي.** ط1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. 1972م.

المازني، إبراهيم عبد القادر: **حصاد الهشيم.** ط7. مصر: المطبعة العصرية، 1961م.

مبارك، زكي: **المدائح النبوية في الأدب العربي**(د.ط) القاهرة: دار الشعب، 1900م.

محمد أمين، فوزي: **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول**. (د.ط) الإسكندرية: دار المعارف. 1982م.

محمد، محمود سالم: **أدب الصنّاع وأرباب الحِرف حتى القرن العاشر الهجري**. ط1، بيـروت: دار الفكر،سوريا: دار الفكر. 1993م.

المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ، ط1. لبنان: دار الفكر المعاصر، دمشـق: دار الفكر، 1996م.

المسيري، عبد الوهاب محمد: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، نموذج تفسيري جديد, ط1، القاهرة: دار الشروق. 1999م.

مقداد، عبد الله جبريل: **شعر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام**، (د.ط)، عمّـان : دار عمّـار ، 1999م.

ميلاد، سلوى علي: **وثائق أهل الذمة في العصر العثمـاني وأهميتهـا**. (د.ط). القـاهرة: دار الثقافة. 1983.

النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **غزوات الرسول صلى الله عليـه وسـلم**،(د.ط). بيـروت: دار المعرفة. 1974م.

نخبة من الأساتذة ذوي الإختصاص و اللاهوتيين: **قاموس الكتاب المقـدس**. ط13، بيـروت: مطبعة الحرية، 2000م.

نوفَلْ، محمد محمود قاسم: **تاريخ المعارضات في الشعر العربي**. ط1. بيـروت: دار الفرقـان، مؤسسة الرسالة، 1983م.

هدّارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**. (د.ط) القـاهرة: دار المعارف،1963م.

هراس، محمد خليل: **شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيم الجوزية،**. (د.ط)، القاهرة: مكتبة ابن تيمية. 1986م.

هلال، محمد غنيمي: **النقد الأدبي الحديث.** ط1. القاهرة: دار النهضة العربية. 1969م.

الهيب، أحمد فوزي: **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء،** ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986م.

الوحش، محمد موسى: **موسوعة أعلام الشعر العربي**،(د.ط). عمان: دار دجلة. 2007م.

ولفنسون، إسرائيل: **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام** (د.ط). مصر: مطبعة الإعتماد، 1927م.

يوسف، حسني عبد الجليل: **علم البديع بين الاتباع والابتداع.** ط1. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2007م.

المجلات والدوريات

الأسطة، عادل: ***اليهود في رواية منيف "أرض السواد" على ضوء صورتهم في الأدب العالمي والعربي،*** **مجلة الجامعة الاسلامية**(غزّة)، (سلسلة الدراسات الإنسانية) ع1، مج 13، 2005م/(29-43).

الإمام ،رشاد: ***القدس في العصر الوسيط***، **مجلة شؤون عربية**(مصر). ع 40، 1984م/(57-70).

جمعة، حسين: ***حياة الصورة الفنية*** ، **مجلة أفكار**،(عمّان)، ع 225، 2007م/(36-46).

الديك، احسان: ***الآخر وأثره في شعر الاعشى الكبير(ميمون بن قيس)،*** مجلة **مجمع اللغة العربية الفلسطيني**،(القدس)، ع 24، 2000م/ (18-52).

زّكار، سهيل: ***القدس في العصر المملوكي(648-922هـ)***. **مجلة شؤون عربية**(مصـــر) ع96، 1998م /(104-122).

علي، علي السيد: ***الأسرة في مدينة بيت المقدس عصر سلاطين المماليك، دراســة وثائقيــة***، **مجلة التربية** (قطر). ع 163. مج36. 2005م/(172-209).

مطلوب، أحمد: ***أثر المدائح النبوية في البلاغة العربية***، **مجلة المورد**، العــراق، ع4، مـــج9، 1981م/ (43-63).

النجار، محمد رجب: ***الشعر الشعبي الساخر***، **مجلة عـــالم الفكـــر**،(الكويـــت)، ع3، مـــج13، 1982م/ (63-146).

الهَدْلَقْ، محمد بن عبد الرحمن: ***قصيدة أبي إسحق الألبيري إلى باديس بن حبوس الصنهاجي، دوافعها وتأثيرها على أهل غرناطة***، **مجلة جـــذور** (الســـعودية)، ج2، مـــج 1، أيلـــول 1999م.

الندوات

كيرة، نجوى كمال: **المشاعلية وأثرهم في المجتمع المصري في العصر المملوكي، المجتمـــع المصري في العصرين المملوكي والعثماني**، ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية تكريماً للعالم الكبير أندريه ريمون. تحرير: عبادة كحيلة. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. 2007م.

رسائل الماجستير والدكتوراه

بوصخرة، آدم صالح آدم: "**بشرى اللبيب بذكرى الحبيب**" لأبي الفتح فتح الدين محمد بـــن ســـيد الناس اليعمري(671-734هـ)، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة عمـــر المختـــار، ليبيا.2008-2009م.

سبيناتي، هناء علي: **صورة المجتمع في الشعر المملوكي.** (رسالة دكتوراه غيــر منشــورة)، جامعة دمشق، دمشق ،(د.ت).

صياد، حسين خضر: **ديوان أهنا المنائح في أسنى المدائح لشهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبي** (ت725هــ)، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعــة الخليــل، الخليــل، فلسطين، 2002م.

عمرو، شادي إبراهيم حسن: **ديوان شهاب الدين بن الخيمي(602-685هــ)**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الخليل،الخليل، فلسطين، 2005م.

عمرو، نيفين محمد شاكر: **السخرية في الشعر في العصر المملــوكي الأول**(648-784هــــ). (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الخليل،الخليل، فلسطين، 2008-2009م.

غريب، علي محمد علي: **شعر ابن فضل الله العمري** (749هــ)، جمع وتوثيق ودراسة (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الخليل، الخليل ، فلسطين، 2008م.

المراجع الأجنبية

Cohen. Mark R**: Under crescent and cross : The Jews in the middle ages.**America: Princeton university.1994.

An- Najah National University
Faculty of graduate studies

The Image of Jews in The First Mamluki Era (648 H –784 H)

By
Maisa' Tahseen Mustafa Qutt

Superviser
Dr. Raed Abdul Raheem

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for Degree Master of Arabic language and literature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University. Nablus, Palestine.
2013

The Image of Jews in The First Mamluki Era
(648 H – 784 H)
By
Maisa' Tahseen Mustafa Qutt
Superviser
Dr. Raed Abdul Raheem

Abstract

This thesis entiteled "the image of Jews in the first Mamluki era. (648 Hijrah – 784 Hijrah)", is considered as the first comprehensive and academic study. This study unveiled the life of jews and their characteristics from the first Mamluki era poets' point of view. There was a lot of studies talked about Jews, but there wasn't any study that talked about their image in the said poetry.

Therefore, this study aimed to clarify the image of jews religious life introduced by poetry, and to show the social aspects of jews life and their relationship with muslims. It unveiled the jews characteristics and morals on the basis of poems. It also revealed the artistic characteristics of the poems talked about jews.

This study based on the integral approach relying on the date in the first chapter, whereas describing and analyzing in the rest of the study. It gave an overview talking about the presence of jews in the poems of pre-Mamluki ere. In the first chapter, the study elaborated talking about aspects of jews political, religious, social, economic and academic life.

In the second chapter, it pointed to the aspects of jews political, religious, social, economic and academic life in the said poems by

concentrating on their believes, their Synagogue, their relationship with prophets and social relationships.

In the third chapter, it showed their morals, negative characteristics.

In the last chapter, the poems were studied artistically shedding light on the language, style and rhetoric.

To summarize, in the pre – Mumluki era, Jews were known by some positive charecteristics, whereas there wasn't any positive one in the Mumluki era, bearing in mind that jews lived a peaceful life in the Mamluki era and were hired in different jobs.

The prophetical praise poems were the most poems which revealed jews morals and characteristics.

poets had extracted their images from plant and animal nature, history and Quran stories depending on methods of simile, metaphor and metonymy to get their readers to the ideas they want. Different kinds of images; such as optical, audio, olfactory and images related to taste in addition to sound and motion had appeared in their poems.